هادي المدرسي

الإمام زين العابدين (ع)

صاحب الصحيفة الربانية
وحامل الآلام المضنية



الإمام زين العابدين (ع)

صاحب الصحيفة الربانية
وحامل الآلام المضيئة



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾

هادي المدرّسي

الإمام زين العابدين (ع)

صاحب الصّحيفة الربّانيّة
وحامل الآلام المضيئة

هو سيّد العابدين
وزين أوليائي الماضين

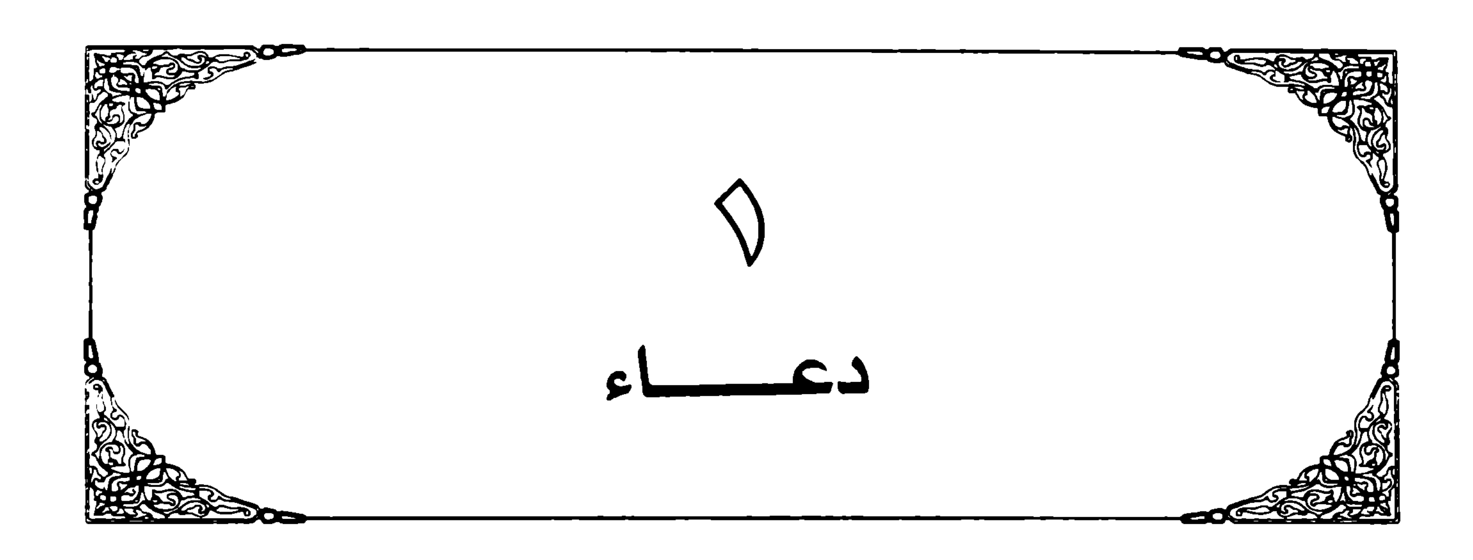
حديث قدسي
كلمة الله ص ١١٨

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون: ٠٣/٤١٣٢٥٦ - ٠٣/٩٠٢٩٤٤



١
دعـــاء

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِهِ، وَتَسَرْبَلَ بِالجَلاَلِ وَالعَظَمَةِ فِي عِزِّهِ، وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِي قُدْسِهِ، وَتَعَالَى بِالجَلالِ وَالكِبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ.

الَّذِي انْقَادَتْ لَهُ الأُمُورُ بِأَزِمَّتِها طَوْعاً لِأَمْرِهِ، وَقَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرَضُونَ مُجِيبَاتٍ لِدَعْوَتِهِ.

والصلاة والسّلام علىٰ محمّد وأهل بيته، الَّذين اختارهم الله لنفسه، واصطفاهم على عباده، وارتضاهم لدينه، وخصّهم بمعرفته، وجللهم بكرامته، وغشاهم برحمته، وربّاهم بنعمته، ورفَعَهم في ملكوته. .

❊ ❊ ❊

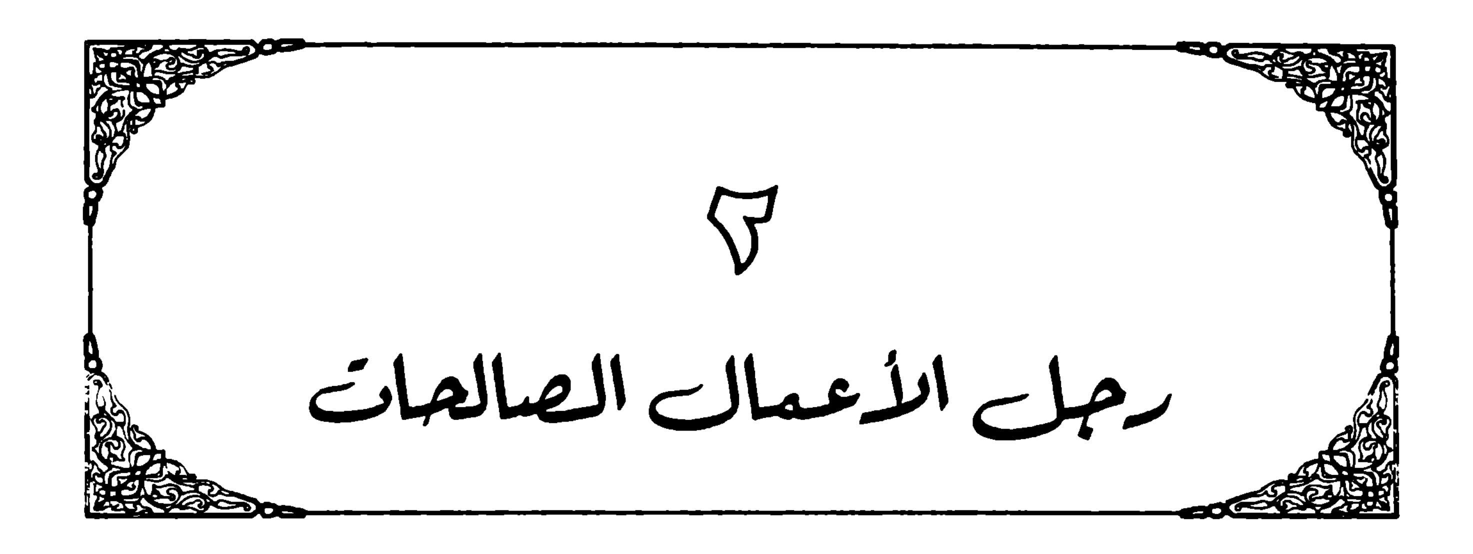
رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَآءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوَائِدِكَ. رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلاَةً لاَ أَمَدَ فِي أَوَّلِهَا، وَلاَ غَايَةَ لِأَمَدِهَا، وَلاَ نِهَايَةَ لآخِرِهَا. رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ،

وَمِلءَ سَمَاوَاتِكَ وَمَا فَوْقَهُنَّ، وَعَدَدَ أَرَضِيكَ وَمَا تَحْتَهُنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، صَلاَةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفىٰ، وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُمْ رِضًى، وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ وَمَنَاراً فِي بِلاَدِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَٱفْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَٱلإِنْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلاَّ يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلاَ يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ ٱللاَّئِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ.

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمُ الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْمُقْتَفِيْنَ آثَارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلاَيَتِهِمُ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمُ، الْمُسَلِّمِينَ لأَمْرِهِمُ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمُ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمُ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمُ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، الزَّاكِيَاتِ، النَّامِيَاتِ، الغَادِيَاتِ، الرَّائِحَاتِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلاَمِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[1].

(١) الصحيفة السجادية، دعاء عرفة، ص١٩١ ـ ١٩٥.



٢
رجل الأعمال الصالحات

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . . هو الرجل الصالح الّذي لم يصدر منه إلاّ العمل الصالح، ولم يتفوّه إلاّ بالقول الصالح، وَلم يطلب من ربّه إلاّ كلّ ما هو صالح.

منذ بداية حياته إلى نهايتها، كان ممّن يسارع في الخيرات، ولم يعمل إلاّ للباقيات الصالحات، فلم يترك يوماً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعيادة المرضىٰ، وإغاثة الملهوفين، والإحسان إلىٰ النّاس، ورعاية الأيتام، والتصدّق في السّرّ، ومساعدة المحتاجين، والرفق بمن تحت يديه.

وكان كثير اللّطف، عالي الحكمة، واسع الإحسان، شديد التواضع، عظيم الصبر، شامل المكرمة.

كان كالنسمة في عذوبتها.

وكالديمة في لطافتها.

وكالمروج الخضراء في صفائها.

لقد كان مثال الإيمان في زمن النفاق، ونموذج الصدق في عصر الزيف.

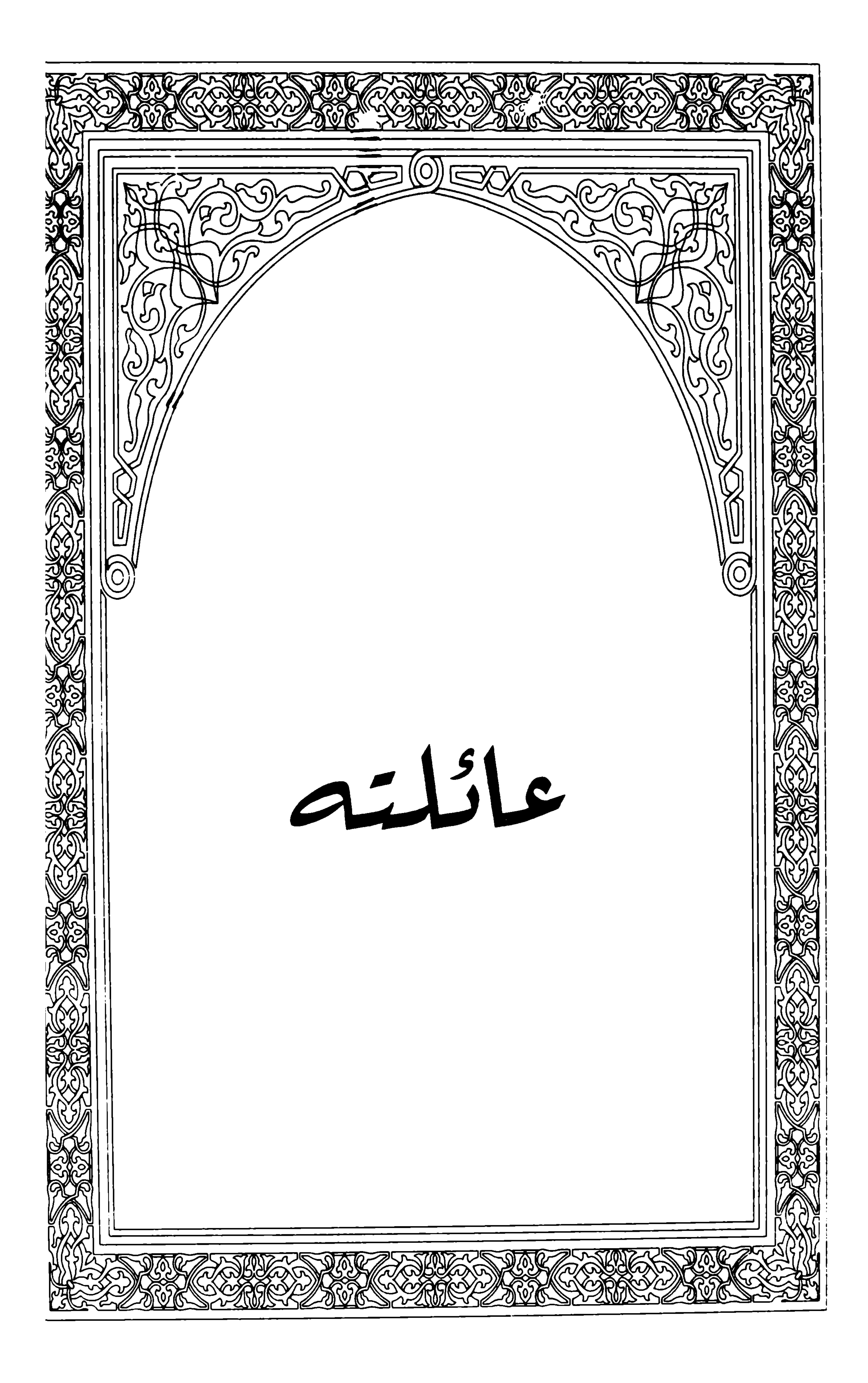
وحامل النور في طخياء الديجور.

لقد أضاء الإمام الحياة بنور التوحيد، وبصيرة الإيمان وملأ الدنيا بالعمل الصالح فلم يشابهه في الورع والتقوى والزهد والعبادة أحد إلا آباؤه الطاهرون وأجداده المنتجبون.

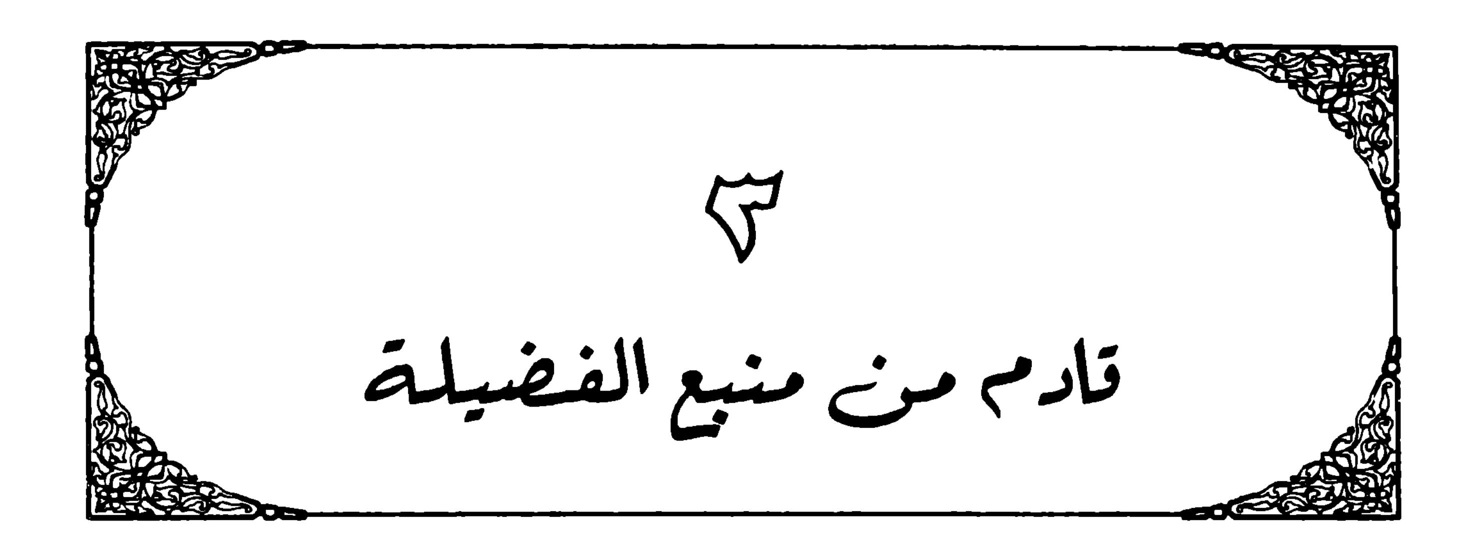
ولقد قرنت سيرته بسيرة الأنبياء، وشابهت طريقته طريقة المرسلين فكان كإبراهيم الخليل في إخلاصه وطاعته، وكالمسيح ابن مريم عليه السلام في زهده، وإنابته، وكموسى بن عمران في مواجهة فرعون عصره، وكالنبي أيوب في ابتلائه وصبره، وكخاتم النبيين في أخلاقه وعزيمته.

وحقاً قال في وصفه بقوله: «إنه الخير الذي لا شرَّ فيه»[1].

(١) البحار ج٤٦، ص١٢٢.



عائلته



٣
قادم من منبع الفضيلة

أهل المرء هم محيطه الّذي يترعرع فيه، ومنبته الذي ينمو فيه، ومدرسته التي يتعلّم منها.

فالإنسان المؤمن يأخذ الفضائل من أمّه وأبيه، وأخوته وأخواته، بمقدار ما يأخذ من مكمنه الخيّر، وضميره النيّر.

ولقد كان بيت السجّاد(ع) من قبل أبيه هو بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي.

فأبوه الحسين بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنة الّذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: «مكتوب على ساق العرش الحسين مصباح هدًى وسفينة نجاة».

وأما أُمّه، فهي بنت آخر ملوك إيران «يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى»[1].

وكانت تسمّى «شاه زنان» أي ملكة النساء، أو «شهربانو» أي سيّدة المدينة.

---

(١) الكافي: ج١، ص٤٦٦.

وكانت هذه السيّدة الجليلة من الأسارى الّذين جلبهم المسلمون إلى المدينة، بعد انتصارهم على الفرس.

فقد ذكر المؤرخون، «أنّها أُدخلت في مجلس عمر بن الخطّاب، فاشرق المجلس بضوء وجهها، واستشرفت لها عذارى المدينة، ولما رأت عمر، غطّت وجهها، وعاتبت جدّها ملك إيران الأسبق هرمز، وقالت بالفارسية «بي روز باد هرمز».

وظنّ عمر أنّها تسبّه، فقال: «شتمتني هذه العلجة»!. وهمّ بها..

فقال له الإمام علي عليه السلام: «ليس لك إنكار على ما لا تعلمه».

ثم بيّن أنّها تقول: «لا كان لهرمز يوم»، لأنّه لو لم يمزّق رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وقفت حفيدته موقف الذّل ذاك..

ثم إن عمر أراد أن يبيع النساء من الأسرىٰ، وأن يستعبد الرجال، فقال له الإمام علي عليه السلام: «لا تفعل، فإنّ رسول الله قال: «أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم» فلا يجوز بيع بنات الملوك وإن كنّ كافرات».

وفي حديث آخر أنّ الإمام قال: إنّ هؤلاء، قوم قد ألقوا إليكم السلم، ورغبوا في الإسلام».

واقترح الإمام أن يعرض على ابنة يزدجرد من تختار زوجاً من المسلمين على أن تحتسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال، ليقوم مقام الثمن.

فقبل عمر ذلك وعرض عليها أن تختار، فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين عليه السلام.

فقال لها الإمام عليّ عليه السلام بالفارسية «چه نام داري أي كنيزك؟». أي ما اسمك أيّتها الصبيّة؟

قالت: «جهان شاه».

فقال عليّ عليه السلام: «بل شهربانو، واختك «مرواريد».

فقالت: «آري». أي نعم.

فوهب المسلمون حصّتهم فيها، وتكلّم حذيفة بن اليمان بالخطبة.

ثم التفت الإمام علي عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وقال: «احتفظ بها، وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض بعدك، وهي أمّ الأوصياء الذريّة الطيّبة»[1].

ولقد اعتنىٰ بها الإمام علي عليه السلام عناية خاصة، حيث وجدها ذات فضل وكمال، وقد سألها عن وقع الهزيمة على أبيها بعد معركة المواجهة مع المسلمين، فسألها قائلاً: «ما حفظت من أبيك بعد وقعة الفيل؟..

فقالت: «إنه كان يقول: إذا غلب الله علىٰ أمر، ذلّت المطامع دونه، وإذا انقضت المدّة، كان الحتف في الحيلة»..

فقال الإمام: «ما أحسن ما قال. تذلّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير»[2].

وهكذا فإن هذه السيدة الجليلة الفاضلة التي وُصفت بأنها «من خيرة النساء»[3] زُفّت إلى الإمام الحسين الذي أحاطها برعاية روحية خاصة، وعلّمها من تعاليم الإسلام ما أنساها قصور المدائن ومروج بابل[4].

---

(١) البحار: ج٤٦، ص١٠، دلائل الإمامة للطبري ص٨١.

(٢) الإرشاد: ص١٦٠.

(٣) المبرّد/ الكامل ج٢، ص٤٦٢.

(٤) راجع كتاب زين العابدين ص١٦.

ويا لعظمة هذا الدين الذي يربط الأمم مع قطع النظر عن لغاتها وأصولها، ويجعل ميزان التفاضل في التقوىٰ والإيمان، فيفك الإنسان من عبودية الأسر، فإذا بالمقهورة الأسيرة «شاه زنان» بنت يزدجرد تعانق بالزواج سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، لتنجب في الخامس من شعبان، سنة ثمان وثلاثين للهجرة أول إمام بعد خمسة أصحاب الكساء الذي دُعِيَ بابن الخيرتين علي بن الحسين حيث ولد بين بيت النبوة وبيت الملك.

وقد أنشد فيه أبو الأسود قائلاً:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم | لأكرم مَن نيطت عليه التمائم
هو النور نور اللّه موضع سرّه | ومنبع ينبوع الإمامة عالمُ[1]

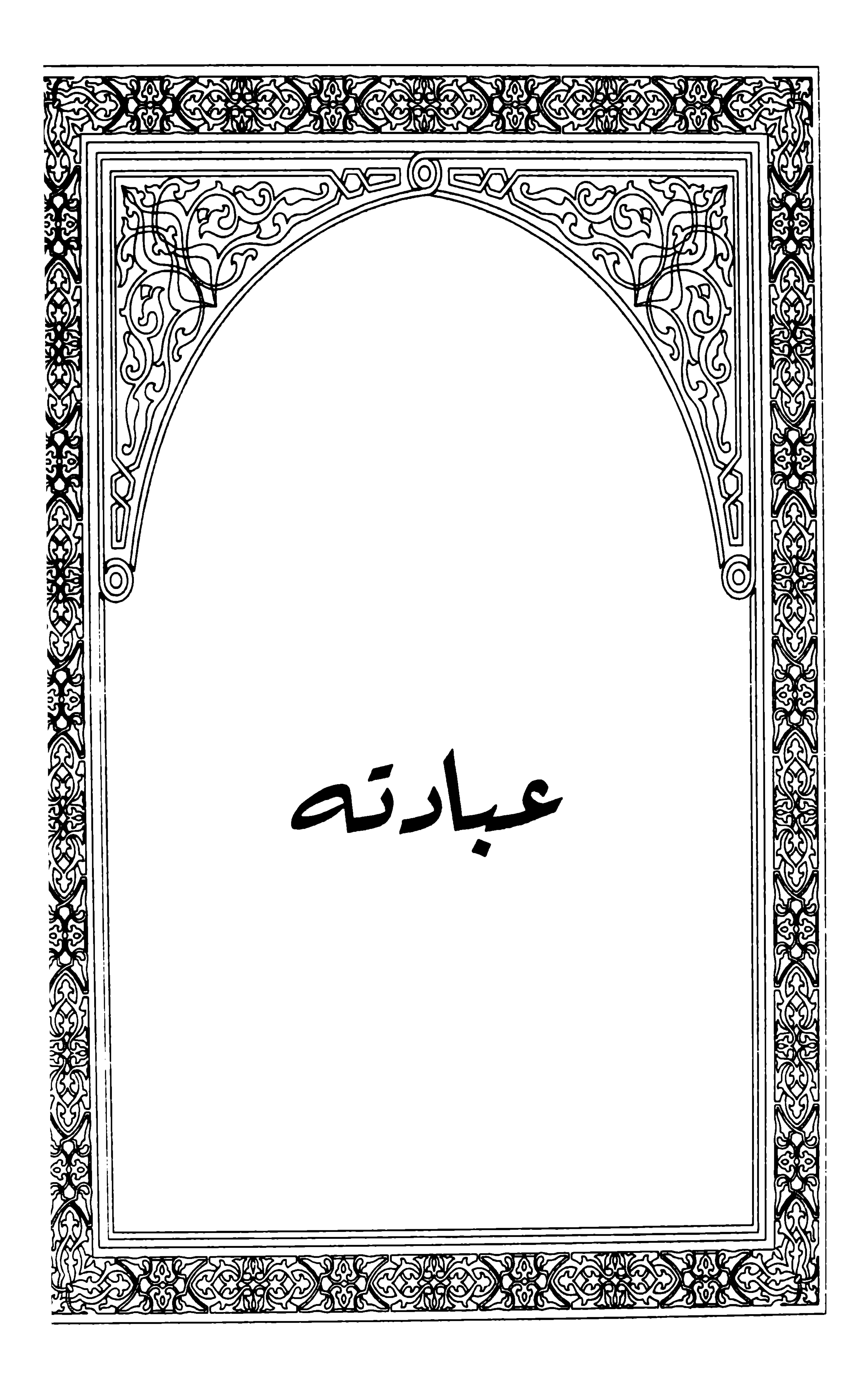
غير أن هذه الأم الكريمة ماتت في نفاسها، ولم تنجب أحداً إلا درة التاج النبوي: علي بن الحسين، ورحلت عن هذه الحياة مثلما يرحل الشهداء، حيث ورد أن المرأة التي تموت في نفاسها لها أجر الشهيد..

فهي زوجة سيد الشهداء، وإبنها أيضاً من الشهداء، وقد حصلت على أجر الشهادة..

فسلام الله عليها يوم ولدت، ويوم ماتت، ويوم تُبعث حيّة إلى رب غفور رحيم.

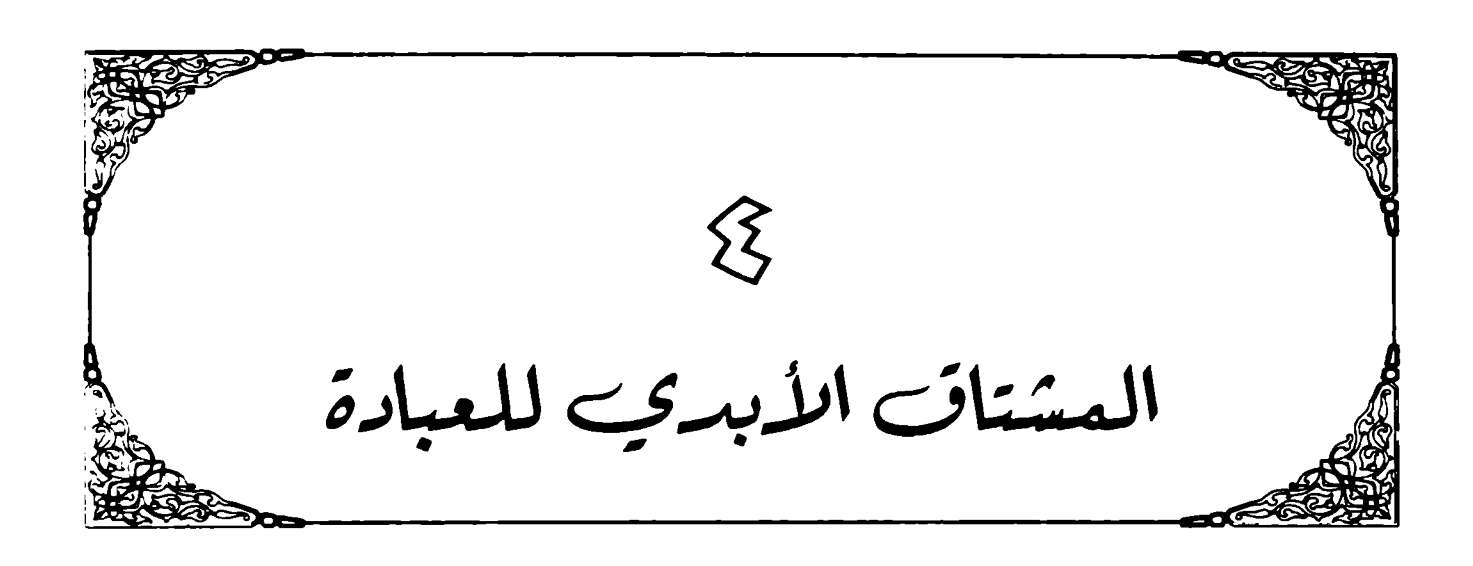
---

(١) البحار، ج٤٦، ص١٦٦.



عبادته





٤
المشتاق الأبدي للعبادة

كان منذ صغره مشتاقاً للعبادة، متحفّزاً للطاعة، متعلّقاً بكلّ عملٍ فيه رضا الله. .

قال إبراهيم بن أدهم: كنت أسيح في البادية مع جماعة، فعرضت لي حاجة فتنحيّت عن القافلة، فإذا أنا بصبيّ يمشي فقلت في نفسي: سبحان الله بادية بيداء، وصبيٌّ يمشي بلا زاد ولا راحلة؟، فدنوت منه وسلّمت عليه، فردَّ عليَّ السَّلام فقلت له: إلىٰ أين؟

قال: أُريد بيت ربّي،

فقلت: حبيبي، إنّك صغير ليس عليك فرض ولا سنّة.

فقال: يا شيخ أما رأيت من هو أصغر سنّاً منّي قد مات؟!

فقلت: مع من قطعت البرّ؟

قال: مع الباري.

قلت: أين الزاد والراحلة؟

قال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي.

فقلت: ما أرى شيئاً من الطعام معك؟

فقال: يا شيخ، هل يُستحسن أن يدعوك إنسان إلىٰ دعوة، فتحمل من بيتك الطعام؟

قلت: لا.

قال: الَّذي دعاني إلىٰ بيته هو يطعمني ويسقيني.

فقلت: ارفع رجلك حتّىٰ تدرك (أي اركب معي حتّىٰ تدرك الحجّ).

فقال: عليَّ الجهاد، وعليه الإبلاغ، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

فبينا نحن كذلك إذ أقبل شابٌ حسن الوجه، عليه ثياب بيض حسنة، فعانق الصَبيّ وسلّم عليه، فأقبلتُ على الشّاب، وقلت له: أسألك بالّذي حسّن خَلقك مَن هذا الصَبيّ؟

فقال: أما تعرفه؟ هذا عليُّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

فتركت الشّاب وأقبلت على الصّبيّ. وقلت: أسألك بآبائك من هذا الشّابُ؟

فقال: أما تعرفه؟ هذا أخي الخضر، يأتينا كلّ يوم فيسلّم علينا.

فقلت: أسألك بحقّ آبائك، لمّا أخبرتني بماذا تجوز المفاوز بلا زاد؟

قال: بل أجوز بزاد، وزادي فيها أربعة أشياء.

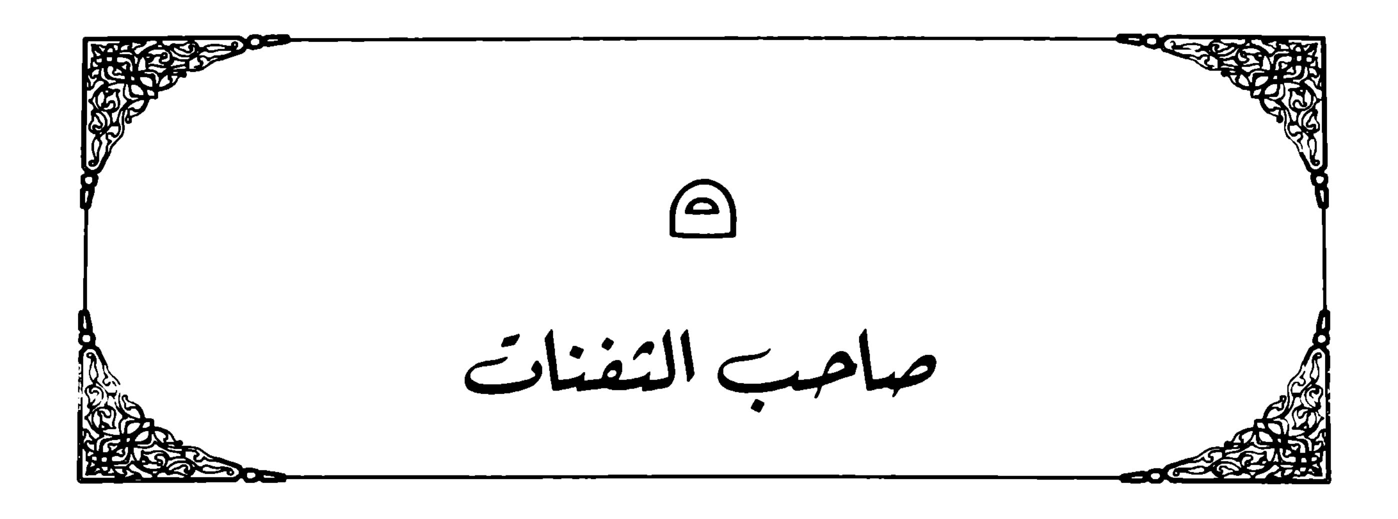
قلت: وما هي؟

قال: أرى الدُّنيا كلّها بحذافيرها مملكة الله، وأرىٰ الخلق كلّهم عبيد

الله، وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كلّ أرض الله.

فقلت: نعم، الزاد زادك يا زين العابدين، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة، فكيف بمفاوز الدنيا[1].

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٨٠.



كانت له بين السجدة والسجدة.. سجدة.!

وبين الدعاء والدعاء.. دعاء!

وبين الإبتهال والابتهال.. إبتهال!

كان يربط الليل بالنهار بالسجدة الطويلة!

ويغسل مرايا قلبه بالدمعة الغزيرة، وكان يخشوشن للعبادة ليزداد ثواباً على ذلك، فكان في حالة الصلاة يلبس أخشن ثيابه، ويبرز إلى موضع خشن فيصلّي فيه، ويسجد على الأرض[١].

رأوه يكثر السجود والبكاء، ويعفّر جبهته في التراب ويقول في سجوده: «سجد وجهي متعفّراً في التراب لخالقي، وحقّ له».

فقام إليه أحدهم وقال له: يا بن رسول الله تعذّب نفسك، وقد فضّلك الله بما فضّلك؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص١٠٨.

فبكىٰ، ثمّ قال: قال رسول الله: كلّ عين باكية يوم القيامة إلاّ أربع أعين: عين بكت من خشية الله، وعين فقئت في سبيل الله، وعين غضّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة ساجدة، يباهي بها الله الملائكة ويقول: انظروا إلىٰ عبدي، روحه عندي وجسده في طاعتي، قد جافى بدنه عن المضاجع، يدعوني خوفاً من عذابي، وطمعاً في رحمتي، إشهدوا أنّي قد غفرت له»[1].

* * *

وقد ذكر الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّ أباه عليّ بن الحسين عليه السلام، ما ذكر لله عزّ وجلّ نعمة عليه إلاّ سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلاّ سجد، ولا دفع الله عزّ وجلّ عنه سوءاً يخشاه، وكيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد، ولا وُفق لإصلاح ذات البين إلاّ سجد وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، ولذلك سمّي بالسجّاد[2].

وكان في موضع سجوده آثار ناتئة وكان يقطعها في السنة مرّتين، في كلّ مرّة خمس ثفنات ولذلك سمّي بذي الثّفنات[3] وكان يجمعها في كيس، ولما توفي دفنت معه.

* * *

وحدّث مولًى لهُ أنّه عليه السلام برز يوماً إلىٰ الصحراء، قال: فتبعته فوجدته قد

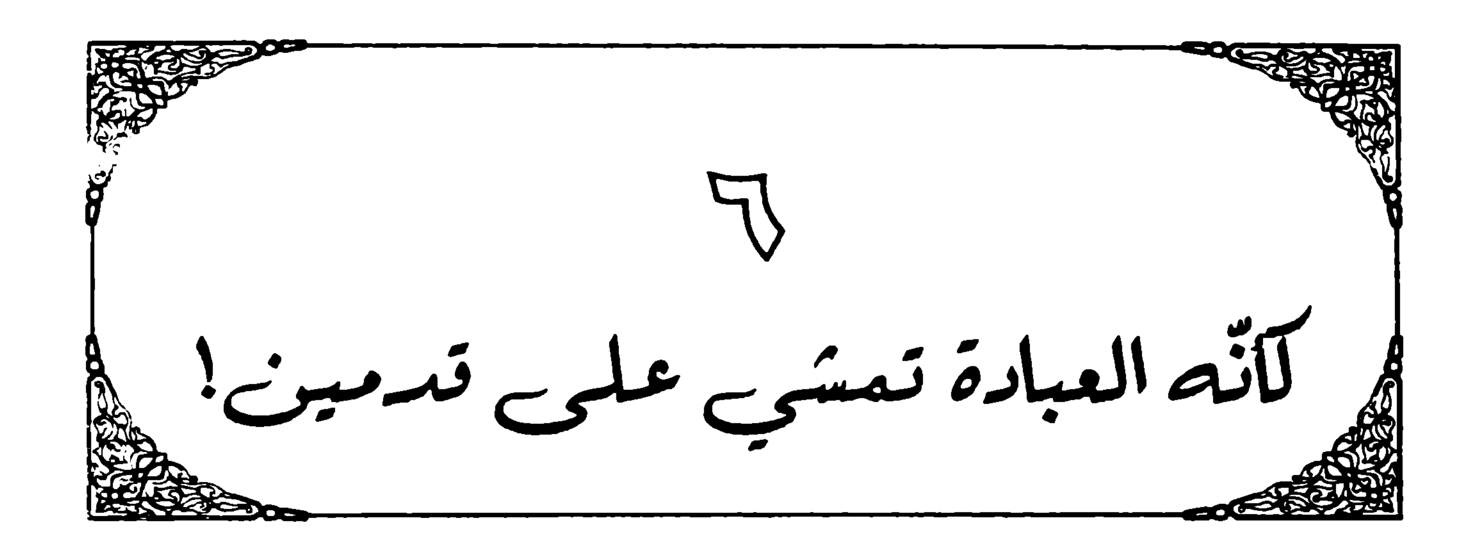
(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٩٩.

(٢) علل الشرائع، ص٨٨.

(٣) البحار: ج٤٦، ص٢٧١.

سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت عليه ألف مرّة يقول: «لا إلٰه إلاّ الله حقّاً حقّاً، لا إلٰه إلاّ الله تعبّداً ورقّاً، لا إلٰه إلاّ الله إيماناً وتصديقاً». ثمّ رفع رأسه من السجود، وانّ لحيته ووجهه قد غمس في الماء من دموع عينيه[1].

(١) الملهوف: ص١٨٨.



٦
كأنّه العبادة تمشي على قدمين!

لقد ذاب في العبادة.

وذابت العبادة فيه، حتّى أصبح - بعد آبائه الطاهرين - أفضل مَن صلّى لله. وأتقى مَن عبد ربّه، وأخلص مَن استجاب لدعوته.

لقد كان بحقّ سيد السّاجدين، وزين العابدين.

كان، كأنّه العبادة تمشي على قدمين.

وكأنّه الصلاة متجسدةً في مصلّاها، أو الدعاء متمثلاً في داعيه، أو الخشوع متقمّصاً شخصيّة الخاشع.

وحكاياته في العبادة أكثر من أن تحصىٰ..

قال طاوُس الفقيه: كنت أطوف حول الكعبة، فرأيت عليّ بن الحسين عليه السلام يطوف من العشاء حتّىٰ السّحر، ويتعبّد ربّه، فلما خلت الكعبة، ولم ير أحداً، رمق بطرفه إلى السماء وقال:

إِلَهِي غَارَتْ نُجُومُ سَمَاوَاتِكَ، وَهَجَعَتْ عُيُونُ أَنَامِكَ، وَأَنْتَ المَلِكُ الحَيُّ القَيُّومُ الَّذِي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ..

إِلٰهِي غَلَّقَتِ المُلُوكُ أَبْوَابَهَا، وَأَقَامَتْ عَلَيْهَا حُرَّاسُهَا، وَأَبْوابُكَ مُفَتَّحَة لِلسَّائِلِينَ، جِئْتُكَ لِتَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَتُرِينِي وَجْهَ جَدِّي مُحَمَّدﷺ فِي عَرَصَاتِ القِيٰامَة.

ثم بكى وقال:

وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ ما أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِي مُخالَفَتَكَ، وَما عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِكَ شَاكّ، وَلَا بِنَكَالِكَ جَاهِل، وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرّضٌ، وَلٰكِنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَأَعانَنِي عَلىٰ ذٰلِكَ سِتْرُكَ ٱلْمُرْخىٰ بِهِ عَلَيَّ، فَٱلآنَ مِنْ عَذٰابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي؟ وَبِحَبْلِ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟.

فَوٰاسَوْأَتٰاهُ غداً مِنَ ٱلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ، إِذٰا قِيلَ لِلْمُخِفِّينَ: جُوزُوا، وَلِلْمُثْقَلِينَ حُطُّوا، أَمَعَ ٱلْمُخِفِّينَ أَجُوزُ، أَمْ مَعَ ٱلْمُثْقَلِينَ أَحُطُّ.

وَيْلِي كُلَّما طٰالَ عُمْرِي كَثُرَتْ خَطَايَايَ، وَلَم أَتُبْ.

أَمٰا آنَ لِي أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْ رَبِّي؟

ثم بكى وقال:

سُبْحَانَكَ تُعْصَى كَأَنَّكَ لَا ترَى.. وَتَحْلُمْ كَأَنَّكَ لم تُعْصَ. تَتَوَدَّدُ إِلَى خَلْقَكَ بِحُسْنِ الصَّنِيعِ، كَأَنَّ بِكَ الحَاجَة إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ يَا سَيِّدِي الغَنِيُّ عَنْهُمْ.

ثمّ خرّ ساجداً وهو يقول:

عُبَيْدُكَ بِفِنٰائِكَ، مِسْكِينُكَ بِفِنٰائِكَ، سٰائِلُكَ بِفِنٰائِكَ، لَا تَرُدُّنِي مِنْ بَابِكَ.

قال طاوُس:

فدنوت منه، وأخذت برأسه ووضعته على ركبتي، وبكيت فجرت دموعي علىٰ خدّه، فاستوىٰ جالساً وقال: من الّذي اشغلني عن ذكر ربّي؟.

فقلت: أنا طاوُس يابن رسوْل الله، ما هذا الجزع والفزع؟، ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أمّا أنت فأبوك الحسين بن عليّ عليه السلام وأُمّك فاطمة الزهراء عليها السلام وجدّك رسول الله صلى الله عليه وآله..

فالتفت إليّ وقال: «هيهات هيهات يا طاوُس، دع عنك حديث أبي وأُمّي وجدّي خلق الله الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان سيّداً قرشيّاً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

«والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدّمها من عمل صالح»[1].

* * *

وقال حماد بن حبيب الكوفيّ خرجنا حجّاجاً، فرحلنا ليلاً فاستقبلتنا ريح سوداء مظلمة، فتقطّعت القافلة فتهت في تلك الصحاري والبراري، فانتهيت إلى واد قفر، فلمّا أن جنّ الليل أويت إلى شجرة عالية فلمّا أن اختلط الظلام، إذا أنا بشاب قد أقبل، وعليه أطمار بيض فقلت في نفسي: هذا وليّ من أولياء الله متىٰ أحسّ بحركتي خشيت نفاره، وان أمنعه عن كثير ممّا يريد فعاله.. فاخفيت نفسي ما استطعت، فدنا إلىٰ الموضع فتهيّأ للصلاة، ثمّ وثب قائماً وهو يقول: يا من حاز كلّ شيء ملكوتاً، وقهر كلّ شيء جبروتاً، أولجْ قلبي فرح الإقبال عليك، وألحقني بميدان المطيعين لك».

---

(١) المناقب: ج٣، ص٢٩١.

ثم دخل في الصلاة، فرأيته كلّما مرّ بآية فيها ذكر الوعد والوعيد يردّدها بانتحاب وحنين، فلمّا تقشّع الظلام، أخذ يقول: «يا من قصده الضالّون فأصابوه مرشداً، وأَمَّهُ الخائفون فوجدوه معقلاً، ولجأ إليه العابدون فوجدون موئلاً. . متىٰ راحةُ من نصب لغيرك بدنه؟ ومتى فرح من قصد سواك بنيّته؟».

«إلهي، قد تقشّع الظلام ولم أقض من خدمتك وطراً، ولا من حياض مناجاتك مدراً، صلّ على محمّد وآل محمّد، وافعل بي أولىٰ الأمرين بك، يا أرحم الراحمين».

فخفت أن يفوتني شخصه، وأن يخفى عليَّ أثره. فتعلّقت به فقلت له: بالّذي أسقط عنك ملال التعب، ومنحك شوق لذيذ الرهب إلا ألحقتني منك جناح رحمة، وكنف رقّة، فإنّي ضالّ وبُغيتي ما صنعت، ومناي ما نطقت.

فقال: لو صدق توكّلك ما كنت ضالاً، ولكن إتبعني واقف أثري». ثم أخذ بيدي فخيل إليَّ أن الأرض تميد من تحت قدمي، فلما انفجر عمود الصبح قال لي: البشرى فهذه مكّة فسمعت الضجّة ورأيت المحجّة فقلت له بالّذي ترجوه يوم الآزفة، من أنت؟

فقال: أما إذا أقسمت، فأنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[1].

* * *

وكان من عبادته أنّه كان دائم الصيام في النّهار، ودائم القيام في الليل، حتّى أنّ الناس سألوا مولاة له بعد موته، عن عبادته وطاعته، فقالت: أأُطنب أم أختصر؟ فقالوا لها اختصري.

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٤٠.

فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قطّ. ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ[1].

وكان يعبد الله ليلاً ونهاراً ويستقلّ ذلك من نفسه، فقد رُوي أن ابنه الإمام محمّد الباقر عليه السلام دخل على أبيه السجّاد فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه وقد اصفرّ لونه من السّهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فلم يملك الباقر عليه السلام نفسه من البكاء رحمة له، فإذا هو يفكّر.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «فالتفتَ إليّ بعد هنيئة من دخولي، فقال: «يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف الّتي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب»، فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده وقال: من يقوىٰ على عبادة عليّ؟[2].

❋ ❋ ❋

رأوه يصلّي في فناء الكعبة، فأطال القيام حتّى جعل مرّة يتوكأ على رجله اليمنىٰ، ومرّة علىٰ رجله اليسرى، ثمّ سمعوه يقول: «يا سيّدي تعذّبني، وحبّك في قلبي؟ أما وعزّتك لو فعلتَ لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك»[3].

❋ ❋ ❋

وعاتبه البعض على كثرة عبادته فقال: «والله لو تقطّعت أعضائي، وسالت مقلتاي على صدري، لن أكون قد قمت لله عزّ وجلّ بشكر عشر العشير، من نعمة واحدة من جميع نعمه الّتي لا يحصيها العادّون».

وأضاف: «لا والله، أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره، في

---

(١) الخصال: ص٤٨٨.

(٢) الخرائج والجرائح/ للراوندي ج٢، ص٨٩٠.

(٣) البحار: ج٤٦، ص١٠١.

ليل ولا نهار، ولا سرّ ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي عليّ حقّاً، ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلاّ القيام بها، حسب الوسع والطاقة حتّى أؤدّيها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلىٰ الله، ثمّ لم أرددهما حتّىٰ يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين».

فقال من حضره: «شتّان بين عبد طلب الآخرة وسعىٰ لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ماله في الآخرة من خلاق»[1].

❋ ❋ ❋

ولقد خاف أقرباء الإمام عليه من كثرة عبادته، فاستنجدوا بصحابة رسول الله ﷺ لكي يخفّف على نفسه خشية أن يموت.

فقد روي: أنّ فاطمة بنت الإمام عليّ عليه السلام لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها عليّ بن الحسين عليه السلام بنفسه من الدأب في العبادة، جاءت إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، فقالت له: يا صاحب رسول الله، إنّ لنا عليكم حقوقاً، ومن حقّنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله، وتدعوه إلىٰ البُقيا على نفسه، وهذا عليّ بن الحسين، بقيّة أبيه، قد انخرم أنفه، وثفنت جبهته وركبتاه ويداه، أذاب نفسه في العبادة».

فأتى جابر إلى بابه واستأذن، فلما دخل عليه وجده في محرابه قد اهزلته العبادة، فقال له: «يابن رسول الله، أما علمت أنّ الله إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الّذي كلّفته نفسك؟».

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا صاحب رسول الله.. أما علمت أنّ

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٥٧.

جدّي رسول الله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد - بأبي هو وأمّي - حتّى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

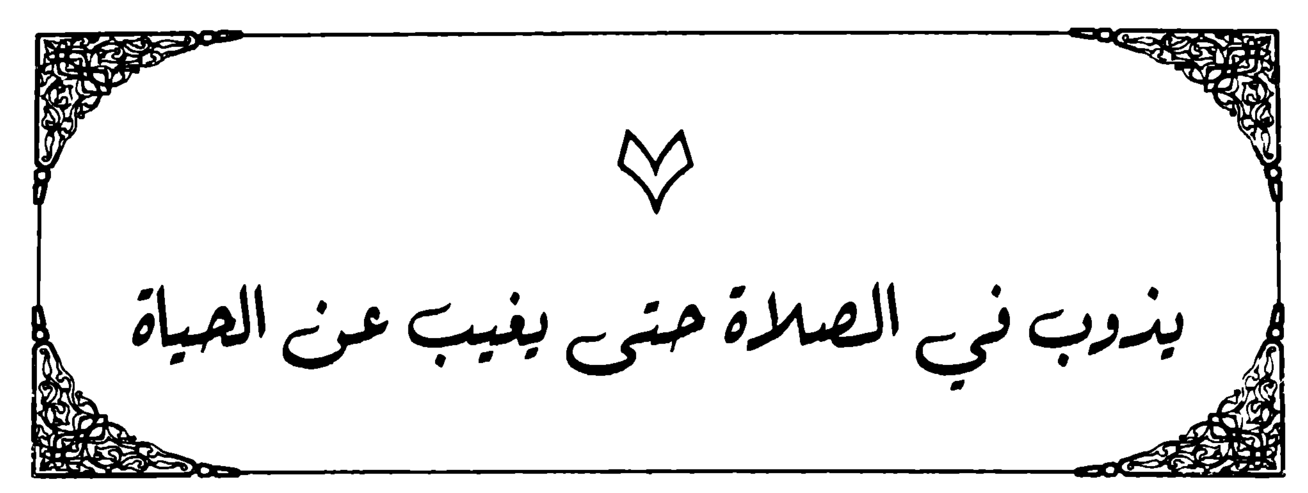
فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

فقال جابر: يا بن رسول الله، البُقيا على نفسك، فإنّك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم تستكشف اللأواء، وبهم تستمطر السماء».

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا جابر، لا أزال على منهاج أبويَّ محمّد ﷺ وعليّ عليه السلام مؤتسياً بهما حتّىٰ ألقاهما..».

فأقبل جابر علىٰ من حضر فقال لهم: «ما رُؤي من أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين عليه السلام إلاّ يوسف بن يعقوب.. ووالله، لذرّيّة عليّ بن الحسين عليه السلام أفضل من ذرّيّة يوسف»(١).

(١) المناقب: ج٤، ص١٤٨.



كان إذا أراد أن يصلّي يتغيّر لونه، ويقشعرّ جلده، وترتجف فرائصه، فإذا سُئل عن ذلك يقول: إنّي أُريد الوقوف بين يدي ملك عظيم.

أمّا إذا صلّىٰ فإنه يذوب في صلاته كما تذوب حبّة الملح علىٰ كفّ المحيط، فلم يكن يسمع ما يدور حوله. «وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل[١].

ولقد سقط بعض ولده في بئر، وكان يصلّي فلم يقطع صلاته، حتّىٰ إذا أتمّها قيل له في ذلك فقال: «كنتُ بين يدي جبّار، لو مِلت بوجهي عنه، لمال بوجهه عنّي أفمن يرىٰ راحماً بعده».

ثمّ قال: «ما شعرت.. إنّي كنت أناجي ربّاً عظيماً»[٢].

* * *

ووقع حريق في البيت الّذي هو ساجد فيه، فأخذ من حوله يصرخ: يابن رسول الله، النّار، النار!

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٧٩.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٣٤.

فما رفع رأسه حتّىٰ أطفئت، فقيل له بعد جلوسه: ما الذي ألهاك عن النار؟

فقال: ألهتني عنها النّار الكبرىٰ[1].

* * *

وسقط بعض ولده في بعض الليالي فانكسرت يده، فصاح أهل الدار، وأتاهم الجيران وجيء بالمجبّر فجبّر يد الصّبيّ، وهو يصيح من الألم، والسجّاد يصلّي، فلم يسمع كلّ ذلك، فلمّا رأىٰ الصّبيَ في الصباح، ويده مربوطة إلى عنقه قال: ما هذا؟ فأخبروه بما جرىٰ[2].

* * *

ولقد صلّى ذات يوم فسقط الرداء عن أحد منكبيه، فلم يسوّه حتّىٰ فرغ من صلاته، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: «ويحك، أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا تقبل من صلاته إلاّ ما أقبل عليه منها بقلبه»[3].

وعندما كان الإمام يقبل بقلبه علىٰ ربّه في صلاة، فإنّه كان لا يترك صلاته حتّىٰ ينهيها، مع قطع النظر عمّا يجري، ولقد روي أنّه كان قائماً يصلّي عندما رأىٰ ثعباناً يزحف علىٰ الأرض، فلم يقطع صلاته، تاركاً مصيره بين يدي ربّه الّذي انشغل بعبادته.

* * *

حقاً.. لو لم يكن للبشرية هداة إلاّ السّجّاد، لكفاهم دليلاً علىٰ ربّهم، وهادياً لما يصلح أمرهم، ومرشداً لما فيه خيرهم..

---

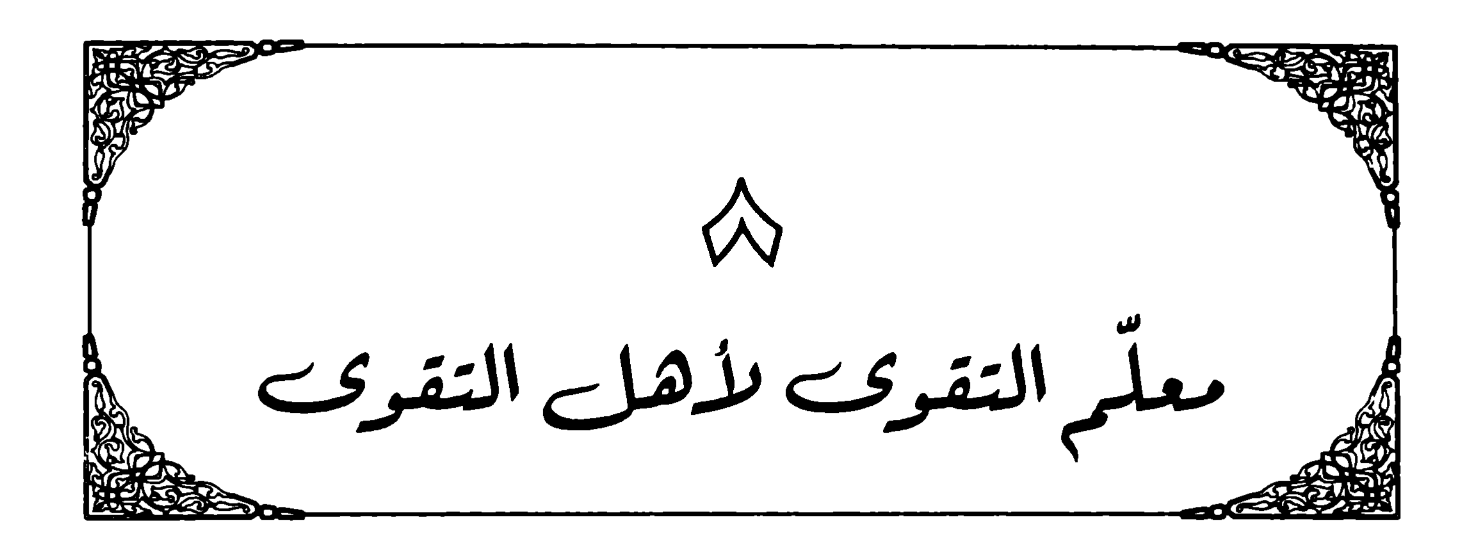
(١) المناقب: ج٤، ص١٥٠.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٨٠.

(٣) علل الشرائع: ص٨٨.

فهو وحده كان قادراً على أن يسعد الناس في دنياهم، ويقودهم إلىٰ رضوان الله في آخرتهم.

فهو منارة في بحر الظلمات. يرشد الضائعين إلىٰ المرساة.. ويعلّم الناس ما ينفعهم في الحياة، وما ينجيهم بعد الممات.



٨
معلّم التقوى لأهل التقوى

صلّىٰ، فعلّم المصلّين كيف يصلّون؟

وسجد، فعلّم الساجدين كيف يسجدون؟

ودعا، فعلّم الداعين كيف يدعون؟

وذكر، فعلّم الذاكرين كيف يذكرون؟

واستغفر، فعلّم المستغفرين كيف يستغفرون؟

فهو معلّم التقوى لأهل التّقوىٰ.

ومرشد أهل الإيمان إلى الإيمان.

وإمام الصلاح للصالحين.

وزين المسبحين.

ومنار الطاعة للقانتين.

ولقد علّم الجميع معنى الإخلاص في العمل، عندما عبد الله عبادة الأحرار مقتدياً بذلك بجده الإمام أمير المؤمنينعليه السلام الذي قال: إلهي، ما

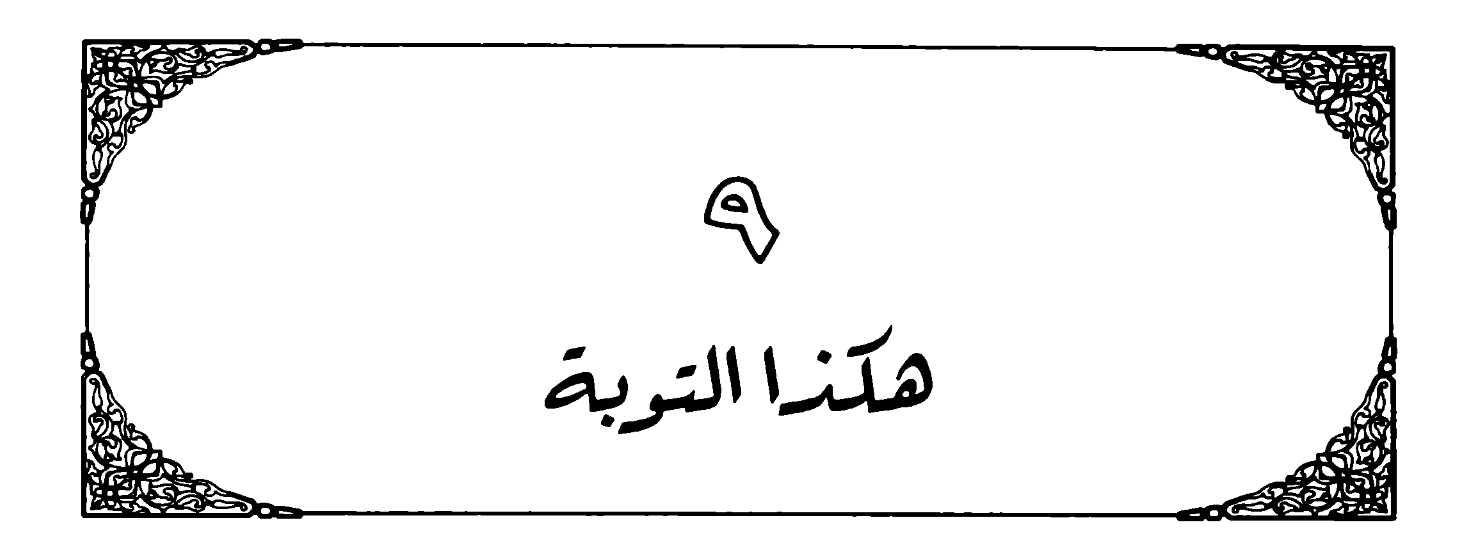
عبدتك إذ عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» وقد أعرب السجادعليه السلام عن إخلاصه هذا بقوله: «إني أكره أن أعبد الله، ولا غرض لي إلا ثوابه، فأكون كالعبد الطامع ان طمع عمل، وإلا لم يعمل.

واكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل».

فقال له أحدهم: فبم تعبده؟

فأجابعليه السلام: «أعبده لما هو أهله بأياديه وانعامه»[1].

(١) تفسير العسكري ص١٣٢.



٩
هكذا التوبة

كان يرىٰ الآخرة جدّاً، لا هزل فيه.

ويرى الحياة فرصة للتوبة، لا عودة لها.

فلم يكن يرىٰ لإبن آدم نفسين يجرّب بالأولىٰ، ثمّ يستقبل التوبة بالثانية، وإنّما يراها نفساً واحدة، إذا ذهبت فقد ذهبت التوبة.

ففي كلّ المناسبات المباركة كان يتوب إلىٰ ربّه، ويعلّم الآخرين كيف يتوبون. وكانت توبته عمليّة، وليست مجرد كلام ودعاء فحسب.

فقد روي «أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام كان إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: إن فلاناً أذنب في يوم كذا، أو أنّ فلانة أذنبت يوم كذا وكذا. ولم يعاقبهم، فيجتمع عليهم الأدب، حتّىٰ إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثمّ أظهر لهم الكتاب الّذي أحصىٰ فيه ذنوبهم، ثمّ نادىٰ كلّ واحد منهم وقال: يا فلان هل فعلت كذا وكذا، ولم أأدّبك؟ أتذكر ذلك؟فيقول: بلىٰ يابن رسول الله..

حتّىٰ يأتي علىٰ جميعهم، فيقرّون بذنوبهم، ثمّ يقوم وسطهم، ويقول لهم:

«إرفعوا أصواتكم وقولوا: يا عليّ بن الحسين إنّ ربّك قد أحصىٰ عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا كلّ ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ممّا أتيت إلاّ أحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، فاعف واصفح، كما ترجو من المليك العفو، وكما تحبُّ أن يعفو المليك عنك، فاعف عنّا، تجده عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربّك أحداً، كما لديك كتاب ينطق بالحقّ علينا لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ممّا أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا عليّ بن الحسين، ذلّ مقامك بين يدي ربّك الحكيم العدل، الّذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة وكفىٰ بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفُ عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

وكان الإمام ينادي بذلك على نفسه ويلقّنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: «ربّ إنّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت فاعف عنّا، فإنّك أولىٰ بذلك منّا، ومن المأمورين. وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا، وقد أتيناك سُؤالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك، نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيّبنا فإنّك أولىٰ بذلك منّا ومن المأمورين. .

«إلٰهي كرمت، فاكرمني إذ كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف، فاخلطني بأهل نوالك يا كريم».

ثمّ كان عليه السلام يقبل علىٰ عبيده فيقول لهم: «قد عفوت عنكم، فهل

عفوتم عنّي، وممّا كان منّي إليكم من سوء ملكة، فإنّي مليك سوء، لئيم، ظالم، مملوك لمليك كريم جوادٍ عادلٍ محسنٍ متفضّل؟

فيقولون: قد عفونا عنك يا سيّدنا، وما أسأت».

فيقول لهم قولوا: «اللّهُمَّ اعف عن عليٍّ بن الحسين، كما عفا عنّا، فاعتقه من النّار كما أعتق رقابنا من الرّقّ».

فيقولون ذلك، فيقول: اللّهُمَّ آمين ربَّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاءً للعفو عنّي وعتق رقبتي». . فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس.

وما من سنة إلاّ وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلىٰ أقلّ أو أكثر، وكان يقول: إنَّ لله تعالىٰ في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار، كلاً قد استوجب النّار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، وإنّي لأُحبُّ أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدُّنيا، رجاء أن يعتق رقبتي من النار[1].

يقول المرحوم العلامة الشيخ محمد جواد مغنية بعد ذكر هذا الحديث: «لو مثلت هذه الرواية، كما هي، على مسرح عام لأحدثت ثورة في العقول، ولفعلت فعل السحر في النفوس، واتجهت بها إلى الله، وعمل الخير، وكانت أجدى من ألف كتاب في المواعظ والأخلاق.

ولو أنّ الذين يهتمون بالأخلاق ومشكلات المجتمع أطلعوا عليها وعلى أمثالها من سيرة الإمام السجاد، وتنبهوا إلى ما تحويه من الأسس والقوانين.

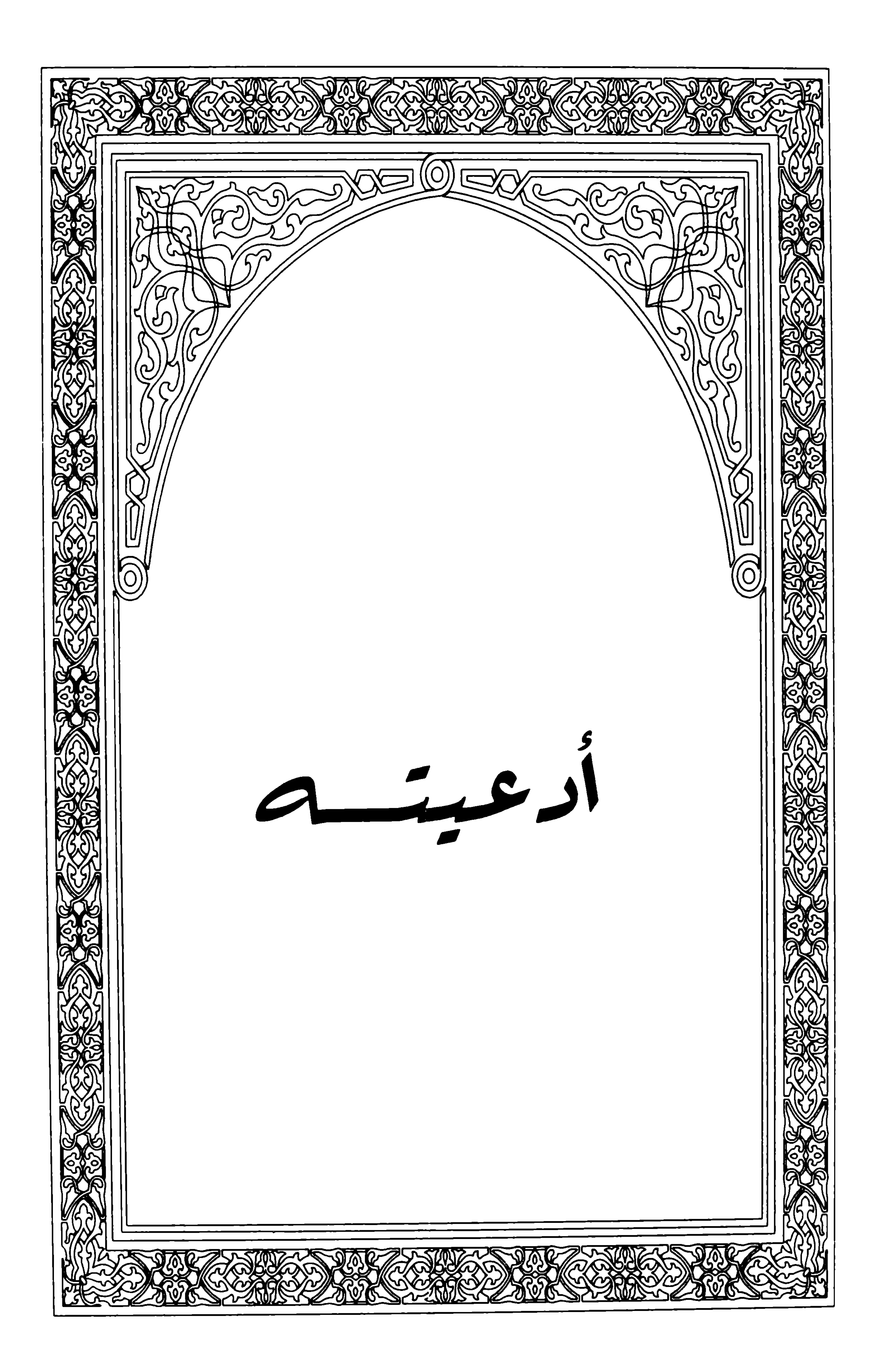
---

(١) الأمثال: ص٤٧٧.

لبلغوا الغاية المنشودة من أقصر الطرق وأيسرها. لقد عينت لنا هذه الرواية أن حب الله سبحانه يجب أن يؤدي إلى حب عباده، وحب الحرية لهم، وأن رفيق الله هو صديق الإنسان الذي لا يعرف التعصب ولا العنصرية ولا القسوة.

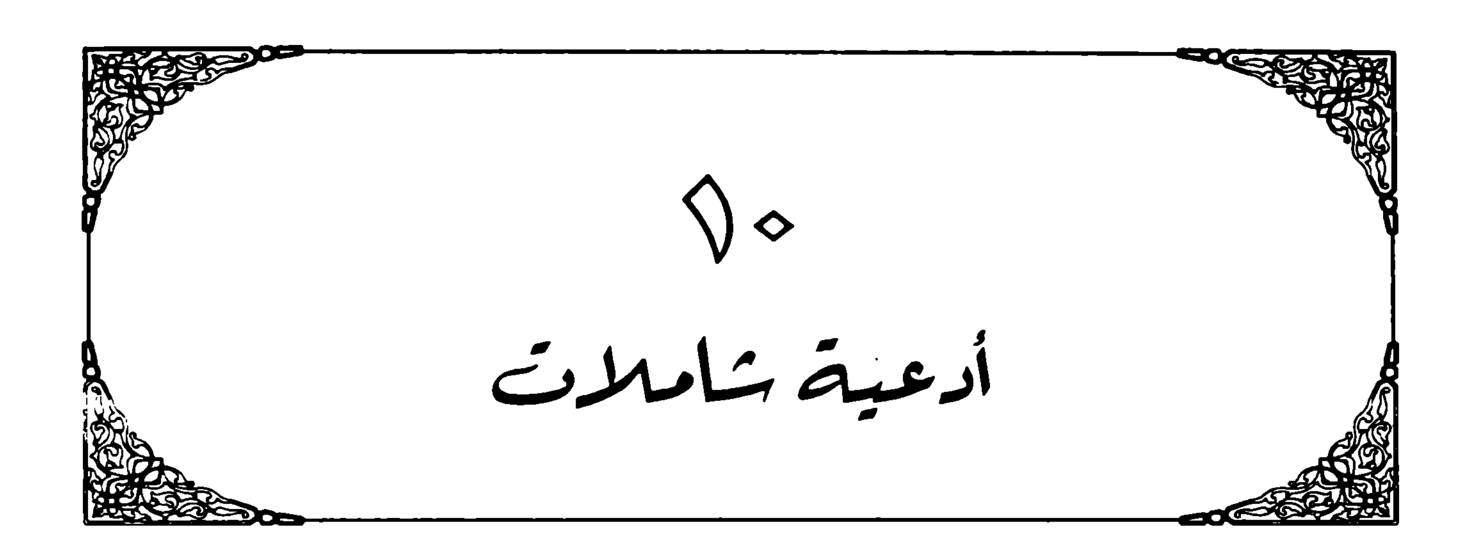
«وهكذا فإن التراث الذي تركه أهل البيت للإنسانية لا نجده في جامعة، ولا في كتاب ولا عند أمة من الأُمم»[1].

(١) نبذة من حياة الرسول وأهل بيته، ص٥٨.



أدعيته





١٠
أدعية شاملات

حقاً إنّ أدعية السّجّاد كاملات شاملات، تستوعب جميع الحاجات، سواء ما يرتبط بدنيا الإنسان أم بآخرته، أبمصالحه أم بعلاقاته، بنفسه أم بعائلته.

لنستمع إلىٰ واحد من هذه الأدعية، ولنردّد معه وهو يقول:

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَٱخْتِمْ لِي بِخَيْرٍ، وَٱكْفِنِي مٰا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيٰايَ وَآخِرَتِي، وَلٰا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لٰا يَرْحَمُنِي، وَٱجْعَلْ عَلَيَّ مِنْكَ جُنَّةً وٰاقِيَةً بٰاقِيَةً، وَلٰا تَسْلُبْنِي صٰالِحَ مٰا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَٱرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ رِزْقاً وٰاسِعاً حَلٰالاً طَيِّباً..

أَللَّهُمَّ ٱحْرُسْنِي بِحَرٰاسَتِكَ وَٱحْفَظْنِي بِحِفْظِكَ وَٱكْلأْنِي بِكَلٰاءَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

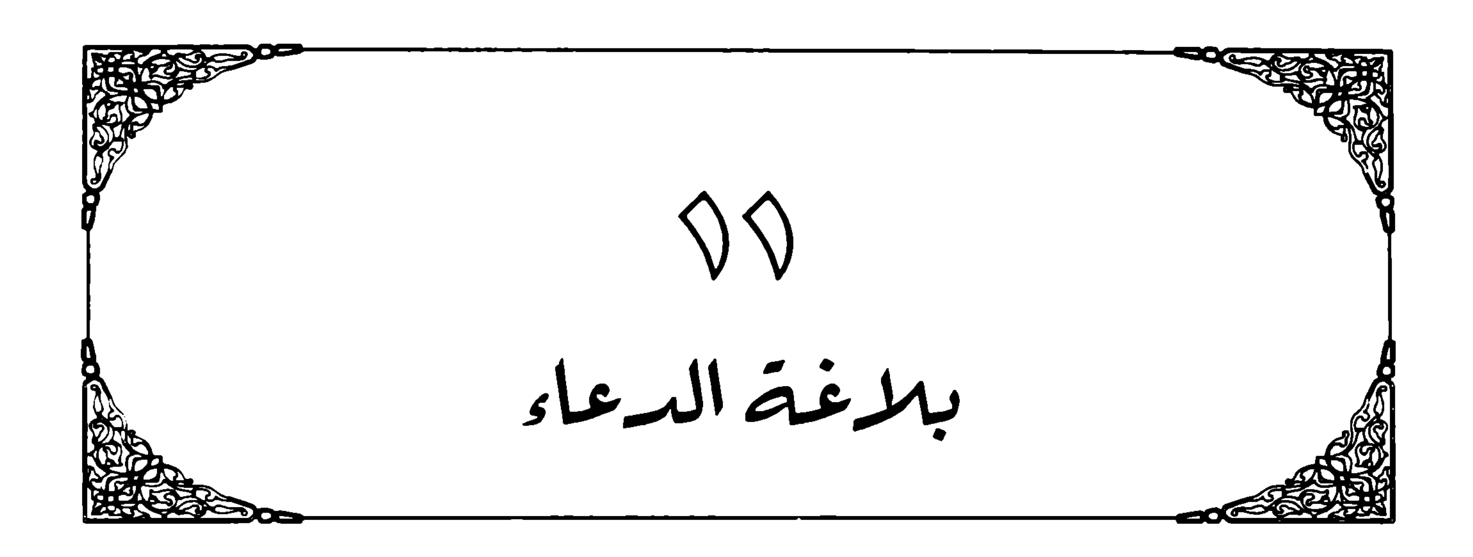
ويقول: **أَللَّهُمَّ أَعْطِنِي ٱلسَّعَةَ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلأَمْنَ فِي ٱلْوَطَنِ، وَقُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فِي ٱلأَهْلِ وَٱلْمٰالِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلْمُقٰامَ فِي نِعَمِكَ عِنْدِي وَٱلصِّحَّةَ فِي ٱلْجِسْمِ وَٱلْقُوَّةَ فِي ٱلْبَدَنِ وَٱلسَّلٰامَةَ فِي ٱلدِّينِ وَٱجْعَلْنِي مِنْ أَوْفَرِ عِبٰادِكَ**

عِنْدَكَ نَصِيباً فِي كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ وَتُنْزِلُهُ فِي شَهْرِ رَمَضٰانَ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمٰا أَنْتَ مُنْزِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ رَحْمَةٍ تَنْشُرُهٰا وَعٰافِيَةٍ تُلْبِسُهٰا وَبَلِيَّةٍ تَدْفَعُهٰا وَحَسَنٰاتٍ تَتَقَبَّلُهٰا وَسَيِّئٰاتٍ تَتَجٰاوَزُ عَنْهٰا[1].

ويقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مٰا سَأَلَكَ مِنْهُ عِبٰادُكَ ٱلصّٰالِحُونَ يٰا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وَأَجْوَدَ مَنْ أَعْطىٰ أَعْطِنِي سُؤْلِي فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَوٰالِدَيَّ وَوَلَدِي وَأَهْلِ حُزٰانَتِي وَإِخْوٰانِي فِيكَ وَأَرْغِدْ عَيْشِي وَأَظْهِرْ مُرُوءَتِي وَأَصْلِحْ جَمِيعَ أَحْوٰالِي وَٱجْعَلْنِي مِمَّنْ أَطَلْتَ عُمُرَهُ وَحَسَّنْتَ عَمَلَهُ وَأَتْمَمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ وَرَضِيتَ عَنْهُ وَأَحْيَيْتَهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً فِي أَدْوَمِ ٱلسُّرُورِ وَأَسْبَغِ ٱلْكَرٰامَةِ[2].

(١) البحار: ج٩٥ ص٩١.

(٢) البحار: ج٩٥ ص٩١.



١١
بلاغة الدعاء

البلاغة وجمال الأداء، سمة أخرىٰ من سمات أدعية السّجّاد، فهي تأتي بعد نهج البلاغة في الفصاحة، تماماً كما تأتي بعدها في بيان المعارف، ذلك أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يضعون مصباح الحقيقة في مشكاة البلاغة، ويصبّون زيت الجمال على مشعل المعرفة.

انظر كيف يصوغ أدعيته في القوالب الجمالية فيقول:

أَللَّهُمَّ كِدْ لَنَا وَلاَ تَكِدْ عَلَيْنَا، وَامْكُرْ لَنَا وَلاَ تَمْكُرْ بِنَا، وَأَدِلْ لَنَا وَلاَ تُدِلْ مِنَّا.

ويقول: **أَللَّهُمَّ إِنَّ مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ وَمَنْ تَهْدِهِ يَعْلَمْ وَمَنْ تُقَرِّبْهُ إِلَيْكَ يَغْنَمْ**[1].

ويقول: **أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ.**

---

(١) الصحيفة السجادية: ص٣٠.

أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلاَيَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً[1].

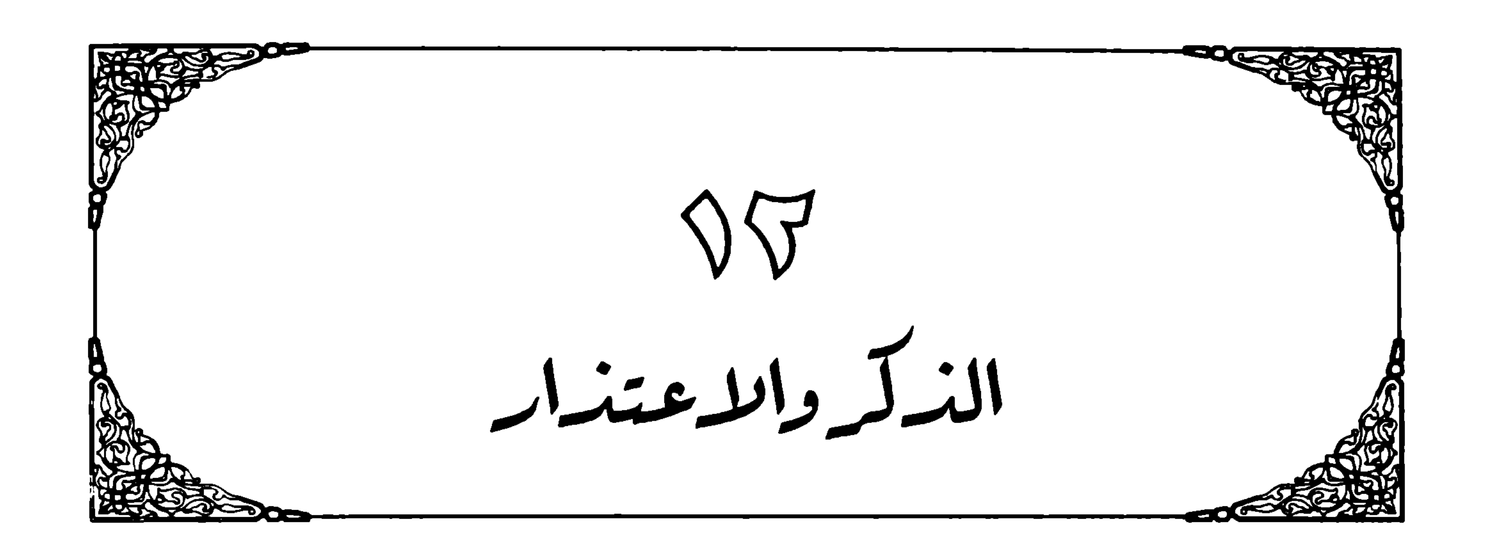
ويقول: أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ، وَرَضِّنِي بِمَا أَخَذْتَ لي وَمِنِّي، وَاهْدِنِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ[2].

* * *

وهكذا كانت أدعية السجاد محشوة بعبارات من الجمال، مزينة بحكمة المعرفة، وسحر البيان في أناقة من التعبير الجميل، «كأن الله جل جلاله، هو المصغي إليها، وهو المهيمن فيها كما كان كذلك في القرآن الكريم».

(١) دعاء مكارم الأخلاق الصحيفة السجّادية ٢٠.

(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء ١٤.



١٢
الذكر والاعتذار

على النقيض ممّا يفعله الجاهلون، الّذين إذا ذكروا الله منّوا على ربّهم بذكرهم إيّاه، فإن السجّاد كان يذكر الله، ويعتذر إليه من ذكره، ويقدّسه ويعتذر إليه من تقديسه، ويستغفره ويعتذر إليه من استغفاره، ويقول:

إلٰهِي لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إيّاكَ، عَلىٰ أنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي لا بِقَدْرِكَ.

وَما عَسىٰ أنْ يَبْلُغَ مِقْدارِي، حَتّىٰ أُجْعَلَ مَحَلاً لِتَقْدِيسِكَ؟ وَمِنْ أعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا، جَرَيانُ ذِكْرِكَ عَلىٰ ألْسِنَتِنا وَإذْنُكَ لَنا بِدُعائِكَ، وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ. إلٰهِي فَألْهِمْنا ذِكْرَكَ فِي الْخَلاءِ وَالْمَلاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالإعْلانِ وَالإسْرارِ، وَفِي السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ وَآنِسْنا بِالذِّكْرِ الْخَفِيِّ، وَاسْتَعْمِلْنا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ[1].

وكان يقول: **يا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذّاكِرِينَ، وَيا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ**

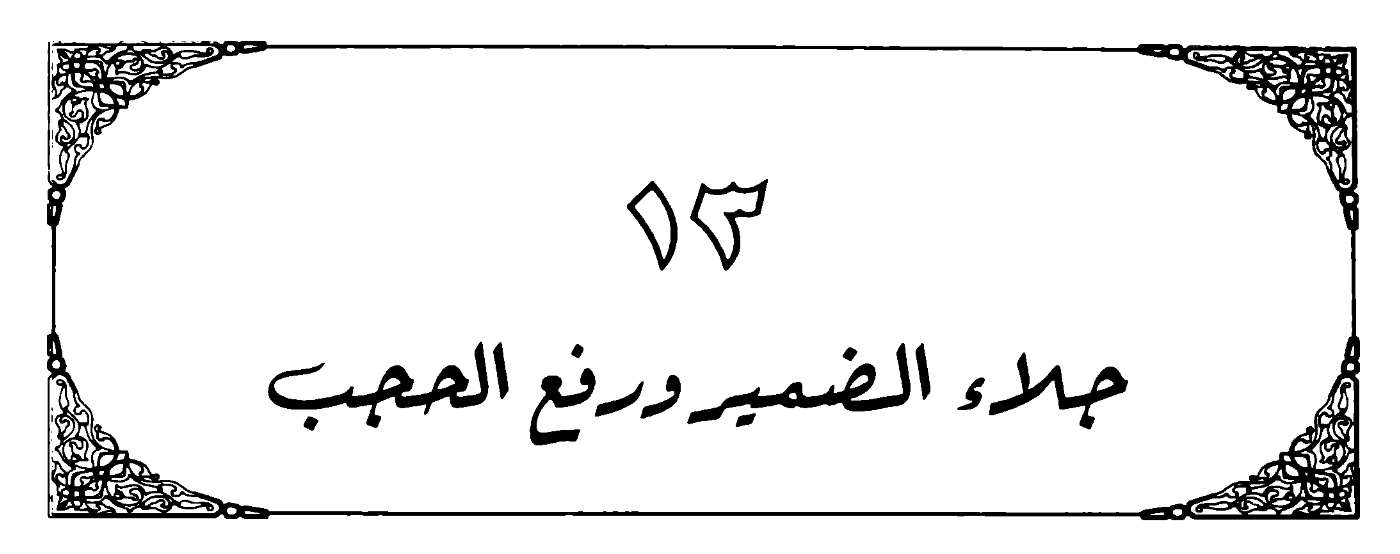
---

(١) الصحيفة السجادية، مناجاة الذاكرين: ص٤١٨.

لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ[1].

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء السادس.



١٣

جلاء الضمير ورفع الحجب

يتوغّل بدعائه في أعماق النفس البشرية فيثير العقول، ويجلو الضمائر، ويرفع الحجب واحداً بعد واحد، ويقمع شهوات النفس جميعاً، ويتحدّى وساوس إبليس، فيوصل الداعي إلى نبع الفطرة ويفجّر فيه ينابيع الحقيقة، ففي كلّ دعاء من أدعيته إثارة جديدة للعقل، ويقظة متجدّدة للضمير، وترميم جديد للوجدان..

فعندما تسمعه يقول:

إِلٰهِي لَمْ أَعْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاحِدٌ وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلَا لِوَعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ لٰكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَغَلَبَنِي هَوَايَ وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِقْوَتِي وَغَرَّنِي سِتْرُكَ ٱلْمُرْخَىٰ عَلَيَّ فَقَدْ عَصَيْتُكَ وَخَالَفْتُكَ بِجُهْدِي فَالآنَ مِنْ عَذَابِكَ مَنْ يَسْتَنْقِذُنِي وَمِنْ أَيْدِي ٱلْخُصَمَاءِ غَداً مَنْ يُخَلِّصُنِي وَبِحَبْلِ مَنْ أَتَّصِلُ إِنْ أَنْتَ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي فَوَاسَوْأَتَا عَلَىٰ مَا أَحْصَىٰ كِتَابُكَ مِنْ عَمَلِي(١)؟

فإنك تشعر كأنّه ينطق عن ضميرك، ويتحدّث عن مشكلتك مع نفسك

---

(١) البحار ج٩٥، ص٨٧.

وهواك وشهواتك. وعندما تسمعه يقول:

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَضعْفِ ٱلصَّبْرِ، وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَشَكَاسَةِ الْخُلُقِ، وَإِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَىٰ، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَإِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِصْرَارِ عَلَى الْمَأْثَمِ، وَاسْتِصْغَارِ الْمَعْصِيَةِ وَاسْتِكْبَارِ [وَاسْتِكْثَارِ] ٱلطَّاعَةِ، وَمُبَاهَاةِ الْمُكْثِرِينَ وَالإِزْرَاءِ بِالْمُقِلِّينَ، وَسُوءِ الْوِلاَيَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا، وَتَرْكِ ٱلشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا، أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أَوْ نَرُوْمَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقّ، أَوْ نَقُولَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشِّ أَحَدٍ، وَأَنْ نُعْجَبَ بِأَعْمَالِنَا وَنَمُدَّ فِي آمَالِنَا. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ وَاحْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطَانُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرَافِ وَمِنْ فُقْدَانِ الْكَفَافِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الأَكْفَاءِ، وَمِنْ مَعِيشَةٍ فِي شِدَّةٍ وَمِيتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمىٰ وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَىٰ، وَأَشْقَىٰ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْمَآبِ، وَحِرْمَانِ الثَّوَابِ وَحُلُوْلِ الْعِقَابِ. ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ[١].

تشعر أنّه يثير فيك الكوامن الخيّرة، ويبعدك عن الكوامن الشريرة. ويدفعك إلى علياء الإيمان بعيداً عن الآثام.

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء الثامن.

١٤

الهائم بحب الله

كان هائماً بحبّ الله. دائم الذكر لله، ذائباً في عبادة الله، ينطلق من حبّ الله إلى عبادته، ومن عبادته إلى توحيده، ومن توحيده إلى طاعته، ومن طاعته إلى التقرّب إليه، ومن التقرّب إليه إلىٰ الإخلاص له.

يقول عليه السلام: **إِلٰهِي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ، فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ، فَابْتَغىٰ عَنْكَ حِوَلاً. إِلٰهِي فَاجْعَلْنا مِمَّنْ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ، وَأَخْلَصْتَهُ لِوِدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ إِلىٰ لِقائِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضائِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ.**

أَللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ دَأْبُهُمُ الإِرْتِياحُ إِلَيْكَ وَالْحَنِينُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ وَالأَنِينُ، جِباهُهُمْ ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ وَعُيُونُهُمْ ساهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ، يا مَنْ أَنْوارُ قُدْسِهِ لِأَبْصارِ مُحِبِّيهِ رائِقَةٌ، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عارِفِيهِ شائِقَةٌ. يا مُنىٰ قُلُوبِ الْمُشْتاقِينَ، وَيا غايَةَ آمالِ الْمُحِبِّينَ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلىٰ قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِواكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيّاكَ قائِداً إِلىٰ رِضْوانِكَ،

وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذٰائِداً عَنْ عِصْيٰانِكَ، وَامْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ، وَلا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الإِسْعٰادِ وَالْحُظْوَةِ عِنْدَكَ يٰا مُجِيبُ يٰا أَرْحَمَ الرّٰاحِمِينَ[1].

ويطلب من ربّه أن يجعله من أخلص محبّيه، وأقرب المشتاقين إليه، ويقول:

اللَّهُمَّ اجْعَلْنٰا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجٰارُ الشَّوقِ إِلَيْكَ فِي حَدٰائِقِ صُدُورِهِمْ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجٰامِعِ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ إِلىٰ أَوْكٰارِ الأَفْكٰارِ يَأْوُونَ، وَفِي رِيٰاضِ الْقُرْبِ وَالْمُكٰاشَفَةِ يَرْتَعُونَ، وَمِنْ حِيٰاضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلاطَفَةِ يَكْرَعُونَ، وَشَرٰايِعَ الْمُصَافَاةِ يَرِدُونَ[2]..

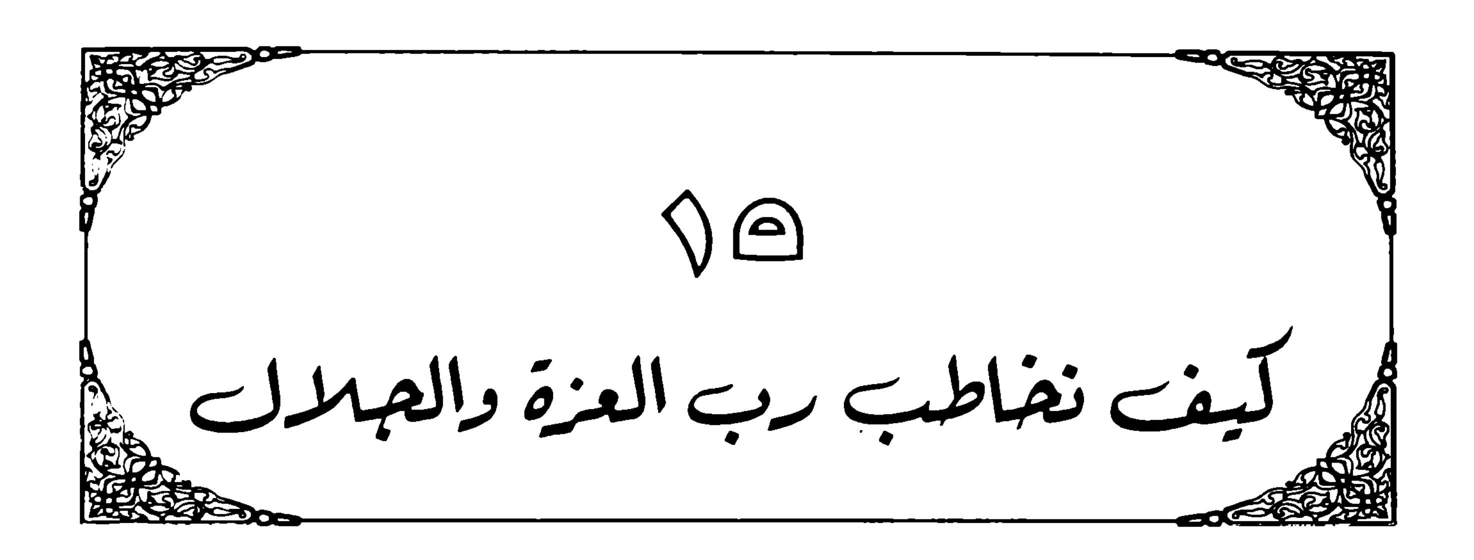
فَيٰا مَنْ هُوَ عَلَى الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مُقْبِلٌ، وَبِالْعَطْفِ عَلَيْهِمْ عٰائِدٌ مُفْضِلٌ، وَبِالْغٰافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ رَحِيمٌ رَؤُوفٌ، وَبِجَذْبِهِمْ إِلىٰ بٰابِهِ وَدُودٌ عَطُوفٌ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَوْفَرِهِمْ مِنْكَ حَظّاً، وَأَعْلاهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلاً، وَأَجْزَلِهِمْ مِنْ وُدِّكَ قِسْماً، وَأَفْضَلِهِمْ فِي مَعْرِفَتِكَ نَصِيباً، فَقَدِ انْقَطَعَتْ إِلَيْكَ هِمَّتِي، وَانْصَرَفَتْ نَحوَكَ رَغْبَتِي فَأَنْتَ لاَ غَيْرُكَ مُرٰادِي، وَلَكَ لا لِسِوٰاكَ سَهَرِي وَسُهٰادِي وَلِقٰاؤُكَ قُرَّةُ عَيْنِي، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي، وَإِلىٰ هَوٰاكَ صَبٰابَتِي، وَرِضٰاكَ بُغْيَتِي، وَرُؤْيَتُكَ حٰاجَتِي، وَجِوٰارُكَ طَلَبِي، وَقُرْبُكَ غٰايَةُ سُؤْلِي، وَفِي مُنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرٰاحَتِي، وَعِنْدَكَ دَوٰاءُ عِلَّتِي، وَشِفٰاءُ غُلَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي[3].

---

(١) الصحيفة السجادية، مناجاة المحبّين.

(٢) بحار الأنوار ج٩١ ص٥٠.

(٣) بحار الأنوار ج٩١ ص١٤٨.



١٥
كيف نخاطب رب العزة والجلال

من السجّاد نتعلّم كيف نخاطب ربّ العزّة والجلال . .

وكيف ندعوه ونحن نحن، وهو هو؟ وكيف نستغفره لذنوبنا، وكيف نطلب منه حاجاتنا، وكيف نستدرّ منه شآبيب رحمته؟

لنستمع إليه، ونردّد معه هذه المقاطع من أدعيته:

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ لَئِنْ طالَبْتَنِي بِذُنُوبِي لأُطالِبَنَّكَ بِعَفْوِكَ وَلَئِنْ طالَبْتَنِي بِلُؤْمِي لأُطالِبَنَّكَ بِكَرَمِكَ وَلَئِنْ أَدْخَلْتَنِي ٱلنَّارَ لأُخْبِرَنَّ أَهْلَ ٱلنَّارِ بِحُبِّي لَكَ.

إِلَهِي إِنْ أَدْخَلْتَنِي ٱلنَّارَ فَفِي ذٰلِكَ سُرُورُ عَدُوِّكَ وَإِنْ أَدْخَلْتَنِي ٱلجَنَّةَ فَفِي ذٰلِكَ سُرُورُ نَبِيِّكَ وَأَنا وَٱللَّهِ أَعْلَمُ أَنَّ سُرُورَ نَبِيِّكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ سُرُورِ عَدُوِّكَ.

إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ كُنْتَ لا تَغْفِرُ إِلاَّ لأَوْلِيائِكَ وَأَهْلِ طاعَتِكَ فَإِلَىٰ مَنْ

يَفْزَعُ ٱلْمُذْنِبُونَ؟ وَإِنْ كُنْتَ لا تُكْرِمُ إِلاَّ أَهْلَ ٱلْوَفَاءِ بِكَ فَبِمَنْ يَسْتَغِيثُ ٱلْمُسِيئُونَ[1]؟

ونستمع إليه يقول:

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ الْعَفْوَ وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاْعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَىٰ بِذٰلِكَ مِنَّا وَأَمَرْتَنَا أَنْ لا نَرُدَّ سَائِلاً عَنْ أَبْوَابِنَا وَقَدْ جِئْتُكَ سَائِلاً فَلا تَرُدَّنِي إِلاَّ بِقَضَاءِ حَاجَتِي وَأَمَرْتَنَا بِاْلإِحْسَانِ إِلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُنَا وَنَحْنُ أَرِقَّاؤُكَ فَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ ٱلنَّارِ.[2].

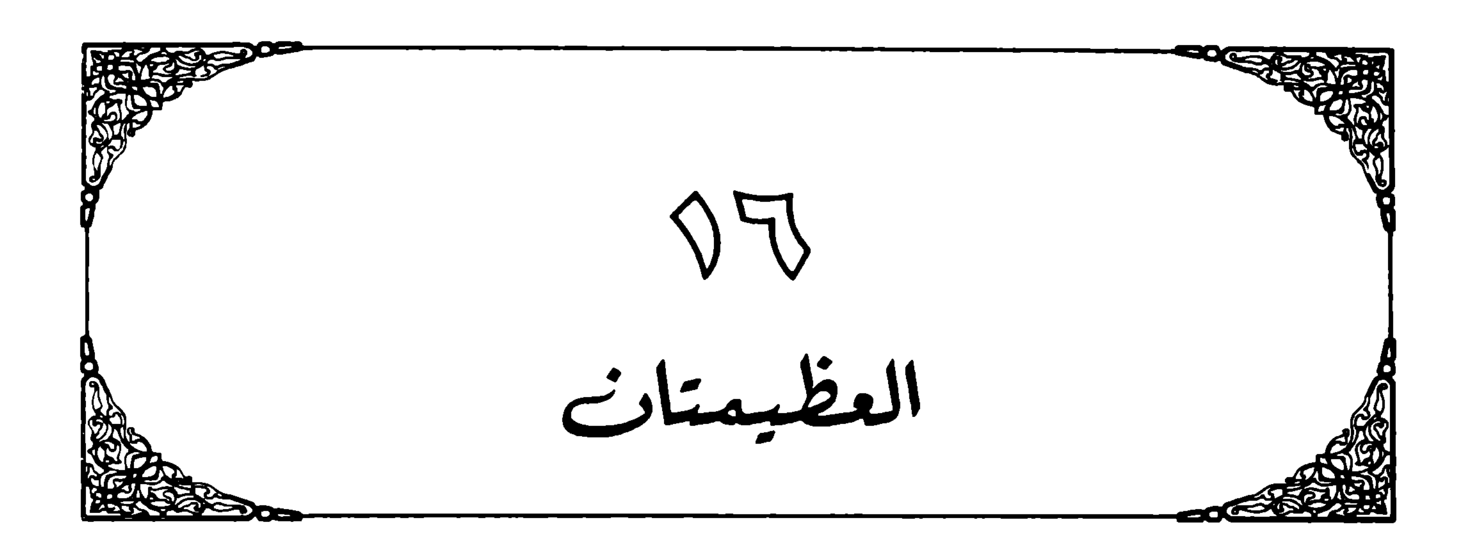
ونستمع إليه يقول:

«اللَّهُمَّ، مَنْ أَنَا حَتَّىٰ تَغْضَبَ عَلَيَّ، فَوَعِزَّتِكَ مَا يُزَيِّنُ مُلْكَكَ إِحْسَانِي، وَلَا يُقَبِّحُهُ إِسَاءَتِي، وَلَا يُنْقِصُ مِنْ خَزَائِنِكَ غِنَايَ، وَلَا يَزِيدُ فِيهَا فَقْرِي»[3].

(١) مصباح الكفعمي ص٥٩٩، الإقبال: ص٧٥.

(٢) مصباح الكفعمي ص٥٩٩، الإقبال: ص٧٥.

(٣) كشف الغمة: ج٢، ص١٠٣.



١٦ العظيمتان

كانت عيناه مسمّرتين على العظيمتين: الجنّة والنار.

كانت رغبته في الجنّة رغبة من أدخل الجنّة من قبل وذاق طعم نعيمها، وكان خوفه من النار كأنّما أدخل النار ثمّ أخرج منها.

وكان دائماً كأنّه يرىٰ الجنّة ونعيمها، ويسمع قهقهات المنعّمين فيها.. ويرىٰ النّار وجحيمها، ويسمع أنين المعذّبين فيها.

فيقول في طلب الجنّة: **أَللَّهُمَّ يَا مَوْلايَ، حَاجَتِي حَاجَتِي حَاجَتِي الَّتِي إِنْ أَعْطَيْتَنِيهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنعْتَنِي وَإِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أَعْطَيْتَنِي وَهِيَ فَكَاكُ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلْنِي الجَنَّة بِرَحْمَتِكَ، وَزَوِّجْنِي مِنَ الحُورِ بِفَضْلِكَ، وَأَلْحِقْنِي بِأَوْلِيَائِكَ الصَّالحِينَ، مُحَمَّد وَآلِهِ الأَبْرَار الطيِّبين الطَّاهِرِين**[١].

وكان يقول في الخوف من النّار:

---

(١) الإقبال، ص٥٢.

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِالْمَخْزونِ مِنْ أَسْمٰائِكَ وَبِمَا وَارتْهُ الْحُجُبُ مِنْ بَهَائِكَ، إِلاَّ رَحِمْتَ هَذِهِ النَّفْسَ الْجَزُوعَةَ، وَهَذِهِ الرِّمَّةَ الْهَلُوعَةَ، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ حَرَّ شَمْسِكَ فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ حَرَّ نٰارِكَ، وَٱلَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ. فَارْحَمْنِي ٱللَّهُمَّ فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ حَقِيرٌ، وَخَطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ، وَلكِنَّ سُلْطَانَكَ ٱللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكَكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تُنْقِصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ[1].

(١) الصحيفة السجادية، ص٢٤٨.



١٧
أدعية للجميع

أدعيته لم تختصّ بالمؤمنين الصالحين، وإنّما شملت التائهين، والخاطئين، والعاصين أيضاً.

فكلّ كلمة من دعواته، تحمل للإنسانية بشارة الغفران.

وكلّ حرف من كلماته، تحمل للعاصين تباشير رحمة الربّ المنّان.

وكلّ جملة من جملاته تحمل تبصرة النور للوجدان.

فإذا كان النعيم عنده «كفاف الصالحين» و«الجحيم مآل الخاطئين» فإنّ التوبة هي «رجاء التائهين».

يقول عليه السلام في مناجاة التائبين:

إِلٰهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطٰايٰا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّبٰاعُدُ مِنْكَ لِبٰاسَ مَسْكَنَتِي، وَأَمٰاتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنٰايَتِي، فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يٰا أَمَلِي وَبُغْيَتِي.

إِلٰهِي هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الآبِقُ إِلاَّ إِلىٰ مَوْلاٰهُ، أَمْ هَلْ يُجِيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوٰاهُ؟

إِلهِي إِنْ كٰانَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ تَوْبَةً، فَإِنِّي - وَعِزَّتِكَ - مِنَ النّٰادِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الإِسْتِغْفٰارُ مِنَ الْخَطيئَةِ حِطَّةً، فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ..

إِلهِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ، وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي، وَبِعِلْمِكَ بِي ارْفَقْ بِي.

إِلهِي أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبٰادِكَ بَاباً إِلَىٰ عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ تُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً، فَمٰا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبٰابِ بَعْدَ فَتْحِهِ.

إِلهِي إِنْ كٰانَ قَبُحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ.

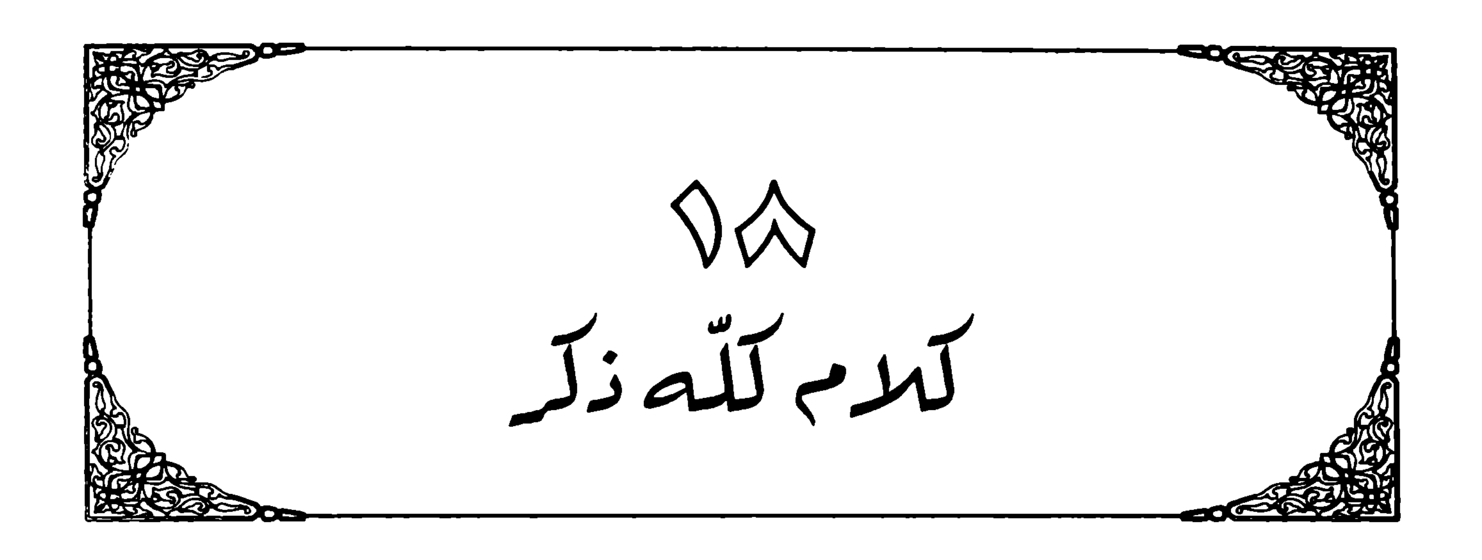
إِلهِي مٰا أَنَا بِأَوَّلِ مَنْ عَصٰاكَ فَتُبْتَ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّضَ لِمَعْرُوفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ، يٰا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّ، يٰا كٰاشِفَ الضُّرِّ، يٰا عَظِيمَ الْبِرِّ، يٰا عليماً بِمٰا فِي السِّرِّ، يٰا جَمِيلَ السِّتْرِ اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ، وَتَوَسَّلْتُ بِجَنٰانِكَ وَتَرَحُّمِكَ لَدَيْكَ، فَاسْتَجِبْ دُعٰاَئِي، وَلا تُخَيِّبْ فِيكَ رَجٰاَئِي، وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَكَفِّرْ خَطيئَتِي، بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يٰا أَرْحَمَ الرّٰاحِمِينَ[1].

ويقول: إِلَٰهِي لٰا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ وَلٰا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ مِنْ أَيْنَ لِيَ ٱلْخَيْرُ يٰا رَبِّ وَلٰا يُوجَدُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِكَ وَمِنْ أَيْنَ لِيَ ٱلنَّجٰاةُ وَلٰا تُسْتَطٰاعُ إِلاَّ بِكَ لٰا ٱلَّذِي أَحْسَنَ ٱسْتَغْنَىٰ عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ وَلٰا ٱلَّذِي أَسٰاءَ وَٱجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُرْضِكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ يٰا رَبِّ، يٰا رَبِّ، يٰا رَبِّ[2].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩١ ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي، البحار: ج٩٥ ص٣٩.



١٨
كلام كلّه ذكر

كان كلامه كلّه ذكراً، وذكره كلّه دعاءً، ودعاؤه كلّه حمداً، وحمده كلّه شكراً، وشكره كلّه تضرّعاً، وتضرّعه كلّه عبادة، وعبادته كلّها صلاة، وصلاته كلّها إيماناً، وإيمانه كلّه إخلاصاً. واخلاصه كلّه تقرّباً، وتقرّبه كلّه تُقاة.

كان الباحث الأبدي عن طاعة الله، والطالب السرمدي عن ثوابه، يعبد ربّه بكلّ جوارحه، ويدعوه بكلّ أعضائه، ويطلب منه أن يزيده توفيقاً في ذلك. أليس هو القائل:

ٱللَّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ ٱلضُّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَآءٍ مَهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا، فَلاَ حَوْلَ لَنَا إِلاَّ بِقُوَّتِكَ وَلاَ قُوَّةَ لَنَا إِلاَّ بِعَوْنِكَ، ٱللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا وَلَهَجَاتِ أَلْسِنَتِنَا فِي مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لاَ تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَآءَكَ وَلاَ تَبْقَىٰ لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ[1].

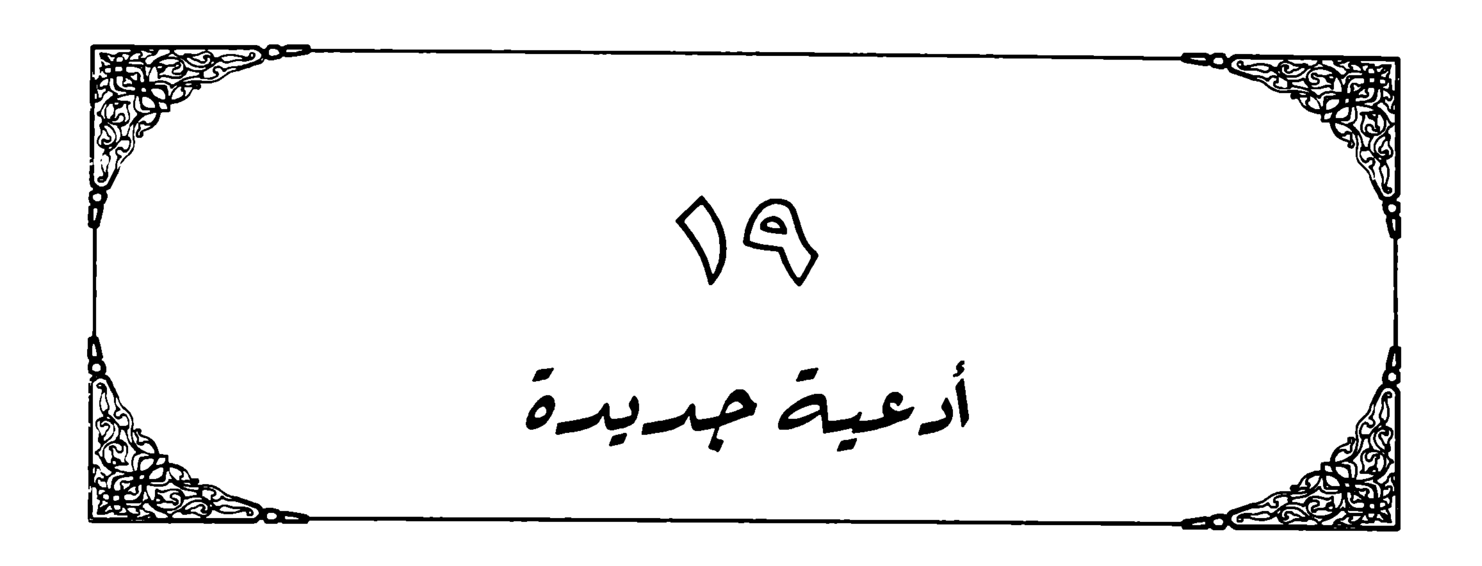
---

(١) الصحيفة السجادية: ص٥٨.

وكان عليه السلام حريصاً على أن لا يفوته أي عمل له الأجر والثواب، فقد رويَ أنّه سافر من المدينة إلى الكوفة، وجاء إلى مسجدها فصلّى فيه أربع ركعات، ثمّ عاد وركب راحلته، وأخذ الطريق[1]، أي رجع إلى المدينة.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٣، ص٢٥٥.



١٩
أدعية جديدة

كلّ دعاء له هو جديد، بالنسبة إلى ما سبق له.

وكلّ حمد له، هو مختلف عمّا سبقه، وعمّا يلحق به.

وكلّ استغفار له، هو متفاوت عن القديم الصادر منه.

اسمعه كيف يدعو هنا:

إِلهِي أَتَرٰاكَ بَعْدَ الإِيمٰانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي، أَمْ بَعْدَ حُبِّي إِيَّاكَ تُبَعِّدُنِي، أَمْ مَعَ رَجٰآئِي لِرَحمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرِمُنِي، أَمْ مَعَ اسْتِجٰارَتِي بِعَفْوِكَ تُسْلِمُنِي، حٰاشٰا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي.

إِلهِي هَلْ تُسَوِّدُ وُجُوهاً خَرَّتْ سٰاجِدَةً لِعَظَمَتِكَ، أَوْ تُخْرِسُ أَلْسِنَةً نَطَقَتْ بِالثَّنٰآءِ عَلَىٰ مَجْدِكَ وَجَلالَتِكَ، أَوْ تَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبٍ انْطَوَتْ عَلىٰ مَحَبتِكَ، أَوْ تُصِمُّ أَسْمٰاعاً تَلَذَّذَتْ بِسَمٰاعِ ذِكْرِكَ فِي إِرٰادَتِكَ، أَوْ تَغُلُّ أَكُفّاً رَفَعَتْهَا الآمٰالُ إِلَيْكَ رَجٰآءَ رَأْفَتِكَ، أَوْ تُعٰاقِبُ أَبْدٰاناً عَمِلَتْ بِطٰاعَتِكَ حَتَّىٰ نَحِلَتْ فِي مُجاهَدَتِكَ، أَوْ تُعَذِّبُ أَرْجُلاً سَعَتْ فِي عِبٰادَتِكَ.

إِلٰهِي لا تُغْلِقْ عَلىٰ مُوَحِّدِيكَ أَبْوٰابَ رَحْمَتِكَ، وَلا تَحْجُبْ مُشْتاقِيكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ جَمِيلِ رُؤْيَتِكَ.

إِلٰهِي نَفْسٌ أَعْزَزْتَهَا بِتَوْحِيدِكَ كَيْفَ تُذِلُّهٰا بِمَهٰانَةِ هِجْرٰانِكَ، وَضَمِيرٌ انْعَقَدَ عَلىٰ مَوَدَّتِكَ كَيْفَ تُحْرِقُهُ بِحَرَارَةِ نِيرٰانِكَ[1].

واسمعه كيف يدعو في مكان آخر، ويقول:

إِلٰهِي مَنْ ذَا الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِساً قِرٰاكَ فَمٰا قَرَيْتَهُ وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنٰاخَ بِبٰابِكَ مُرْتَجِياً نَدٰاكَ فَمٰا أَوْلَيْتَهُ أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بٰابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً، وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِوٰاكَ مَوْلًى بِالإِحْسٰانِ مَوْصُوفاً؟

كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ؟! وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ؟! وَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟

يٰا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقٰاصِدُونَ، وَلَمْ يَشْقَ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْساكَ؟! وَلَمْ تَزَلْ ذٰاكِرِي، وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ؟! وَأَنْتَ مُرٰاقِبِي[2]؟

واسمع كيف يدعو في مكان ثالث:

إِلٰهِي إِنْ كٰانَ قَلَّ زٰادِي فِي الْمَسِيرِ إِلَيْكَ، فَلَقَدْ حَسُنَ ظَنِّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَخٰافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَإِنَّ رَجٰآئِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالأَمْنِ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَإِنْ كٰانَ ذَنْبِي قَدْ عَرَّضَنِي لِعِقٰابِكَ، فَقَدْ آذَنَنِي حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوٰابِكَ، وَإِنْ أَنٰامَتْنِي الْغَفْلَةُ عَنِ الإِسْتِعْدٰادِ لِلِقٰآئِكَ، فَقَدْ نَبَّهَتْنِي

---

(١) مناجاة الخائفين ليوم الأحد، البحار: ج٩١ ص١٤٣.

(٢) مناجاة الراجين ليوم الإثنين، البحار: ج٩١ ص١٤٤.

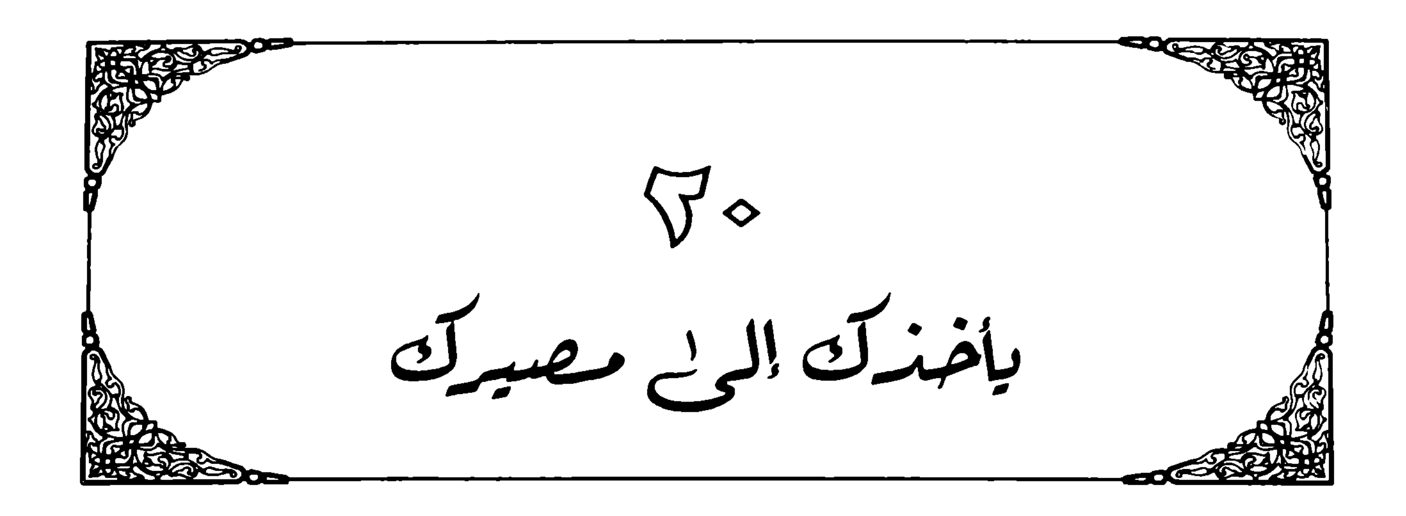
الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِكَ وَآلآئِكَ، وَإِنْ أَوْحَشَ مٰا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرْطُ الْعِصْيٰانِ وَالطُّغْيٰانِ، فَقَدْ آنَسَنِي بُشْرَى الْغُفْرٰانِ وَالرِّضْوٰانِ، أَسْأَلُكَ بِسُبُحٰاتِ وَجْهِكَ، وَبِأَنْوٰارِ قُدْسِكَ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ بِعَوَاطِفِ رَحمَتِكَ، وَلَطٰائِفِ بِرِّكَ، أَنْ تُحَقِّقَ ظَنِّي بِمٰا أُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزِيلِ إِكْرٰامِكَ، وَجَمِيلِ إِنْعٰامِكَ فِي الْقُرْبىٰ مِنْكَ، وَالزُّلْفىٰ لَدَيْكَ، وَالتَّمَتُّعِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ، وَهٰا أَنَا مُتَعَرِّضٌ لِنَفَحٰاتِ رَوْحِكَ وَعَطْفِكَ، وَمُنْتَجِعٌ غَيْثَ جُودِكَ وَلُطْفِكَ، فَارٌّ مِنْ سَخَطِكَ إِلىٰ رِضٰاكَ، هٰارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ، رٰاجٍ أَحْسَنَ مٰا لَدَيْكَ، مُعَوِّلٌ عَلىٰ مَوٰاهِبِكَ، مُفْتَقِرٌ إِلىٰ رِعٰايَتِكَ[1].

واسمعه في مكان رابع يقول:

إِلٰهِي تَصٰاغَرَ عِنْدَ تَعٰاظُمِ آلآئِكَ شُكْرِي، وَتَضَاءَلَ فِي جَنْبِ إِكْرَامِكَ إِيَّايَ ثَنٰآئِي وَنَشْرِي، جَلَّلَتْنِي نِعَمُكَ مِنْ أَنْوَارِ الإِيمٰانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطٰآئِفُ بِرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْنِي مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْنِي أَطْوَاقاً لا تُفَلُّ، فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسٰانِي عَنْ إِحْصٰآئِهٰا، وَنَعْمٰآؤُكَ كَثِيرَةٌ قَصُرَ فَهْمِي عَنْ إِدْرَاكِهٰا فَضْلاً عَنِ آسْتِقْصٰآئِهٰا، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلىٰ شُكْرٍ، فَكُلَّمٰا قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ عَلَيَّ لِذٰلِك أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ[2].

(١) مناجاة الراغبين ليوم الثلاثاء، البحار: ج٩١ ص١٤٥.

(٢) مناجاة الشاكرين ليوم الأربعاء، البحار: ج٩١ ص١٤٦.



إنّ السّجّاد يأخذ بيدك، مثلما يأخذ الوالد الحنون بيد ولده، ليعلّمه الطريق ويمنعه من السقوط، انظر كيف يقطع بك الزمان، وينقلك من الحاضر إلىٰ المستقبل، يمشي بك من دنياك إلىٰ آخرتك يتجاوز بك حاجز الحياة، فكأنّك ترىٰ نفسك على فراش الموت، ثمّ محمولاً على الأكفّ إلىٰ بيتك الأبديّ، مروراً بالمغتسل، وانتهاءً إلىٰ يوم خروجك من قبرك مؤتزراً أكفانك، تلتفت يميناً وشمالاً، لا تدري إلىٰ الجنّة يكون مصيرك أم إلى النّار.

استمع إليه يقول:

إِلٰهِي إِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِٱلْعَفْوِ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ مِنْكَ فِي ٱلْحُكْمِ؟

إِلٰهِي إِرْحَمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيٰا غُرْبَتِي وَعِنْدَ ٱلْمَوْتِ كُرْبَتِي وَفِي ٱلْقَبْرِ وَحْدَتِي وَفِي ٱللَّحْدِ وَحْشَتِي وَإِذَا نُشِرْتُ لِلْحِسٰابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفِي وَٱغْفِرْ لِي مٰا خَفِيَ عَلَىٰ ٱلآدَمِيِّينَ مِنْ عَمَلِي وَأَدِمْ لِي مٰا بِهِ سَتَرْتَنِي.

وَٱرْحَمْنِي صَرِيعاً عَلَىٰ ٱلْفِرٰاشِ تُقَلِّبُنِي أَيْدِي أَحِبَّتِي وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ

مَمْدُوداً عَلَىٰ ٱلْمُغْتَسَلِ يُقَلِّبُنِي صٰالِحُ جِيرَتِي وَتَحَنَّنْ عَلَيَّ مَحْمُولاً قَدْ تَنٰاوَلَ ٱلأَقْرِبٰاءُ أَطْرٰافَ جَنٰازَتِي وَجُدْ عَلَيَّ مَنْقُولاً قَدْ نَزَلْتُ بِكَ وَحِيداً فِي حُفْرَتِي وَٱرْحَمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ ٱلْجَدِيدِ غُرْبَتِي.

فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حٰالاً مِنِّي إِنْ أَنَا نُقِلْتُ عَلَىٰ مِثْلِ حٰالِي إِلَىٰ قَبْرٍ لَمْ أُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتِي وَلَمْ أَفْرُشْهُ بِٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ لِضَجْعَتِي.

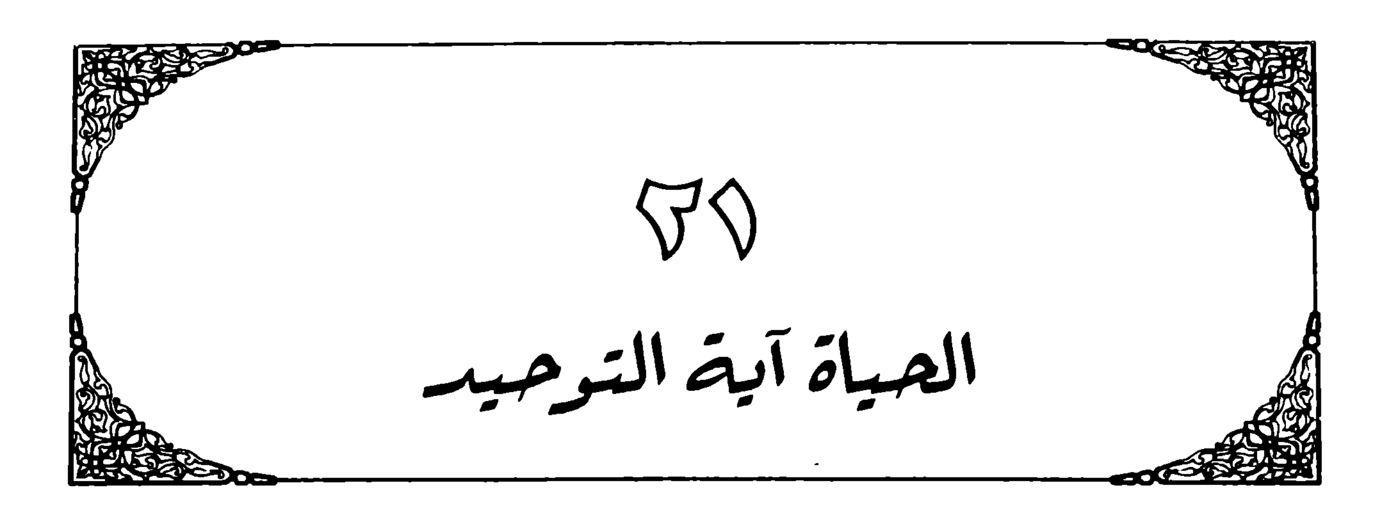
وَمٰا لِي لٰا أَبْكِي؟ وَلٰا أَدْرِي إِلَىٰ مٰا يَكُونُ مَصِيرِي وَأَرٰىٰ نَفْسِي تُخٰادِعُنِي وَأَيّٰامِي تُخٰاتِلُنِي وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رَأْسِي أَجْنِحَةُ ٱلْمَوْتِ.

فَمٰا لِي لٰا أَبْكِي؟

أَبْكِي لِخُرُوجِ نَفْسِي، أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي، أَبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي، أَبْكِي لِسُؤٰالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيّٰايَ.

أَبْكِي لِخُرُوجِي مِنْ قَبْرِي عُرْيٰاناً ذَلِيلاً حٰامِلاً ثِقْلِي عَلَىٰ ظَهْرِي أَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَمِينِي وَأُخْرَىٰ عَنْ شِمٰالِي إِذِ ٱلْخَلٰائِقُ فِي شٰأْنٍ غَيْرِ شَأْنِي لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شٰأْنٌ يُغْنِيهِ[1].

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي، مفاتيح الجنان، أعمال ليالي شهر رمضان.



٣١
الحياة آية التوحيد

كان يرىٰ الكون وما فيه آية من آيات التوحيد، فيرىٰ الله قبل كلّ شيء، ومع كلّ شيء، وبعد كلّ شيء، ويسمع ذكره من كل شيء، ومن كلّ لسان، ويرىٰ عظمته في كلّ قلب.

وكان يرى أن خزائن الخيرات كلّها عند صانعها، ومنابع النعم جميعاً هي عند باريها، ولذلك كان كلّ اهتمامه دعاءً وصلاة.

وكلّ ذكره حمداً لمولاه.

وكلّ حديثه شكراً لنعماه.

يقول عليه السلام :

إِلَٰهِي بِكَ هٰامَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْوٰالِهَةُ، وَعَلَىٰ مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتِ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُتَبٰايِنَةُ، فَلا تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ إِلاَّ بِذِكْرٰاكَ، وَلا تَسْكُنُ ٱلنُّفُوسُ إِلاَّ عِنْدَ رُؤْيٰاكَ، أَنْتَ ٱلْمُسَبَّحُ فِي كُلِّ مَكٰانٍ، وَٱلْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمٰانٍ، وَٱلْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوٰانٍ، وَٱلْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسٰانٍ، وَٱلْمُعَظَّمُ فِي كُلِّ جَنٰانٍ[1].

---

(١) البحار: ج٩١ ص١٥١.

وكان يرىٰ الله قريباً إليه فيهمس إليه بهواجس قلبه، ويدعوه بكلّ جوارحه. ويقول:

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَجِدُ سُبُلَ ٱلْمَطٰالِبِ إِلَيْكَ مُشْرَعَةً ،وَمَنٰاهِلَ ٱلرَّجٰاءِ لَدَيْكَ مُتْرَعَةً، وَأَبْوٰابَ ٱلدُّعٰاءِ لِمَنْ دَعٰاكَ مُفَتَّحَةً، وَٱلاسْتِعٰانَةَ لِمَنِ ٱسْتَعٰانَ بِكَ مُبٰاحَةً وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِدٰاعِيكَ بِمَوْضِعِ إِجٰابَةٍ وَلِلصّٰارِخِ إِلَيْكَ بِمِرْصَدِ إِغٰاثَةٍ وَأَنَّ فِي ٱللَّهْفِ إِلَىٰ جُودِكَ وَٱلضَّمٰانِ بِعِدَتِكَ عِوَضاً مِنْ مَنْعِ ٱلْبٰاخِلِينَ ،وَمَنْدُوحةً عَمّٰا فِي أَيْدِي ٱلْمُسْتَأْثِرِينَ، وَأَنَّكَ لا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلاَّ أَنْ تَحْجُبَهُمُ ٱلأَعْمٰالُ دُونَكَ[1].

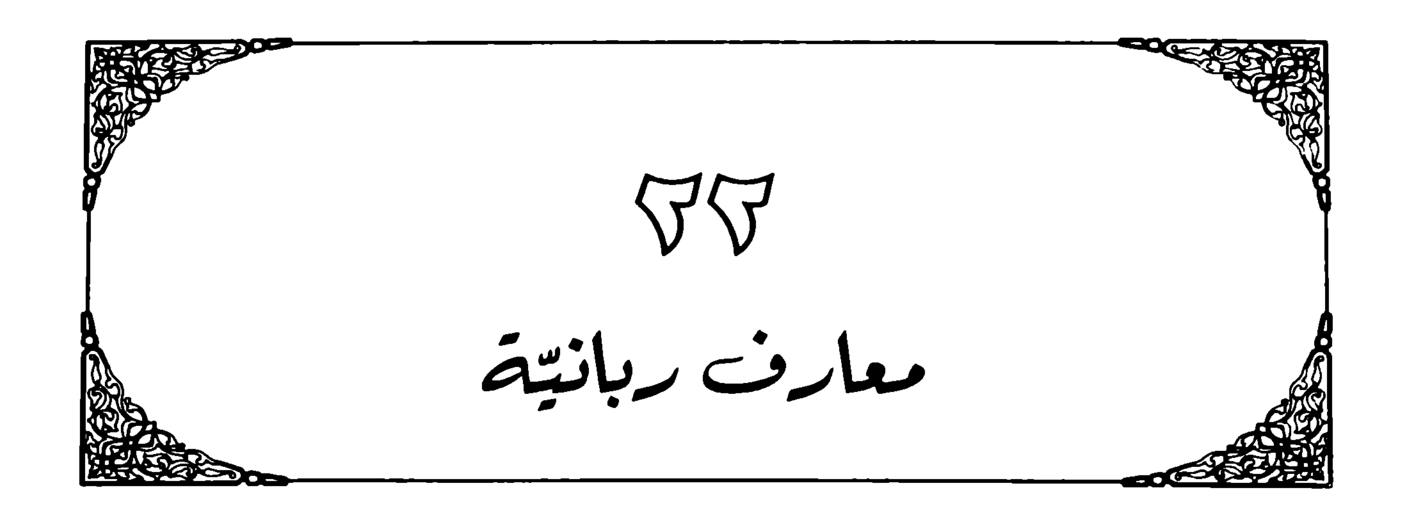
ولأن الله قريب المسافة، ولأن خزائن السموات والأرض بيده، ولأنه أرحم الراحمين، فإن السجّاد إليه يتوجّه، وبرحمته يتوسّل ومن فضله يطلب، وإلى عفوه يتّكل ويقول:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَدْعُوهُ فَيُجِيبُنِي، وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئاً حِينَ يَدْعُونِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي، وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلاً حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أُنٰادِيهِ كُلَّمٰا شِئْتُ لِحٰاجَتِي، وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرّي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حٰاجَتِي، أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لا أَدْعُو غَيْرَهُ، وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعٰائِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لأَخْلَفَ رَجٰآئِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَكَلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَىٰ ٱلنّٰاسِ فَيُهِينُونِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي تَحَبَّبَ إِلَيَّ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنّي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّىٰ كَأَنّي لا ذَنْبَ لِي فَرَبّي أَحْمَدُ شَيْءٍ عِنْدِي، وَأَحَقُّ بِحَمْدِي[2].

---

(١) البلد الأمين ص٢٠٥.

(٢) المصدر السابق.



في بصائر أهل البيت عليهم السلام فإن معرفة الله تعالى هي في الاعتراف بالعجز عن معرفته، كما تعني التصديق بعلمه، وقدرته، وجميع صفاته. ،فلا شبيه له في شيء، ولا تعطيل له في شيء.

ولقد بث السجاد عليه السلام في أدعيته تلك البصائر بما قل نظيره لدى غيره من الأولياء.

فهل سمعت جملة تلخّص لك معرفة الله مثل قوله:

إِلهِي بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ وَلَوْلا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ ما أَنْتَ[1].

أو مثل قوله:

إِلَهِي قَصُرَتِ ٱلأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنائِكَ كَما يَلِيقُ بِجَلالِكَ، وَعَجِزَتِ ٱلْعُقُولُ عَنْ إِدْراكِ كُنْهِ جَمالِكَ، وَٱنْحَسَرَتِ ٱلأَبْصارُ دُونَ ٱلنَّظَرِ إِلَى

(١) بحار الأنوار: ج٩٥ ص٨٢.

سُبُحاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَىٰ مَعْرِفَتِكَ، إِلاَّ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ، إِلَهِي مٰا أَلَذَّ خَوٰاطِرَ ٱلْإِلْهٰامِ بِذِكْرِكَ عَلَىٰ ٱلْقُلُوبِ، وَمٰا أَحْلَىٰ ٱلْمَسِيرَ إِلَيْكَ بِٱلأَوْهٰامِ فِي مَسٰالِكِ ٱلْغُيُوبِ، وَمٰا أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ وَمٰا أَعْذَبَ شِرْبَ قُرْبِكَ[١].

وهل سمعت مثل قوله، وهو يبيّن الطريق الخاطىء الّذي يسلكه من لا يلتزم بمنهج الأنبياء الّذين يتميّزون بقرب طريقهم واستقامة صراطهم ويقول:

سُبْحٰانَكَ مٰا أَضْيَقَ ٱلطُّرُقَ عَلَىٰ مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ، وَمٰا أَوْضَحَ ٱلْحَقَّ عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ[٢].

وهل سمعت مثل قوله في التوحيد:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يُشْهِدْ أَحَداً حِينَ فَطَرَ ٱلسَّمٰاوٰاتِ وَٱلأَرْضَ، وَلاٰ ٱتَّخَذَ مُعِيناً حِينَ بَرَأَ ٱلنَّسَمَاتِ، لَمْ يُشَارَكْ فِي ٱلْإِلَهِيَّةِ، وَلَمْ يُظَاهَرْ فِي ٱلْوَحْدَانِيَّةِ، كَلَّتِ ٱلأَلْسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ، وَٱلْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ ٱلْجَبٰابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَٱنْقَادَ كُلُّ عَظِيمٍ لِعَظَمَتِهِ. فَلَكَ ٱلْحَمْدُ مُتَوٰاتِراً مُتَّسِقاً وَمُتَوٰالِياً مُسْتَوْسِقاً وَصَلَوٰاتُهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ أَبَداً، وَسَلاٰمُهُ دَائِماً سَرْمَداً[٣].

أو مثل قوله في صفات الله:

---

(١) بحار الأنوار: ج٩١ ص١٥٠.

(٢) بحار الأنوار ج٩١ ص١٤٧.

(٣) المصباح للكفعمي: ص١١٣.

سُبْحَانَ الوَاحِدِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، القَدِيمِ الَّذِي لاَ بِدْءَ لَهُ، الدَّائِمِ الَّذِي لاَ نَفَادَ لَهُ، الدَّائِبِ الَّذِي لاَ فَرَاغَ لَهُ، الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، خَالِقِ مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى عَالِمِ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ، السَّابِقِ فِي عِلْمِهِ مَا لاَ يَهْجِسُ لِلْمَرْءِ فِي وَهْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[1].

أو مثل قوله:

مَعْرِفَتِي يٰا مَوْلٰايَ دَلِيلِي عَلَيْكَ، وَحُبِّي لَكَ شَفِيعِي إِلَيْكَ وَأَنَا وَاثِقٌ مِنْ دَلِيلِي بِدَلٰالَتِكَ وَسٰاكِنٌ مِنْ شَفِيعِي إِلَىٰ شَفٰاعَتِكَ[2].

أو مثل قوله:

أَنْتَ ٱلْفٰاعِلُ لِمٰا تَشٰاءُ، تُعَذِّبُ مَنْ تَشٰاءُ، بِمٰا تَشٰاءُ، كَيْفَ تَشٰاءُ، وَتَرْحَمُ مَنْ تَشٰاءُ بِمٰا تَشٰاءُ كَيْفَ تَشٰاءُ، وَلٰا تُسْأَلُ عَنْ فِعْلِكَ، وَلٰا تُنٰازَعُ فِي مُلْكِكَ، وَلٰا تُشٰارَكُ فِي أَمْرِكَ، لٰا تُضٰادُّ فِي حُكْمِكَ، وَلٰا يَعْتَرِضُ عَلَيْكَ أَحَدٌ فِي تَدْبِيرِكَ، لَكَ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ، تَبٰارَكَ ٱللّٰهُ رَبُّ ٱلْعٰالَمِينَ[3].

أو مثل قوله:

أَلْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بِلاَ أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهٰامُ الْوٰاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ٱبْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ ٱخْتِرٰاعاً،

---

(١) إقبال الأعمال: ص٧١٦.

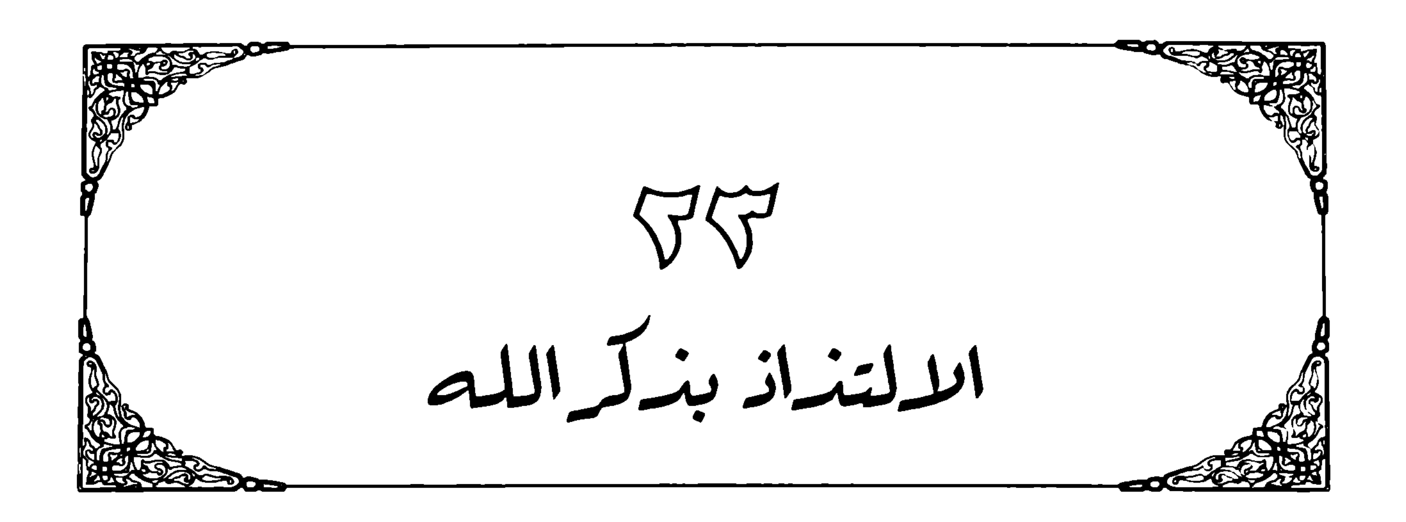
(٢) البلد الأمين: ص٢٠٥.

(٣) البلد الأمين: ص٢٠٥.

ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لاَ يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ، وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوْحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لاَ يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلاَ يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطَّىٰ إِلَيهِ بِأَيَّامِ عُمُرِهِ وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَىٰ أَثَرِهِ وَاسْتَوْعَبَ حِسابَ عُمُرِهِ، قَبَضَهُ إِلَى مٰا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَآؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى[1].

---

(١) الصحيفة السجادية: ص٢٩.



٢٣
الالتذاذ بذكر الله

كان السّجّاد عليه السلام يلتذّ بذكر الله، ويرتاح إلى أُنسه، ويسرّ بقربه، ويشتغل بطاعته.

وكان يستغفر الله من أي لذّة بغير الذكر، وأي راحة بغير الأُنس، وأي شغل بغير الطاعة.

ويقول: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رٰاحَةٍ بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بِغَيْرِ طٰاعَتِكَ**[١].

وكان يشكو النفسِ الأمّارة بالسوء إلى ربّه، ويعتبرها عدوّاً يستجير منه إلى بارئه، وكان يقول:

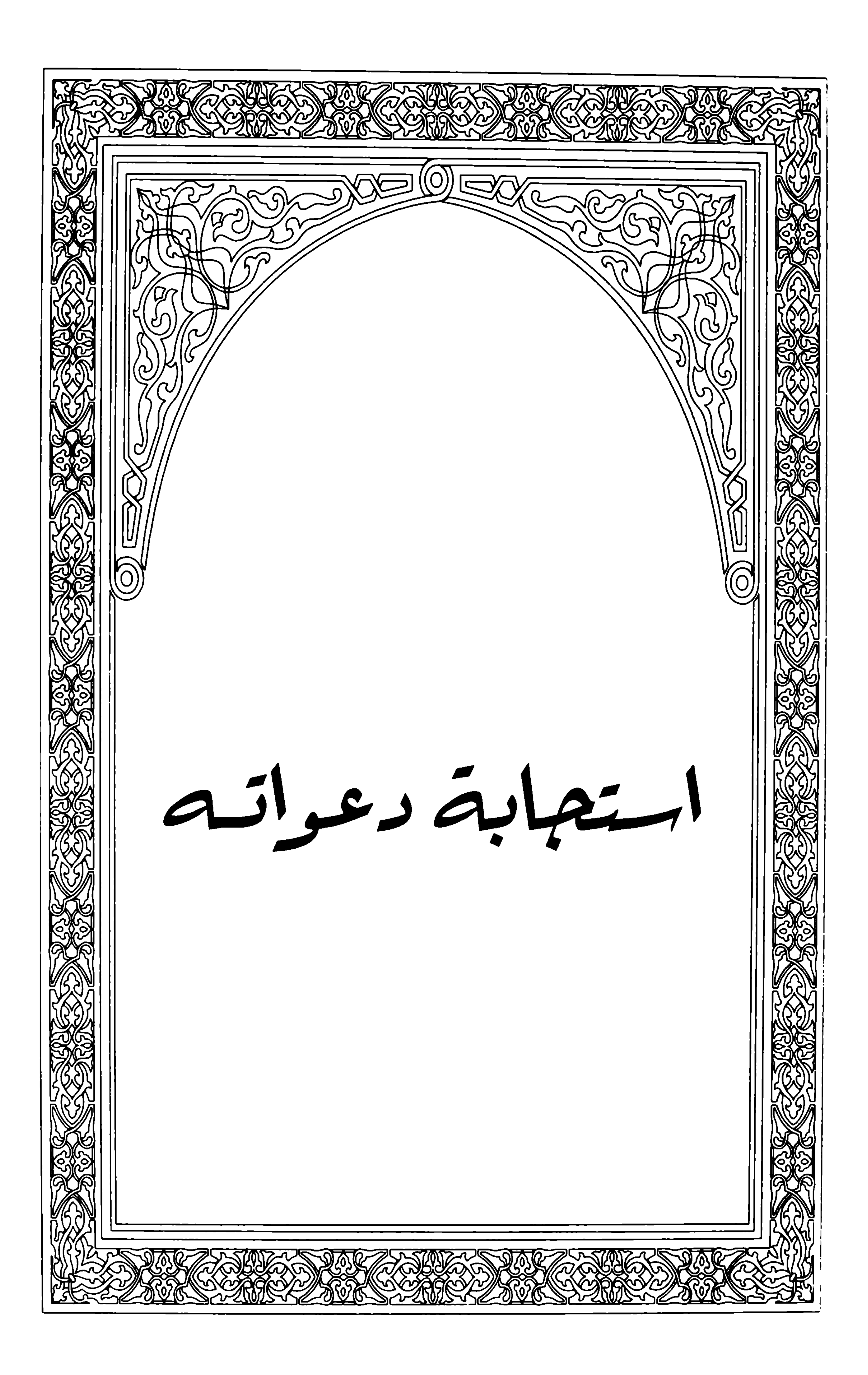
إِلٰهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمّٰارَةً وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبٰادِرَةً، وَبِمَعٰاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسٰالِكَ الْمَهٰالِكِ،

---

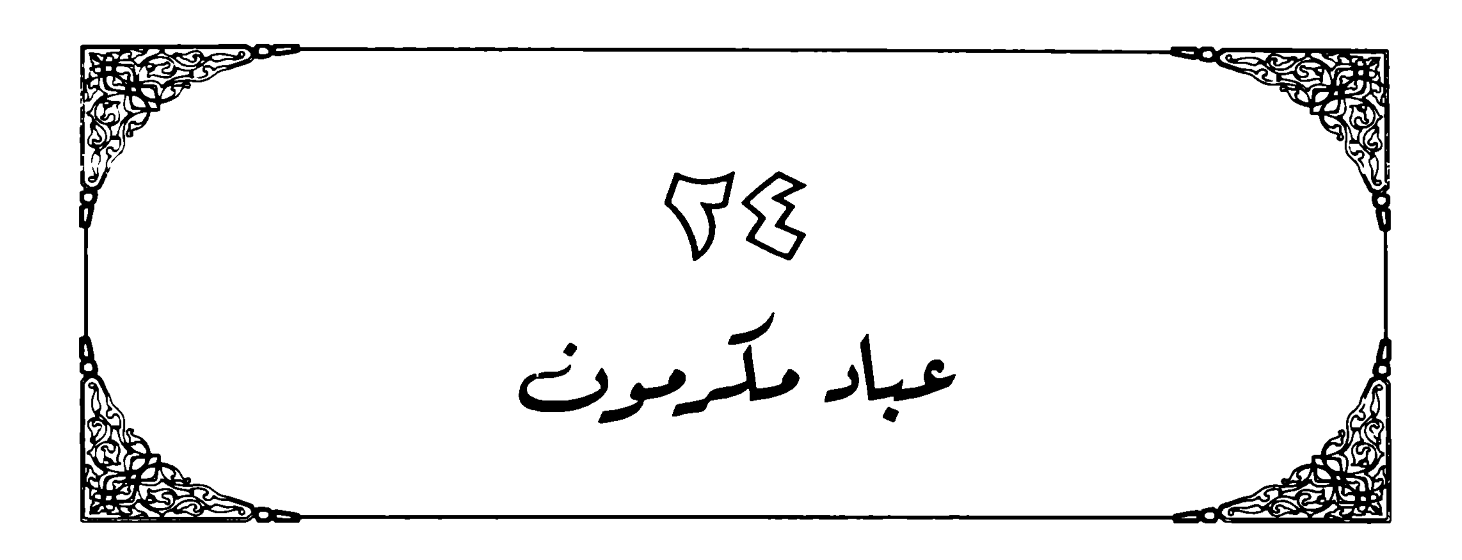
(١) البحار: ج٩١ ص١٥١.

وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هٰالِكٍ، كَثِيرَةَ ٱلْعِلَلِ طَوِيلَةَ ٱلأَمَلِ، إِنْ مَسَّهٰا ٱلشَّرُّ تَجْزَعُ وَإِنْ مَسَّهٰا ٱلْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَىٰ ٱللَّعِبِ وَٱللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِٱلْغَفْلَةِ وَٱلسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَىٰ ٱلْحَوْبَةِ وَتُسَوِّفُنِي بِٱلتَّوْبَةِ[1].

(١) البحار ج٩١ ص٤٣.



استجابة دعواته



٣٤
عباد مكرمون

رجال الله، يتعاملون في الحياة على قاعدة أنّهم بشر مثل غيرهم، فهم عباد مربوبون، شأنهم شأن جميع الناس.

إلاّ أنّهم يتمتّعون بجانب غيبيّ، يمنحهم قدرات خارقة لا يملكها الآخرون، وإن كانوا لا يظهرون ذلك إلاّ للخواصّ، وفي حالات خاصّة، ولأهداف مخصوصة.

فالنّبيّ الأكرم ﷺ، وهو سيّد الخلق، يوحىٰ إليه أن ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فهو يولد، كما يولد الناس، ويموت مثلما يموتون، ويحتاج إلىٰ المسكن، والملبس، والمطعم، كما يحتاجون.

إلاّ أنّه يوحىٰ إليه.. وهذا يعطيه ارتباطاً وثيقاً بربّ العزّة والجلال، ويميّزه عن غيره في كلّ شيء، ويجعله مستجاب الدعوة، ويمنحه القدرة علىٰ التصرف في الكون كلّه..

إذ ليس «الوحي» أمراً بسيطاً، بل هو اتّصال مباشر بعلم الله المطلق، وقدرته العميمة، وحكمته الشاملة، وملكوته القديم.

وهكذا أهل بيته عليهم السلام الّذين ورثوا منه مقامه، وعلمه، وولايته.. فهم

مخلوقون من لحم ودم وماء وطين، لكنّهم عباد مكرمون، أعطاهم الله ما لم يعط أحداً من خلقه، حيث اصطفاهم بعلمه، وارتضاهم لغيبه، واختارهم لسرّه، واجتباهم بقدرته، وأعزّهم بهداه، واختصّهم ببرهانه، وانتجبهم لنوره، وأيّدهم بروحه، ورضيهم خلفاء في أرضه وحججاً على بريّته.

وبهذا الجانب الغيبي كانت لهم معجزات، وصدرت منهم كرامات، وقاموا بأعمال لا يستطيع غيرهم من البشر أن يقوم بها.

ولكنّهم لا يستعملون معاجزهم لحاجاتهم، ولا للفخر بين الناس، وإنّما يفعلون ذلك في حالات نادرة.

ومن ذلك ما يرويه الزهري حيث يقول:

«كنت عند عليّ بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه، فقال له عليُّ بن الحسين عليه السلام: ما خبرك أيّها الرجل؟

فقال الرَّجل: خبري يا بن رسول الله، أنّي أصبحت وعليَّ أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها، ولي عيال ليس لي ما أعود عليهم به.

فبكىٰ عليٌّ بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، فقلت له: ما يبكيك يابن رسول الله؟

فقال: وهل يُعدّ البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار؟!

فقال من حضر: كذلك يابن رسول الله؟!

قال: فأيّة محنة ومصيبة أعظم من حُرّ مؤمن مِن أن يرىٰ بأخيه خلّة، فلا يمكنه سدُّها، ويشاهده علىٰ فاقة فلا يطيق رفعها؟

فتفرّقوا عن مجلسهم ذلك، فقال بعض المخالفين ـ وهو يطعن علىٰ عليٍّ بن الحسين عليه السلام ـ عجباً لهؤلاء يدّعون مرّة أنْ السماء والأرض وكلّ

شيء يطيعهم، وأنَّ الله لا يردُّهم عن شيء من طلباتهم، ثمّ يعترفون أُخرى بالعجز عن إصلاح حال خواصّ إخوانهم!

فوصل خبر كلامهم إلى الرجل صاحب القصة، فجاء إلىٰ عليِّ بن الحسين عليه السلام فقال له: يابن رسول الله، بلغني عن فلان كذا وكذا، وكان ذلك أغلظ عليَّ من محنتي.

فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: فقد أذن الله في فرجك.

ثم نادىٰ: يا فلانة، احملي سحوري وفطوري، فحملت قرصتين، فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام للرَّجل: خذهما فليس عندنا غيرهما، فإنّ الله يكشف عنك بهما، وينيلك خيراً واسعاً منهما.

فأخذهما الرجل، ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما، يتفكّر في ثقل دينه وسوء حال عياله، ويوسوس إليه الشيطان: أين موقع هاتين من حاجتك! فمرَّ بسمّاك قد بارت عليه سمكة قد أراحت، فقال له: سمكتك هذه بائرة عليك، وإحدىٰ قرصتيَّ هاتين بائرة عليَّ، فهل لك أن تعطيني سمكتك البائرة، وتأخذ قرصتي هذه البائرة؟

فقال: نعم، فأعطاه السمكة وأخذ القرصة.

ثمّ مرّ برجل معه ملح قليل مزهود فيه، فقال: هل لك أن تعطيني ملحك هذا المزهود فيه، بقرصتي هذه المزهود فيها؟

قال: نعم، فجاء الرجل بالسّمكة والملح فقال: أصلح هذه بهذا، فلمّا شقَّ بطن السّمكة وجد فيه لؤلؤتين فاخرتين، فحمد الله عليهما، فبينما هو في سروره ذلك، إذ قُرع بابه، فخرج ينظر من بالباب، فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاءا يقول كلُّ واحد منهما له: «يا عبد الله، جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص، فلم تعمل فيه أسناننا، وما نظنّك إلاّ

وقد تناهيت في سوء الحال، ومرنت علىٰ الشقاء، قد رددنا إليك هذا الخبز، وطيّبنا لك ما أخذته منّا».

فأخذ القرصتين منهما، فلمّا استقرَّ بعد انصرافهما عنه، قُرع بابه، فإذا رسول عليٍّ بن الحسين عليه السلام فدخل فقال: «إنّه يقول لك: إنَّ الله قد أتاك بالفرج فاردد إلينا طعامنا فإنّه لا يأكله غيرنا».

وباع الرّجل اللؤلؤتين بمال عظيم، قضىٰ منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله.

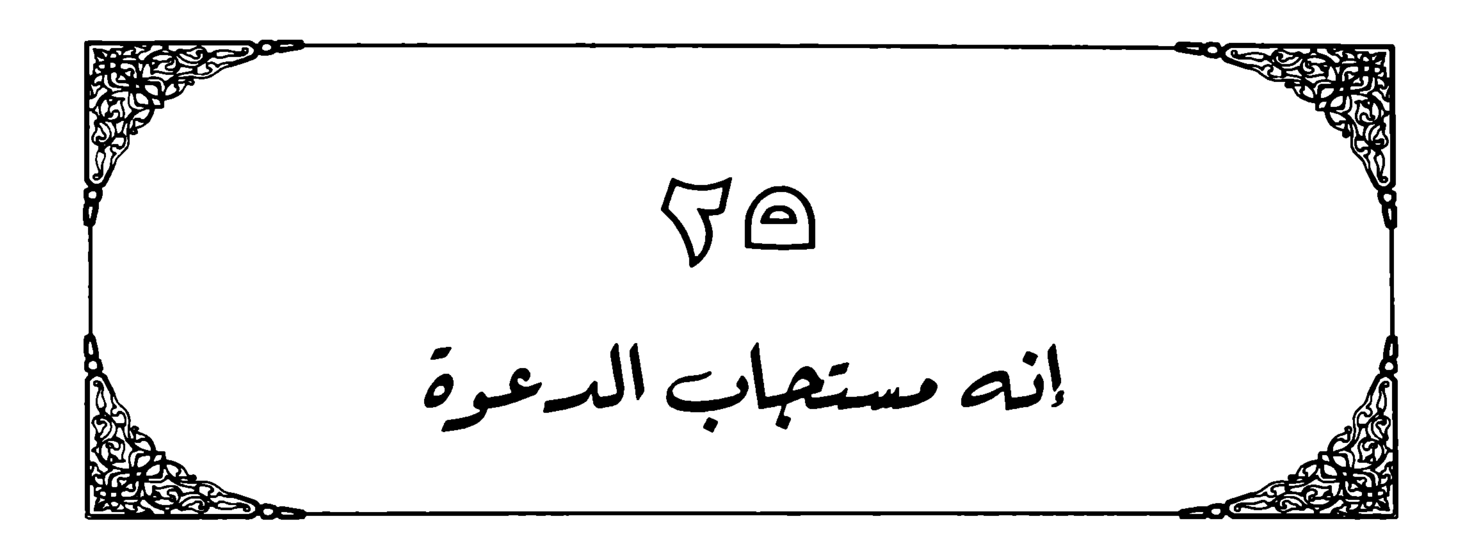
فقال بعض المخالفين: ما أشدَّ هذا التفاوت، بينا عليُّ بن الحسين لا يقدر أن يسدَّ منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم، كيف يكون هذا؟ وكيف يعجز عن سدّ الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم؟

فقال عليُّ بن الحسين عليه السلام: هكذا قالت قريش للنّبي صلى الله عليه وآله كيف يمضي إلىٰ بيت المقدس، ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء من مكّة، ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكّة إلىٰ المدينة إلا في إثني عشر يوماً؟! وذلك حين هاجر منها.

ثمَّ قال عليه السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه، إنَّ المراتب الرفيعة لا تُنال إلاّ بالتسليم لله جلّ ثناؤه، وترك الاقتراح عليه والرِّضا بما يدبّرهم به، إنَّ أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لم يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عزَّ وجلَّ بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلاّ ما يريده لهم[1].

---

(١) أمالي الصدوق: ص٤٥٣ وأخرجه الفتال في روضته ص١٦٨.



٢٥
إنه مستجاب الدعوة

ربّنا تعالىٰ لا يترك عباده الصالحين.

ولا يرفض طلباتهم.

ولا يضيّع أعمالهم.

ولا يهمل دعواتهم.

فالصالحون يكونون لله، فيكون ربّنا لهم، ألم يقل تعالىٰ في حديث قدسي: «عبدي، كن لي أكن لك؟».

فهذا عليّ بن الحسين عليه السلام كان مستجاب الدعوة، إذا طلب من ربّه أعطاه، وإذا استرشده هداه.

يقول «المتعبّد الناحل، والمتهجّد الذابل ـ حسب تعبير أبي نعيم في حلية الأولياء ـ ثابت البناني:

كنت حاجّاً مع جماعة من علماء البصرة، مثل أيّوب السجستاني وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، ومالك بن دينار، فلما دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً، وقد اشتدّ بالنّاس العطش لقلّة الغيث، ففزع إلينا أهل مكّة

والحجّاج يسألوننا أن نستسقي لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرّعين، فمنعنا الإجابة فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل، قد اكربته احزانه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثمّ أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا أيّوب السجستاني، ويا صالح المري، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح الأعمىٰ ويا رابعة، ويا سعدانة، ويا جعفر بن سليمان.

فقلنا: لبَّيك وسعديك يا فتىٰ.

فقال: أما فيكم أحد يحبّه الرَّحمٰن؟

فقلنا: يا فتىٰ علينا الدعاء، وعليه الإجابة.

فقال: أبعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبّه الرَّحمٰن لأجابه. ثمّ أتىٰ الكعبة فخرّ ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: سيّدي بحبّك لي إلا سقيتهم الغيث.

فما استتمّ الكلام حتّىٰ أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت يا فتى: من أين علمت أنّه يحبّك؟

قال: لو لم يحبّني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني، فسألته بحبّه لي.

ثمّ ولّىٰ عنّا.

فقلنا: يا أهل مكة، من هذا؟

قالوا: عليّ بن الحسين بن علي عليهما السلام».

* * *

ومن استجابة دعائه عندما توجّه «مسلم بن عقبة» إلىٰ المدينة، وكان يقال إنّه لا يريد إلاّ عليّ بن الحسين عليه السلام فلمّا بلغه الخبر، رفع يديه بالدعاء قائلاً: «ربّ، كم من نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شُكري فلم يحرمني، وقلّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ويا ذا النعماء الّتي لا تُحصىٰ عدداً، صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد وادفع عنّي شرّه فإنّي أدرأ بك في نحره، وأستعيذ بك من شرّه».

فقدم مسرف بن عقبة المدينة، وطلب الإمام فعلاً، فلمّا صار إليه كان دعاء الإمام قد سبقه، فلم يؤذِ الإمام بل قرّبه، وأكرمه، ثمّ قال: اسرجوا له بغلتي، وقال له: «انصرف إلىٰ أهلك فإنّي أرىٰ أن قد أفزعناهم وأتعبناك بمشيك إلينا، ولو كان بأيدينا ما نقوىٰ به على صلتك بقدر حقّك لوصلناك»[1].

فانتهز الإمام هذه الفرصة «فضمّ إلىٰ نفسه أربعمائة من العوائل إلىٰ أن انقرض جيش مسلم بن عقبة»[2].

* * *

وروي عن المنهال بن عمرو، قال: «حججت من الكوفة، فلقيت عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: «ما فعل حرملة بن كاهل؟»».

قلت: تركته حيّاً بالكوفة.

فرفع الإمام يديه ثمّ قال: «اللّهُمَّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمَّ أذقه حرّ الحديد، اللّهُمَّ أذقه حرّ النّار».

---

(١) الإرشاد: ص٢٧٦.

(٢) كشف الغمّة: ج٢، ص٣٠٥.

وكان ذلك قبل قيام المختار. فلمّا انصرفت إلىٰ الكوفة، خرج بها المختار، وكان لي صديقاً فركبت لأسلّم عليه، فوجدته قد دعا بدابّته فركب، وركبت معه حتّىٰ أتىٰ الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء، وقد كان وجّه في طلب حرملة بن كاهل، فأحضر، فقال: «الحمد لله الّذي مكّنني منك».

ثم دعا الجزّار فقال: اقطعوا يديه، فقطعتا (انتقاماً من قطعه ليدي العبّاس بن عليّ عليه السلام في عاشوراء).

ثمّ قال: اقطعوا رجليه (انتقاماً لمشاركته في ذبح الحسين عليه السلام).

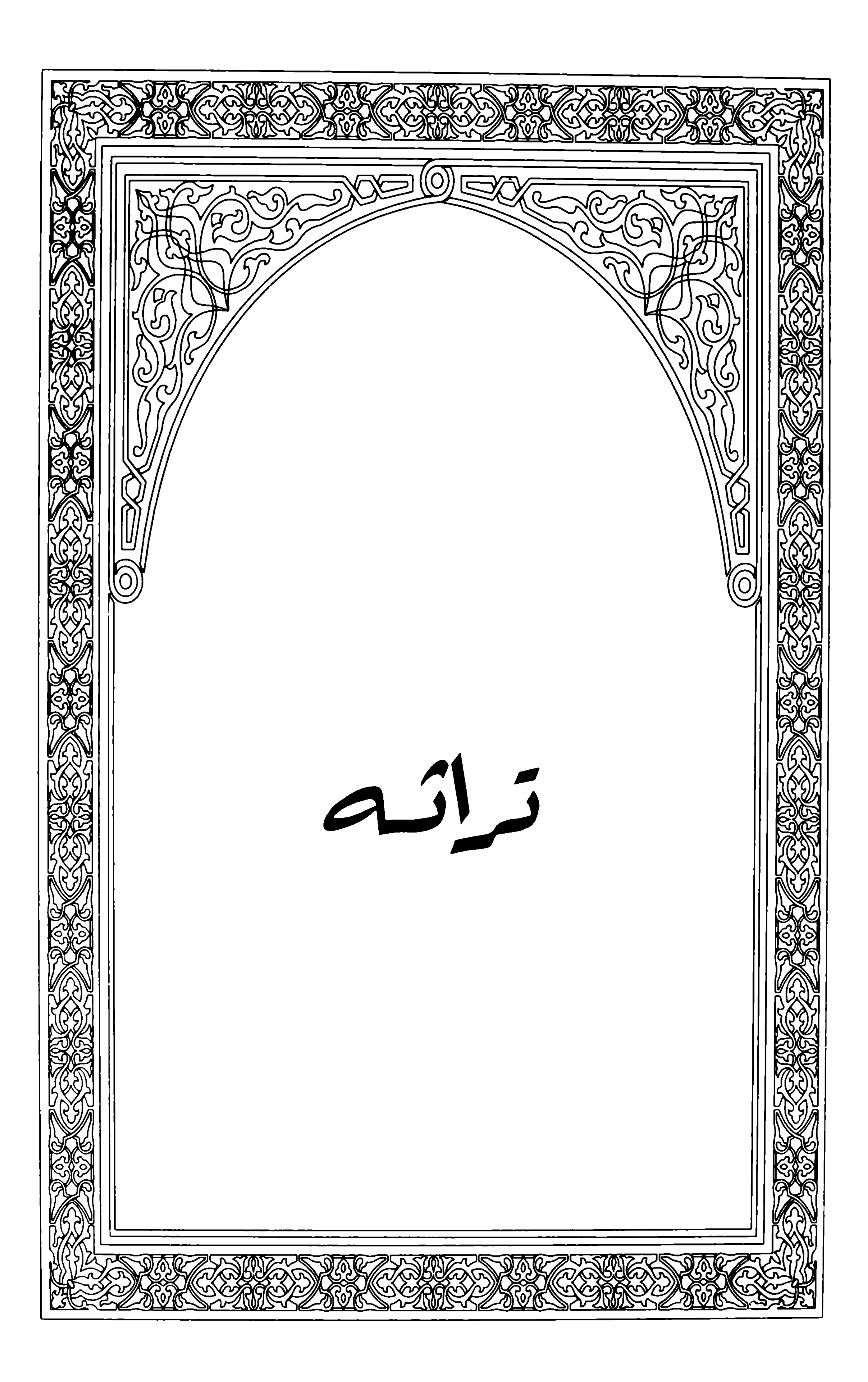
ثم قال: النّار، النّار (انتقاماً لمشاركته في حرق خيام الإمام الحسين عليه السلام) فجيء بقصب ثمّ جعل فيه، ثم الهبت النار عليه حتّىٰ احترق.

يقول المنهال: فقلت: سبحان الله.

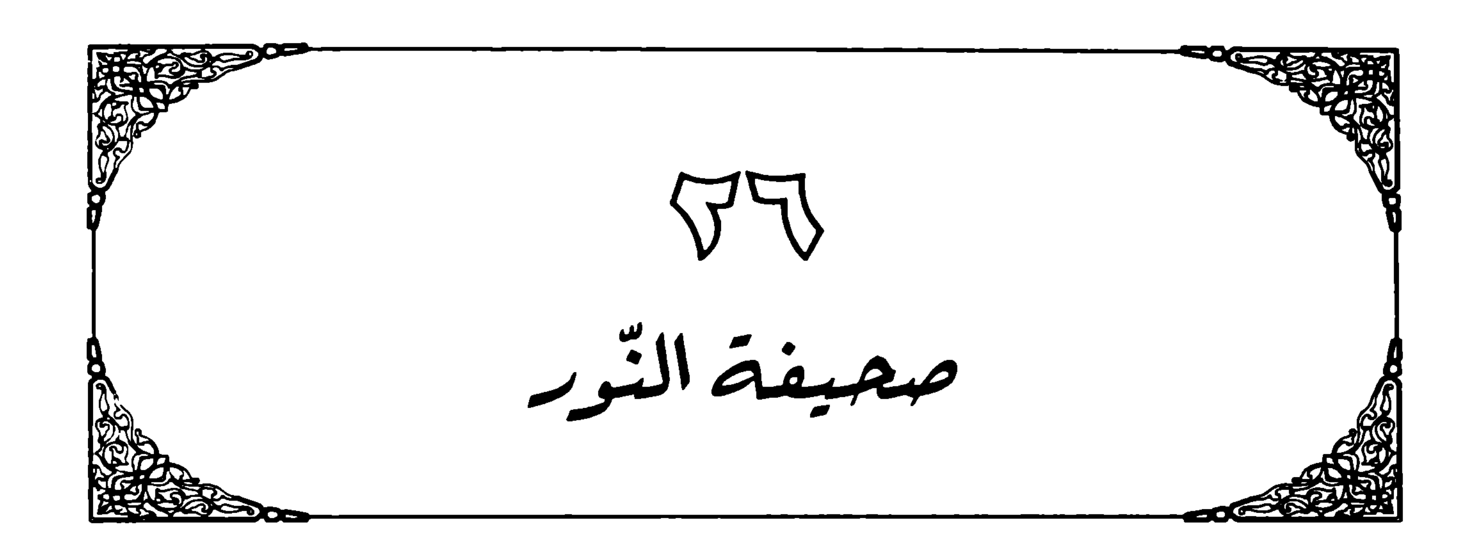
فالتفت إليَّ المختار وقال: ممّ سبّحت؟ فقلت له: «دخلت علىٰ عليّ بن الحسين فسألني عن حرملة، فأخبرته أنّي تركته بالكوفة حيّاً، فقال: «اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النّار» فحمد المختار الله علىٰ استجابة دعوات السّجّاد علىٰ يديه»[1].

---

(١) كشف الغمّة: ج٢، ص٣١٢.



ترانه



٣٦
صحيفة النّور

الصحيفة السّجاديّة، رسالة ربّانيّة لطالبي النجاة. وهي واحدة من المفاتيح الّتي يفتح بها المؤمنون أبواب رحمة الله، ويسلكون بها إلىٰ رضوانه.

وفيها من المعارف بمقدار ما فيها من الأدعية، وفيها من المواعظ بمقدار ما فيها من المناجاة، وفيها من التشريع بمقدار ما فيها من الأذكار، وهي بحقّ زبور آل محمّد ﷺ، لأنّها الصحيفة البيضاء من كلّ سوء، الخالية من كلّ عيب، البريئة من كلّ آفة.

ومن يختلط دمه بأدعية هذه الصحيفة، لن يعدم التوفيق للأعمال الصالحات، ولن يضيّع عمره في الترّهات، ولن يتيه يوماً في متاهات الحياة. لأنّها تعلّمه الغاية والطريق، وترشده إلىٰ الهدف والوسيلة، وتهديه إلىٰ الخير والفضيلة.

وهي بعد، تزكّي روحه، وتجلو قلبه، وتسدّد رأيه، وترشد عقله، وتجعله صورة مصغّرة عن صاحب الصحيفة.

وفي ذلك توفيق ليس فوقه توفيق.

حقاً ان الصحيفة السجادية هي من منابع المعرفة، ومصادر العلم،

ومدارس التربية، ومناهج الأخلاق، وذخائر البلاغة. .

فهي الصحيفة التي بها ثلاثة أبعاد، بُعد رباني، وبُعد رسالي واجتماعي، وبُعد إنساني؛ وهي ذات وحدة متلازمة متماسكة.

«إن كل دعاء بمفرده قائم بذاته في استقلالية مجردة، وسرعان ما يربطك التأمل الخاشع بخيوط ترتبط بها شبكة المعاني، تمتد من أول دعاء حتى آخر دعاء، من دون أن تلمحها كيف تنساب من مسافة إلى مسافة في تسلسل إرتباطي بوحدة موضوعية في خدمة قضية معينة الأهداف، وجليلة المصير. إنها قضية وجودية رسالية اجتماعية[١].

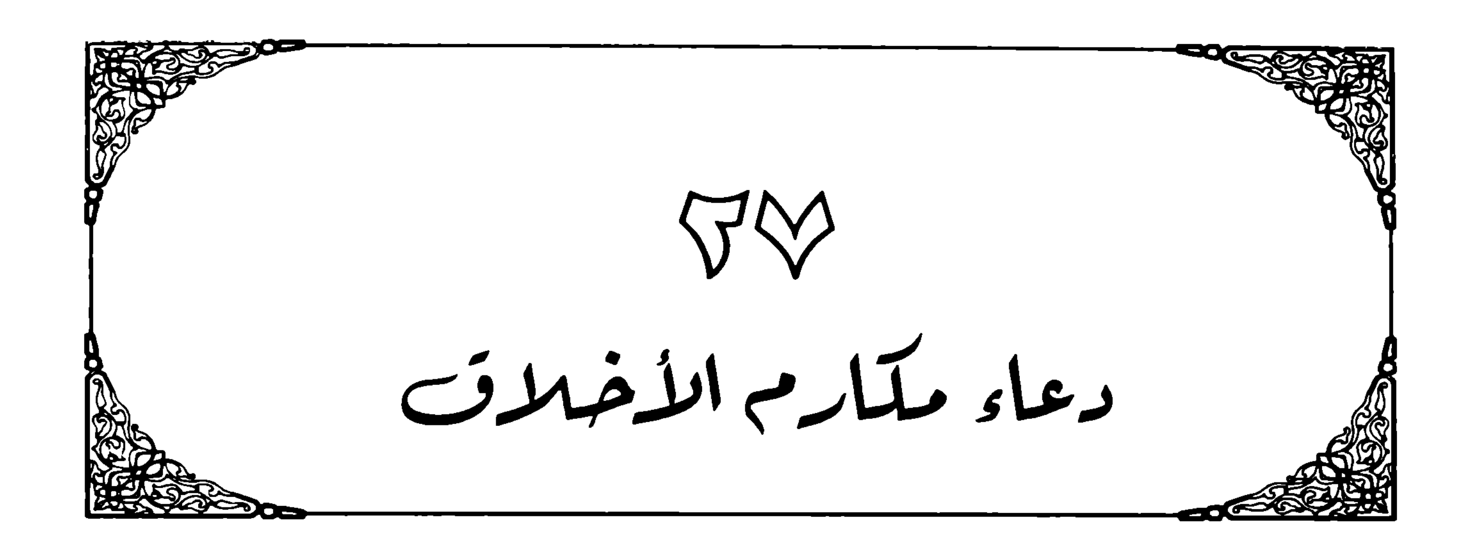
ولبّ قضية الصحيفة السجادية هو معرفة الباري عز وجل، والتقرب إليه، وكسب رضاه، وأداء المسؤولية وبذل المعروف، والإلتزام بالأخلاق.

فهي الصحيفة التي تعطي رائدها صفاء الروح وطهارة النفس، والتجرد عن الشرور والتوبة من الآثام، والانقطاع إلى الله، والاعتصام به، والتوكل عليه.

ولئن كانت الصحيفة السجادية لا تزيد صفحاتها على مائة وخمسين صفحة، موزعة على أربعة وخمسين دعاءً إلاّ أنّها ذخر عظيم من ذخائر الحقيقة، ومنارة رفيعة من منائر النور. وهي سفر نفيس تشبه صاحبها، فحجمها صغير كقامته النحيلة، ولكنّ محتواها أرفع من القمم الشاهقات، وأعمق من كل بحور الأرض كما كانت روح صاحبه عظيمة في كل المجالات.

---

(١) الإمام زين العابدين، عنقود مرصع، لسليمان كتاني ص٢٥٠.



يلخص دعاء مكارم الأخلاق وصايا الأنبياء إلىٰ حوارييهم، ونصائح الأولياء إلىٰ مقرّبيهم. في كلمات قليلة، وجمل قصيرة.

والّذين يتلون هذا الدعاء ويعملون به، سوف يكونون ممّن قال عنهم ربّنا: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وفيما يلي نص الدعاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيمٰانِي أَكْمَلَ ٱلْإِيمٰانِ، وَٱجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ ٱلْيَقِينِ، وَٱنْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَىٰ أَحْسَنِ ٱلنِّيّٰاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَىٰ أَحْسَنِ ٱلأَعْمٰالِ. أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمٰا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَٱسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مٰا فَسَدَ مِنِّي. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱكْفِنِي مٰا يَشْغَلُنِي

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

ٱلاهْتِمٰامُ بِهِ، وَٱسْتَعْمِلْنِي بِمٰا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَٱسْتَفْرِغْ أَيّٰامِي فِيمٰا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ وَلا تَفْتِنِّي بِٱلنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِٱلْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلا تُفْسِدْ عِبٰادَتِي بِٱلْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنّٰاسِ عَلَىٰ يَدَيَّ ٱلْخَيْرَ وَلا تَمْحَقْهُ بِٱلْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعٰالِيَ ٱلأَخْلاقِ، وَٱعْصِمْنِي مِنَ ٱلْفَخْرِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِي ٱلنّٰاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهٰا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظٰاهِراً إِلاَّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بٰاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهٰا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَتِّعْنِي بِهُدًى صٰالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيغُ عَنْهٰا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا أَشُكُّ فِيهٰا، وَعَمِّرْنِي مٰا كٰانَ عُمْرِي بِذْلَةً فِي طٰاعَتِكَ، فَإِذٰا كٰانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطٰانِ فَٱقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ. أَللَّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعٰابُ مِنِّي إِلاَّ أَصْلَحْتَهٰا، وَلا عٰائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهٰا إِلاَّ حَسَّنْتَهٰا، وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ نٰاقِصَةً إِلاَّ أَتْمَمْتَهٰا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بُغْضَةِ أَهْلِ ٱلشَّنَآنِ ٱلْمَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ٱلْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ ٱلصَّلاحِ ٱلثِّقَةَ، وَمِنْ عَدٰاوَةِ ٱلأَدْنَيْنَ ٱلْوِلايَةَ وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي ٱلأَرْحٰامِ ٱلْمَبَرَّةَ، وَمِنْ خِذْلانِ ٱلأَقْرَبِينَ ٱلنُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ ٱلْمُدٰارِينَ تَصْحِيحَ ٱلْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ ٱلْمُلابِسِينَ كَرَمَ ٱلْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرٰارَةِ خَوْفِ ٱلظّٰالِمِينَ حَلاوَةَ ٱلأَمَنَةِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱجْعَلْ لِي يَداً عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي، وَلِسٰاناً عَلَىٰ مَنْ خٰاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عٰانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَىٰ مَنْ كٰايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَىٰ مَنِ ٱضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلامَةً مِمَّنْ

تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي، أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِٱلنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِٱلْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِٱلْبَذْلِ، وَأُكَافِيءَ مَنْ قَطَعَنِي بِٱلصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ ٱغْتَابَنِي إِلَىٰ حُسْنِ ٱلذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ ٱلْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ ٱلسَّيِّئَةِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ ٱلصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ ٱلْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ ٱلْعَدْلِ وَكَظْمِ ٱلْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ ٱلنَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ ٱلْفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ ٱلْعَارِفَةِ وَسَتْرِ ٱلْعَائِبَةِ وَلِينِ ٱلْعَرِيكَةِ وَخَفْضِ ٱلْجَنَاحِ، وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ، وَسُكُونِ ٱلرِّيحِ، وَطِيبِ ٱلْمُخَالَقَةِ، وَٱلسَّبْقِ إِلَىٰ ٱلْفَضِيلَةِ، وَإِيثَارِ ٱلتَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ ٱلتَّعْبِيرِ وَٱلإِفْضَالِ عَلَىٰ غَيْرِ ٱلْمُسْتَحِقِّ، وَٱلْقَوْلِ بِٱلْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَٱسْتِقْلالِ ٱلْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لِي بِدَوَامِ ٱلطَّاعَةِ وَلُزُومِ ٱلْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ ٱلْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِي ٱلرَّأْيِ ٱلْمُخْتَرَعِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلا تَبْتَلِنِي بِٱلْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلا ٱلْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ، وَلا بِٱلتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ، وَلا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ ٱجْتَمَعَ إِلَيْكَ. أَللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ ٱلضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ ٱلْمَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِٱلاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا ٱضْطُرِرْتُ، وَلا بِٱلْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا ٱفْتَقَرْتُ، وَلا بِٱلتَّضَرُّعِ إِلَىٰ مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقَّ بِذٰلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ. أَللَّهُمَّ ٱجْعَلْ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ ٱلتَّمَنِّي وَٱلتَّظَنِّي وَٱلْحَسَدِ

ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَىٰ عَدُوِّكَ، وَمٰا أَجْرَىٰ عَلَىٰ لِسٰانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هَجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهٰادَةِ بٰاطِلٍ، أَوْ ٱغْتِيٰابِ مُؤْمِنٍ غٰائِبٍ أَوْ سَبِّ حٰاضِرٍ وَمٰا أَشْبَهَ ذٰلِكَ نُطْقاً بِٱلْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرٰاقاً فِي ٱلثَّنٰاءِ عَلَيْكَ، وَذَهٰاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَٱعْتِرٰافاً بِإِحْسٰانِكَ، وَإِحْصٰاءً لِمِنَنِكَ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ ٱلْقٰادِرُ عَلَىٰ ٱلْقَبْضِ مِنِّي، وَلا أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدٰايَتِي، وَلا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي. أَللَّهُمَّ إِلَىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ وَإِلَىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَىٰ تَجٰاوُزِكَ ٱشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مٰا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلا فِي عَمَلِي مٰا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمٰا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ. أَللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِٱلْهُدَىٰ وَأَلْهِمْنِي ٱلتَّقْوىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَىٰ، وَٱسْتَعْمِلْنِي بِمٰا هُوَ أَرْضَىٰ. أَللَّهُمَّ ٱسْلُكْ بِيَ ٱلطَّرِيقَةَ ٱلْمُثْلَىٰ، وَٱجْعَلْنِي عَلَىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيٰا. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِٱلاقْتِصٰادِ، وَٱجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلسَّدٰادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ ٱلرَّشٰادِ، وَمِنْ صٰالِحِي ٱلْعِبٰادِ، وَٱرْزُقْنِي فَوْزَ ٱلْمَعٰادِ، وَسَلامَةَ ٱلْمِرْصٰادِ. أَللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مٰا يُخَلِّصُهٰا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مٰا يُصْلِحُهٰا، فَإِنَّ نَفْسِي هٰالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهٰا، أَللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ ٱسْتِغٰاثَتِي إِنْ كَرَثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فٰاتَ خَلَفٌ، وَلِمٰا فَسَدَ صَلاحٌ، وَفِيمٰا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ، فَٱمْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ ٱلْبَلاءِ بِٱلْعٰافِيَةِ، وَقَبْلَ ٱلطَّلَبِ

بِٱلجِدَّةِ، وَقَبْلَ ٱلضَّلالِ بِٱلرَّشادِ، وَٱكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ ٱلْعِبادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ ٱلْمَعادِ، وَٱمْنَحْنِي حُسْنَ ٱلْإِرْشادِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱدْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَٱغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَداوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَراكَ، وَجَلِّلْنِي رِضاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذا ٱشْتَكَلَتْ عَلَيَّ ٱلأُمُورُ لأَهْداها، وَإِذا تَشابَهَتِ ٱلأَعْمالُ لأَزْكاها، وَإِذا تَناقَضَتِ ٱلْمِلَلُ لأَرْضاها. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِٱلْكِفايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ ٱلْوِلايَةِ وَهَبْ لِي صِدْقَ ٱلْهِدايَةِ وَلا تَفْتِنِّي بِٱلسَّعَةِ، وَٱمْنَحْنِي حُسْنَ ٱلدَّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلا تَرُدَّ دُعآئِي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱمْنَعْنِي مِنَ ٱلسَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ ٱلتَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِٱلْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ ٱلْهِدايَةِ لِلْبِرِّ فِيما أُنْفِقُ مِنْهُ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱكْفِنِي مَؤُونَةَ ٱلاكْتِسابِ، وَٱرْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ ٱحْتِسابٍ، فَلا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بِٱلطَّلَبِ، وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعاتِ ٱلْمَكْسَبِ. أَللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ ما أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنْ وَجْهِي بِٱلْيَسارِ، وَلا تَبْتَذِلْ جاهِي بِٱلْإِقْتارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطانِي، وَأُبْتَلَىٰ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ ٱلْإِعْطاءِ وَٱلْمَنْعِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَٱرْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبادَةٍ، وَفَراغاً فِي زَهادَةٍ، وَعِلْماً فِي ٱسْتِعْمالٍ، وَوَرَعاً فِي إِجْمالٍ. أَللَّهُمَّ ٱخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَىٰ بُلُوغِ رِضاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ

أَحْوالِي عَمَلِي. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقاتِ ٱلْغَفْلَةِ، وَٱسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ فِي أَيَّامِ ٱلْمُهْلَةِ، وَأَنْهِجْ لِي إِلَىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِها خَيْرَ ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرَةِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنا فِي ٱلدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذابَ ٱلنَّارِ[1].

(١) الصحيفة السجادية ص٩٢.



٣٨
رسالة الحقوق

رسالة الحقوق موسوعة كبيرة، في كلمات قليلة، وقد بين فيها الإمام أهم الحقوق الواجبة على الإنسان تجاه ربه، وتجاه نفسه، وتجاه الناس.

وابتدأ فيها بحقوق الباري وانتهى فيها بحقوق أهل الذمة، مروراً بحقوق العبيد والجواري.

وهذه الرسالة بحق واحدة من أعظم المراجع الأساسية في مجال الحقوق، حيث تحدد المبادىء الرئيسية التي لا بد أن تعتمد في المسائل الرئيسية للمجتمعات.

ولقد كان الإمام نفسه نموذجاً للعامل بتلك الرّسالة، فقد أدّى ما عليه من الحقوق حق الأداء. فهو عليه السلام كان مثل أبائه يعمل، ثم ينصح غيره بالعمل، ولم يكن بالذي ينصح ثم يعمل.

* * *

ولقد أحاط الإمام رسالته بالقدسية المعهودة منه حتى عدّها بعضهم: «صلاة طويلة، صلاها الإمام زين العابدين بما لا يحصى فيها من أفعال السجود، لأجل تعليم الأمة كيفية ضبط أفرادها بما يترتب عليهم من الحقوق والواجبات.

لقد جعلها بحثاً كثير الاقتضاب حصره بمقدمة صغيرة تبيّن أهمية العمل من أجل صيانة الأمة لصيانة الإنسان فيها، وتوجيهه التوجيه الصحيح، وبتفصيل قليل التوسع، وزعه على واحد وخمسين حقاً، يتخلل كل واحد منها إشارة خفيفة إلى المضمون»[1].

«وأول عنوان في الرسالة هو: حق الله ـ أما الشرح الكبير فكان في التلميح الصغير: بأن التوحيد من حق الله على الإنسان وهي بديهة من البديهيات، على العقل أن يدركها ويقطع بها مجالات الشرح الطويل.

«وثاني عنوان في الرسالة هو: حق النفس ـ أما الشرح والتحليل فكون النفس خلجة من خلجات الحياة، وهي روح من الله في المخلوق... وطاعة الخالق حق عليها في الشكر الرفيع... إنها بديهة ثانية تختصر دونها شروح الفلسفات.

ثم ان النفس هي الإنسان الذي هو:

ـ لسان... الذي ما أطيبه إذا كان يعبر عن النفس بالصدق ونصاعة البيان.

ـ وسمعٌ... لا يجوز أن يرهقه غير الحق، والابتعاد عن سماع الكذب والأراجيف.

ـ وبصر... يرى الجمال منزهاً من كل شناعة.

ـ وقدم... تمشي فقط على دروب الخير لأن الشر يحطمها.

ـ ويد... تمتد إلى العمل الشريف لأن القبح يبريها.

---

(١) الإمام زين العابدين: عنقود مرصع ص٢٤١.

ـ وبطن. . . لا يجوز أن يمتلىء إلا من حلال الدنيا وإلا فهو بيت الداء.

ـ ورحم. . . تحضن النسل لحفظ خيط الحياة، بشرط أن تطيّبها العفّة ولا تقرحها الفحشاء.

وعلى الإنسان أن يزكي نفسه: بالصلاة، والصوم، والصدقة، وحق الهدي:

ـ فالصلاة. . . تقربه من الله في خشوع دائم.

ـ والصوم. . . جلوة البدن مما يغشاه من تخمة تعرقل فاعلية الصحة فيه وهو ـ أيضاً ـ تحضير الإرادة لتحمل الجوع والتحفز لمشاركة الفقراء تخفيفاً من غائلة العوز عنهم ما أمكن. . .

ـ والصدقة. . . وهي تداخل روحي فاعل في تقديم المعونة، من دون تعريض المحتاج إليها لذل الطلب.

ـ والهدي. . . وهو ترويض العابد بزيارة الأماكن المقدسة التي هي تذكير له بأن الله عزَّ وجلَّ هو المعبود على كل حال.

أما الناس فمصنفون إلى مراتب، أما المرتبة الأولى فهي مرتبة الأئمة. وقد اعتبر الإمام أن مركز الإمامة مركز ينضوي فيه كل مسؤول في السياسة، والحكم، والتعليم، والتوجيه، والإدارة. . . وخصص كل واحد منهم بالطاعة، والمحبة، والاحترام، حتى يوفي كل واحد منهم مسؤوليته، بما يلزمها من الصدق والوفاء، أما الحاكم ـ بنوع خاص ـ إذا أسَاءَ ولم يخلص لمركزه الكبير. فأوصى الإمام أن يؤخذ أمره بالروية، وأن لا يجابه بالعصيان، لأنه المقتدر في الانتقام، ويكون وقع الضرر منه على الرعية فادحاً ومؤلماً. . . إن الله ـ لحكمة منه ـ يتولى أمره ويصلح ـ مع الوقت ـ من شأنه،

ولا بد من نصائح يقدمها له الغيورون، تعدل من غلوائه، وتعيده إلى حقيقة الرشد.

أما الحقوق فهي كالتالي:

ـ على الحاكم أن يكون غيوراً على الأمة وأن تحلّيه التقوى، والمعرفة، والحق والعدل وصدق الإيمان.

ـ وعلى المعلم ـ صائغ الفكر والحضارة ـ نزاهة القصد، ولين الطبع، وصحة الوجدان.

ـ وعلى المؤذن وإمام الجماعة، حسن التوجيه في التبليغ والإرشاد.

ـ وعلى الأب والأم تزيين القلب بالمحبة المؤمنة، والرعاية الحكيمة والتربية الصالحة.

ـ وعلى الأبناء تكريم علة وجودهم وهم الأبوان وتلك هي فضيلة الوفاء.

ـ وعلى المولى أن يكون كريماً مع من يتولى عليه ويسبغ عليه المعروف.

ـ وعلى المنعم عليه بالحرية أن يحفظ الولاء لمن حرره من ذل العبودية.

ـ وعلى الجار أن يحفظ حقوق الجيرة بالمودة، والستر، والألفة.

ـ وعلى الجليس أن يتحلى بآداب السلوك.

ـ وعلى الصديق أن لا يخون الصداقة ولا يبيعها بالمال، لأن في ذلك ذلاً وغدراً. . .

ـ وعلى الشريك في الأعمال أن لا يخون الشراكة ويبقى عفيفاً في تعاطيه الشريف.

ـ وعلى صاحب المال أن يعتبر المال انتاج جهد شريف لا رِبَا فيه ولا تزوير وإلا فالتصدق به أولى.

ـ وعلى الدائن والمدين صدق الأخذ وصدق القصد بالرد وما عدا ذلك فالتسامح هو الأولى.

وهنالك حقوق عديدة متشابهة، ذكرها الإمام زيادة في الحيطة والتبصر: كالمستشير، والمستنصح، والناصح، والكبير في السن، والصغير في العمر، والسائل والمسؤول... أما حقوق الملة فهي المحصورة بتأمين السلامة لها، ووفرة الإحسان، حتى تبقى في اضطراد نموها الخير المؤمن... أما حقوق أهل الذمة، فإن ما قبل الله منهم وسع لهم الذمة في التمتع بالحرية، والطمأنينة، والرخاء[1]. تلك هي ملامح من رسالة الحقوق وفيما يلي نصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إعلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ حُقُوقاً مُحِيطَةً بِكَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكْتَها، أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنْتَهٰا، أَوْ حٰالٍ حِلْتَهٰا أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزْلْتَهٰا، أَوْ جَارِحَةٍ قَلَبْتَهٰا أَوْ آلَةٍ تَصَرَّفْتَ بِهٰا، بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ. وَأَكْبَرُ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكَ مٰا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الحُقُوقِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَ. ثُمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلىٰ قَدَمِكَ عَلىٰ ٱخْتِلافِ جَوَارِحِكَ، فَجَعَلَ لِبَصرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِسَمْعِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِلِسٰانِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِيَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِرجْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِبَطْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِفَرْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، فَهٰذِهِ الجَوٰارِحُ السَّبْعُ الَّتِي بِها تَكُونُ الأَفْعَالُ.

---

(١) الإمام زين العابدين، لسليمان كتاني ص٢٤٢ ـ ٢٤٦.

ثُمَّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حُقُوقاً: فَجَعَلَ لِصَلاتِكَ عَلَيْكَ حَقاً، وَلِصَوْمِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِصَدَقَتِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِهَدْيِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِأَفْعالِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، ثُمَّ تَخْرُجُ الْحُقُوقُ مِنْكَ إلى غَيْرِكَ مِنْ ذَوِي الحُقُوقِ عَلَيْكَ، وَأَوْجَبُها عَلَيْكَ حُقُوقُ أَئِمَّتِكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَحِمِكَ، فَهٰذِهِ حُقُوقٌ يَتَشَعَّبُ مِنْها حُقُوقٌ، فَحُقُوقُ أَئِمَّتِكَ ثَلاثَةٌ أَوْجَبُها عَلَيْكَ: حَقُّ سائِسِكَ بِالسُّلْطانِ، ثُمَّ حَقُّ سائِسِكَ بِالْعِلْمِ، ثمَّ حَقُّ سائِسِكَ بِالمُلْكِ، وَكُلُّ سَائِسٍ إِمَامٌ.

وَحُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلاثَةٌ أُوجَبُها عَلَيْكَ: حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطانِ، ثُمَّ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ الجاهِلَ رَعِيَّةُ العالِمِ، وَحَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالمُلْكِ، مِنَ الأَزْواجِ وَما مَلَكَتْ مِنَ الأَيْمانِ.

وَحُقُوقُ رَحِمِكَ كَثِيرَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِقَدْرِ اتِّصالِ الرَّحِمِ في القَرابَةِ، وَأَوْجَبُها عَلَيْكَ حَقُّ أُمِّكَ، ثُمَّ حَقُّ أَبِيكَ، ثُمَّ حَقُّ وَلَدِكَ، ثُمَّ حَقُّ أَخِيكَ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ وَالأَوْلُ فَالأَوْلُ.

ثُمَّ حَقُّ مَوْلاكَ المُنْعِمُ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ موْلاكَ الجارِيَةُ نِعْمَتُكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ حَقُّ ذِي المَعرُوفِ لَدَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ مُؤَذِّنِكَ بِالصَّلاةِ، ثُمَّ حَقُّ إمامِكَ في صَلاتِكَ، ثُمَّ حَقُّ جَلِيسِكَ، ثُمَّ حَقُّ جارِكَ، ثُمَّ حَقُّ صاحِبِكَ، ثُمَّ حَقُّ شَرِيكِكَ، ثُمَّ حَقُّ مالِكَ، ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذي تُطالِبُهُ، ثُمَّ حقُّ غَرِيمِكَ الَّذي يُطالِبُكَ، ثُمَّ حَقُّ خَلِيطِكَ، ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ المُدَّعي عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الَّذي تَدَّعي عَلَيْهِ، ثُمَّ حَقُّ مُسْتَشِيرِكَ، ثُمَّ حَقُّ المُشِيرِ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ مُسْتَنْصِحِكَ، ثُمَّ حَقُّ النّاصِحِ لَكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ، ثُمَّ حَقُّ

مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ، ثُمَّ حَقُّ سائِلِكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ سَأَلْتَهُ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ جرىٰ لَكَ عَلىٰ يَدَيْهِ مَسَاءَةٌ بِقَولٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ مَسَرَّةٌ بِذٰلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ عَنْ تَعَمُّدٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ، ثُمَّ حَقُّ اَهْلِ مِلَّتِكَ عَامَّة، ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ الذِمَّةِ، ثُمَّ الحُقُوقُ الجٰارِيةُ بِقَدْرِ عِلَلِ الأَحْوٰالِ، وَتَصَرُّفِ الأَسْبٰابِ، فَطُوبىٰ لِمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلىٰ قَضٰاءِ مٰا أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِهِ، وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ.

١ ـ حَقُّ اللهِ

فَأمّا حَقُّ اللَّهِ الأَكْبَرُ عَلَيْكَ، فَأَنْ تَعْبُدَهُ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، فَإذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ بإِخْلاصٍ، جَعَلَ اللَّهُ لكَ عَلىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهُمَا.

٢ ـ حَقُّ النَّفسِ

وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَوْفِيهٰا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَتُؤَدِّي إلىٰ لِسٰانِكَ حَقَّهُ، وإلىٰ سَمْعِكَ حَقَّهُ، وإلىٰ بَصَرِكَ حَقَّهُ، وإلىٰ يَدِكَ حَقَّهٰا، وإلىٰ رِجْلِكَ حَقَّهٰا، وَإلىٰ بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإلىٰ فَرْجِكَ حَقَّهُ، وَتَسْتَعِينُ باللَّهِ عَلىٰ ذٰلِكَ.

٣ ـ حَقُّ اللِّسَانِ

وَأَمَّا حَقُّ اللّسانِ: فَإِكْرٰامُهُ عَنِ الخَنا، وَتَعْوِيدُهُ الخَيْرَ، وَتَرِكُ الفُضُولِ الَّتِي لا فٰائِدَةَ لَهٰا، والبِرُّ بالنٰاسِ وَحُسنُ القَولِ فِيهم، وَحَمْلُهُ عَلَى الآدَابِ، وَإِجْمَامُهُ إِلَّا لِمَوْضِعِ الحَاجَةِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِعْفَاؤُهُ مِنَ الفُضُولِ القَلِيلَةِ الفَائِدَةِ الَّتِي لَا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا، وَبُعْدِ

شَاهِدِ العَقْلِ وَالدَّلِيلِ عَلَيْهِ، وَتَزْيِينُ العَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

٤ ـ حَقُّ السَّمْعِ

وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ سَمٰاعِ الغِيبَةِ، وَسَمٰاعِ مٰا لا يَحِلُّ سَمٰاعُهُ، وَتَنْزِيهُهُ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقاً إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفَوْهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْراً أَوْ تَكْسَبُ بِهِ خُلُقاً كَرِيماً، فَإِنَّهُ بَابُ الكَلام إِلَى القَلْبِ، يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبَ المَعَاني عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

٥ ـ حَقُّ البَصَرِ

وَأَمَّا حَقُّ البَصَرِ فَغَضُّهُ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، وَتَرْكُ ابْتِذَالِهِ إِلَّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَراً أَوْ تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْماً، فَإِنَّ البَصَرَ بَابُ الاعْتِبَارِ.

٦ ـ حَقُّ الرِّجْلِ

وَحَقُّ رِجْلَيْكَ أَنْ لا تَمْشِيَ بِهِمٰا إلى مٰا لا يَحِلُّ لَكَ، فَفِيهِمٰا تَقِفُ عَلىٰ الصِراطِ، فَانْظُرْ أَنْ لا يَزِلَّا بِكَ فَتَتَرَدَّىٰ في النّارِ.

٧ ـ حَقُّ اليَدِ

وَحَقُّ يَدِكَ أَنْ لا تَبْسُطَها إلى ما لا يَحِلُّ لَكَ، فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ العُقُوبَةَ فِي الآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ اللَّائِمَةَ فِي العَاجِلِ، وَلَا تَقْبِضْهَا عَمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَلكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهَا، وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْها، فَإِذَا هِيَ قَدْ عَقَلَتْ وَشَرُفَتْ فِي العَاجِلِ، وَوَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ فِي الآجِلِ.

٨ ـ حَقُّ البَطْنِ

وَحَقُّ بَطْنِكَ أَنْ لا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ منَ الحَرَامِ وَلَا لِكَثِيرٍ، وَأَنْ تَقْصِدَ لَهُ فِي الحَلاَلِ، وَلاَ تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وذَهَابِ المُرُوءَةِ، فَإِنَّ الشَّبَعَ المُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مُسْخَفَةٌ ومَجْهَلَةٌ ومَذْهَبَةٌ لِلمُرُوءَةِ.

٩ ـ حَقُّ الفَرْجِ

وَحَقُّ فَرْجِكَ أَنْ تُحَصِّنَهُ عَنِ الزِّنى، وَحِفْظُهُ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ، والاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ البَصَرِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَعْوَنِ الأَعْوَانِ، وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالجُوعِ والظَّمَأ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ المَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ لِنَفْسِكَ بِاللَّهِ، وَالتَّخْوِيفِ لَها به. وَبِاللَّهِ العِصْمَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِهِ.

١٠ ـ حَقُّ الصَّلاةِ

فَأَمَّا حَقُّ الصَّلاةِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفادَةٌ إلى اللَّهِ، وَأَنَّكَ قائِمٌ بِهَا بينَ يَدَي اللَّهِ فإذا عَلِمْتَ ذٰلِكَ كُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الذَّلِيلِ، الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ، الخَائِفِ، الرَّاجِي، المِسْكِينِ، المُتَضَرِّعِ، المُعَظِّمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ والإِطْراقِ وَخُشُوعِ الأَطْرافِ وَلينِ الجَناحِ، وحُسْن المناجاةِ له في نَفْسِه، وَالطَّلَبِ إِلَيه في فِكاكِ رقَبَتِكَ الَّتي أحاطَتْ بها خطيئتُك وَاسْتَهْلَكَتْها ذنوبُكَ، ولا قُوَّةَ إلاّ باللّه.

١١ ـ حَقُّ الصَّوْمِ

وَحَقُّ الصَّوْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَلىٰ لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ

وَبَصرِكَ وَفَرْجِكَ، لِيَستُرَكَ بِهِ مِنَ النارِ، فإنْ تَرَكْتَ الصَّوْمَ خَرَقْتَ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَهكَذا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَإنْ سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حَجْبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْجُوباً، وَإنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبُ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَبَاتِ الحِجَابِ، فَتَطَّلِعُ إلى مَا لَيْسَ لَهَا بالنَّظْرَةِ الدَّاعِيةِ لِلشَّهْوَةِ وَالقُوَّةِ الخَارِجَة عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ للَّهِ، لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخرِقَ الحِجَاب وتَخْرُجَ مِنْهُ.

١٢ ـ حَقُّ الحَجِّ

وَحَقُّ الحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وَفادَةٌ إلى رَبِّك، وَفِرارٌ إليهِ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَبِهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ، وَقَضَاءُ الفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ.

١٣ ـ حَقُّ الصَّدَقَةِ

وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّها ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ عَزَّ وَجلَّ، وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لا تَحْتَاجُ إلى الإِشْهَادِ عَلَيْها، فَإِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَقَ بِهَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلانِيَةً، وَتَعْلَمَ أَنَّها تَدْفَعُ البَلاَيا وَالأَسْقامَ عَنْكَ في الدُّنيا، وَتَدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ في الآخِرَةِ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لأنَّهَا لَكَ، فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْها إلَى مَا مَنَنْت بِهَا عَلَيهِ، لأنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا، وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَك بِهَا لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ.

١٤ ـ حَقُّ الهَدْيِ

وَأَمَّا حَقُّ الهَدْيِ فَأَنْ تُخْلِصَ بِهِ الإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ

وَقَبُولِهِ، وَلاَ تُرِيدَ عُيونَ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتكلِّفاً وَلاَ مُتَصَنِّعاً، وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرَادُ بِاليَسِيرِ وَلاَ يُرَادُ بِالعَسِيرِ. كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِه التَّيْسِيرِ وَلَمْ يُرِدْ بِهِم التَّعْسِيرَ. وَكَذلِكَ التَّذَلُّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ (التَّدَهْقُنِ) لأنَّ الكُلْفَةَ وَالمُؤْنَةَ فِي (المُتَدَهْقِنينَ) فَأَمَّا التَّذَلُّلُ والتَّمَسْكُنُ فَلاَ كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلاَ مُؤْنَةَ عَلَيْهِمَا، لأَنَّهُمَا الخِلْقَةُ وَهُمَّا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ. وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ.

١٥ ـ حَقُّ السُّلْطَانِ

وَحَقُّ السُّلْطانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فتنةً وَأَنَّهُ مُبْتَلىٰ فِيكَ بِما جَعَلَهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنَ السُّلطانِ، وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ، وَأَنْ لا تُمَاحِكَهُ، وَقَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلاكِ نَفْسِكَ وهَلاكِهِ. وَتَذَلَّلْ وَتَلَطَّفْ لإعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَا مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلا يَضُرُّ بِدِينِكَ. وتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ باللَّه. وَلاَ تُعٰادِهِ وَلاَ تُعَانِدْهُ، فَإِنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَقْتَهُ وَعَقَقْتَ نَفْسَكَ، فَعَرَّضْتَها لِمكْرُوهِ وَعَرَّضْتَهُ لِلْهَلَكَةِ فِيكَ، وَكُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَشَرِيكاً لَهُ فِيمَا أَتَى إِلَيْكَ مِنْ سُوءٍ. وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ.

١٦ ـ حَقُّ المُعَلِّمِ

وَحَقُّ سٰائِسِكَ بِالتَّعَلُّمِ التَّعْظِيمُ لَهُ، والتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِه، وَحُسنُ الاَسْتِماعِ إليهِ، وَالإِقْبالُ عَليهِ، وأن لاَ تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ، وَلا تُجِيبَ أَحداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّىَ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، ولا تُحَدِّثَ في مَجْلِسِه أَحْداً وَلا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحداً، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إذا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ، وَأَنْ تَسْتُرَ

عُيُوبَهُ وَتُظْهِرَ مَنٰاقِبَهُ، وَلا تُجٰالِسَ عَدوَّهُ، ولا تُعٰادِي لَهُ وَلِيّاً، فَإِذٰا فَعَلْتَ ذٰلِكَ شَهِدَتْ لَكَ مَلائِكَةُ اللَّهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ، وَتَعلَّمْتَ عِلْمَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لا للنٰاسِ.

١٧ ـ حَقُّ المَالِكِ

فأَمَّا حَقُّ سٰائِسِكَ بالمُلْكِ فَنَحْوٌ مِنْ سَائِسِكَ بِالسُّلْطانِ، إلاَّ أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لاَ يَمْلِكُهُ ذَاكَ، تَلْزَمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ، إلاَّ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ وجُوبِ حَقِّ اللَّهِ، وَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ حَقِّهِ وَحُقوُقِ الخَلْقِ فَإذَا قَضَيْتَهُ رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ. وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ.

١٨ ـ حَقُّ الرَّعِيَّةِ بِالسُّلْطَانِ

وحَقُّ رَعِيَّتِكَ بالسُّلطٰانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ صٰارُوا رَعِيَّتَكَ لِضَعْفِهِمْ وَقُوَّتِكَ، فَيَجِبُ أَنْ تَعْدِلَ فِيهِمْ وَتَكُونَ لَهُمْ كالوٰالِدِ الرَّحِيمِ، وَتَغْفِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ، وَلا تُعٰاجِلَهُمْ بِالعُقُوبَةِ، وَتَشْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ مٰا آتٰاكَ مِنَ القُوَّةِ عَلَيْهِمْ.

١٩ ـ حَقُّ الرَّعِيَّةِ بِالعِلْمِ

وأَمّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ خٰازِناً فِيمٰا آتٰاكَ مِنَ العِلْمِ، وَوَلّٰاكَ مِنْ خِزَانَةِ الحِكْمَةِ، فإِنْ أَحْسَنْتَ فيمَا وَلّٰاكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وقُمْتَ بِهِ لَهُمْ مَقَامَ الخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلاهُ في عَبِيدِهِ، الصَّابِرِ المُحْتَسِبِ، الَّذِي إذَا رَأى ذَا حَاجَةٍ أخْرَجَ لَهُ مِنَ الأمْوَالِ الَّتي فِي يَدَيهِ، كُنْتَ رَاشِداً، وَكُنْتَ لِذَلِكَ آمِلاً مُعْتَقِداً، وَإِلاَّ كُنْتَ لَهُ خَائِناً وَلِخَلْقِه

ظَالِماً (وَكَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ العِلْمَ وَبَهاءَهُ وَيُسْقِطَ مِنَ القُلُوبِ مَحَلَّكَ).

٢٠ ـ حَقُّ الزَّوْجَةِ

وحَقُّ الزَّوْجَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ جعَلَهٰا لَكَ سَكَناً وَأُنْساً، وَتَعْلمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ منَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ فَتُكْرِمَها وَتَرْفُقَ بِهٰا، وإنْ كانَ حَقُّكَ عَلَيْهٰا أَوْجَبُ فإنَّ لهَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَهٰا لأَنَّها أَسيرُكَ وَتُطْعِمَها وَتَكْسُوهٰا؛ فَإذا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْها.

٢١ ـ حَقُّ المَمْلُوكِ

وحَقُّ مَمْلوكِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ، وَابْنُ أَبِيكَ وأُمِّكَ وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ، لَمْ تَمْلِكْهُ لأَنْكَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلا خَلَقْتَ شَيْئاً مِنْ جَوٰارِحِهِ، ولا أَخْرَجْتَ لَهُ رِزْقاً، وَلٰكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ كَفٰاكَ ذٰلِكَ ثُمَّ سَخَّرَهُ لكَ، وَٱئْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَٱسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ، ليحْفَظَ لَكَ مٰا تَأْتِيهِ مِنَ الخَيْرِ إِلَيْهِ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ كَمٰا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ اَسْتَبْدَلْتَ بِهِ، وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ.

٢٢ ـ حَقُّ الأُمِّ

فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهٰا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لا يَحْتَمِلُ أَحدٌ أَحداً، وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهٰا مٰا لا يُطْعِمُ أَحدٌ أَحداً، وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا، وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا، وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا، وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا، مُسْتَبْشِرَةً فَرِحَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُها وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا، حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ

يَدُ القُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الأَرْضِ، فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وتَجُوعَ هِيَ، وتَكْسُوكَ وتَعْرى، وتَرْوِيَكَ وتَظْمَى، وتُظِلَّكَ وَتَضْحَى، وتُنَعِّمَكَ بُبُؤسِهَا وتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بأَرَقِها، وَكَانَ بطْنُهَا لَكَ وِعَاءً، وحِجرُهَا لَكَ حِوَاءً، وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً، وَنَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ. فَتَشْكُرَهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ إلاَّ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوفِيقِهِ.

٢٣ ـ حَقُّ الأَبِ

وحَقُّ أَبِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ [أَنَّهُ] لوْلاهُ لَمْ تَكُنْ، فَمَهْمٰا رَأَيْتَ في نَفْسِكَ مٰا يُعْجبُكَ فَٱعْلَمْ أَنَّ أَبٰاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ، فَٱحْمَدِ اللَّهَ وَٱشْكُرْهُ عَلىٰ قَدْرِ ذٰلِكَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

٢٤ ـ حَقُّ الوَلَدِ

وَحَقُّ وَلَدِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ، في عٰاجِلِ الدُّنيٰا بِخَيْرِهِ وَشَرِّه، وَأَنَّكَ مَسْؤولٌ عَمَّا وَليتَهُ بهِ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ والدَّلالَةِ عَلىٰ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالمَعُونَةِ لَهُ عَلَىٰ طٰاعَتِهِ، فَٱعْمَلْ في أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُثٰابٌ عَلىٰ الإِحْسٰانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ عَلىٰ الإِسٰاءَةِ إِلَيْه.

٢٥ ـ حَقُّ الأَخِ

وأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا، وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْتَجِىءُ إِلَيْهِ، وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا، فَلا تَتَّخِذْهُ سِلاحاً عَلىٰ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلاعُدَّةً للظُّلْم بِحَقِّ اللهِ، وَلا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ، والحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ، وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ،

وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ، فإن انْقادَ لِرَبِّه وأحْسَنَ الإجابَةَ له؛ وإلاّ فَلْيَكُنِ اللَّهُ آثَرَ عِنْدَكَ وأكْرَمَ عَلَيْكَ منه.

٢٦ ـ حَقُّ المُنْعِمِ بالولاءِ

وأمَّا حَقُّ المُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاء، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مٰالَهُ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إلىٰ عِزِّ الحُرِّيَّةِ وَأُنْسِهٰا، فَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ المِلْكَةِ، وفكَّ عَنْكَ حلَقَ [قَيْدَ] العُبُودِيَّةِ، وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ العِزِّ، وَأَخْرَجَكَ مِنَ سِجْنِ القَهْرِ، وَدَفَعَ عَنْكَ العُسْرَ، وبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الإِنْصافِ، وَأَبَاحَكَ الدُّنْيا كُلَّها، فَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ، وَحَلَّ أَسْرَكَ، وَفَرَّغَكَ لِعِبادَةِ رَبِّكَ، وَاحْتَمَلَ بِذلِكَ التَّقْصِيرَ في مَالِهِ. فَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ، وَأَحَقُّ الخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ، ومُكَاتَفَتِكَ فِي ذاتِ اللَّه، فَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ ما احْتاجَ إِلَيْكَ.

٢٧ ـ حَقُّ المَولَى الجَارِيَةِ عليه نِعْمَتُك

وأمّا حَقُّ مَولاكَ الجّارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِراً وَمَعْقِلاً، وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وسَبَباً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النّارِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ ثَوابٌ مِنْهُ فِي الآجِلِ، وَيَحْكُمَ لَكَ بِميراثِهِ فِي العَاجِلِ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ، مُكافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفاقِ مَالِكَ، فَإِنْ لَمْ تَخَفْهُ خِيفَ عَلَيْكَ أنْ لاَ يَطيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ. وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.

٢٨ ـ حَقُّ ذي المعروفِ

وأمّا حَقّ ذِي المَعْرُوفِ عَلَيْكَ، فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ، وَتَنْشُرَ لَهُ المَقَالَةَ الحَسَنَةَ، وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سُبْحَانَهُ، فإنّكَ إذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلانِيَةً، ثمَّ إنْ أمْكَنَ مُكافأتَهُ يوماً كَافَأْتَهُ، وَإلاَّ كُنْتَ مُرْصِداً لَهُ مُوَطّناً نَفْسَكَ عَلَيْهَا.

٢٩ ـ حَقُّ المُؤَذِّنِ

وَأَمَّا حَقُّ المُؤَذِّنِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مذَكِّرُكَ بِرَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَاعٍ لكَ إلى حَظِّكَ، وَعَوْنِكَ عَلىٰ قَضَاءِ فَرْضِ اللّهِ عَلَيْكَ، فَٱشْكُرْهُ عَلىٰ ذٰلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إلَيْكَ.

٣٠ ـ حَقُّ الإمامِ

وَأَمَّا حَقُّ إمَامِكَ في صَلاتِكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ عَزَّ وَجلَّ، وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ، وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ، وَطَلَبَ وَكَفَاكَ هَوْلَ المَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللّهَ عَزَّ وَجلَّ، فإنْ كَانَ نَقْصٌ كَانَ عَلَيْهِ [بِهِ] دُونَكَ، وَإنْ كَانَ تَمَامٌ كُنْتَ شَرِيكَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلٌ، فَوَقَىٰ نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وَصَلاتَكَ بِصَلاتِهِ فَتَشْكُرَ لَهُ عَلىٰ قَدْرِ ذَلْكَ.

٣١ ـ حَقُّ الجليسِ

وَحَقُّ جَلِيسِكَ أَنْ تُلِينَ لَهُ جَانِبَكَ، وَتُنْصِفَهُ في مُجَارَاةِ اللَّفْظِ، وَلا تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ إلاَّ بإذْنِهِ، وَمَنْ تَجْلِسُ إلَيْهِ [يَجْلِسُ إليكَ] يَجُوزُ لَهُ القِيَامُ عَنْكَ بِغَيْرِ إذْنِكَ، وَتَنْسىٰ زَلاتِهِ وَتَحْفَظَ خَيْراتِهِ، وَلاَ تُسْمِعَهُ إلاّ خَيْراً.

٣٢ ـ حَقُّ الجارِ

وحَقُّ جارِكَ حِفْظُهُ غائِباً، وإكْرامُهُ شاهِداً، وَنُصْرَتُهُ إذا كانَ مَظْلُوماً، وَلا تَتَّبِعْ لَهُ عَوْرَةً، فَإنْ عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءاً سَتَرْتَهُ عَلَيْهِ، وإنْ عَلِمْتَ أنَّهُ يَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحْتَهُ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلاَ تُسَلِّمُهُ عِنْدَ شَدَائِدِهِ [شَدِيدَةٍ]، وَتُقِيلُ عَثَرَاتِهِ [عَثْرَتَهُ]، وَتَغْفِرُ ذَنْبَهُ، وَتُعاشِرُهُ مُعاشَرَةً كَرِيمَةً، وَلاَ تَدَّخِرُ حِلْمَكَ عَنْهُ إذَا جَهِلَ عَلَيْكَ، وَلاَ تَخْرُجُ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَه، تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتيمَةِ وتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصيحَةِ، وَلاَ حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاّ باللّه.

٣٣ ـ حَقُّ الصَّاحِبِ

وَحَقُّ الصَّاحِبِ أَنْ تَصْحَبَهُ بالتَّفَضُّل وَالإنْصافِ، وَتُكْرِمَهُ كَما يُكْرِمُكَ، وَلا تَدَعهُ يَسْبِقُ إلى مَكْرُمَةٍ، فإنْ سَبَقَ كافَيْتَهُ [كافَأْتَهُ]، وَتَوِدُّهُ كَما يَوَدُّكَ، وَتَزْجُرُهُ عمّا يَهْتَمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَكُنْ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلا تَكُنْ عَلَيْهِ عَذاباً وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

٣٤ ـ حَقُّ الشَّرِيكِ

وَحَقُّ الشَّرِيكِ: فإنْ غابَ كَفَيْتَهُ، وإنْ حَضَرَ رَعَيْتَهُ، ولا تَحْكُمْ دُونَ حُكْمِهِ، ولا تَعْمَلْ بَرَأْيِكَ دُونَ مُناظَرَتِهِ، وَتَحْفَظُ عَلَيْهِ مالَهُ، ولا تَخُنْهُ فيما عَزَّ أَوْ هانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَإنَّ يدَ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ عَلىٰ أَيْدي الشَّرِيكَيْنِ ما لَمْ يَتَخاوَنا وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

٣٥ ـ حَقُّ المالِ

وَحَقّ مالِكَ فَأَنْ لا تَأْخُذَهُ إلاّ مِنْ حِلّهِ، وَلا تُنْفِقَهُ إلاّ في وَجْهِهِ، وَلاَ

تَحرِفَهُ عَنْ مُواضِعِهِ، وَلاَ تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِه، وَلاَ تَجْعَلَهُ إذَا كَانَ مِنَ اللّهِ إلاَّ إلَيْهِ، وَسَبَباً إلى اللَّهِ، وَلا تُؤْثِرَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِكَ مَنْ لا يَحْمَدكَ، فَاْعْمَلْ فِيهِ بِطٰاعَةِ رَبِّكَ، وَلا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوأَ بالحَسْرَةِ وَالنَّدٰامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

٣٦ ـ حَقُّ الغريمِ

وَحَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطالِبُكَ، فَإنْ كُنْتَ مُوسِراً أَعْطَيْتَهُ، وَلَمْ تَرْدُدْهُ وتَمْطُلْهُ، فَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَطَلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ». وَإنْ كُنْتَ مُعْسِراً أرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ القَوْلِ، وَطَلَبْتَ إليْهِ طَلَباً جَمِيلاً، وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً، وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ، فَإنَّ ذَلِكَ لؤمٌ وَلاَ قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ.

٣٧ ـ حَقُّ الخليطِ

وَحَقُّ الخَلِيطِ أَنْ لا تَغرَّهُ وَلاَ تَغُشَّهُ ولا تَخْدَعَهُ، وَتَتَّقِي اللَّهَ تَبٰارَكَ وَتَعٰالىٰ في أَمْرِهِ. وَلاَ تُكَذِّبَهُ وَلاَ تُغْفِلَهُ، وَلاَ تَعْمَلَ في انْتِقاصِهِ عَمَلَ العَدُّوِّ الَّذِي لاَ يُبْقِي عَلَى صَاحِبِهِ، وَإنْ اطْمَأنَّ إلَيْكَ اسْتَقْصَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَعَلِمَت أنَّ غُبْنَ المُسْتَرْسِلِ رِباً.

٣٨ ـ حَقُّ المُدَّعي

وَحَقُّ الخَصْمِ المُدَّعِي عَلَيْكَ، فَإنْ كٰانَ مٰا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً كُنْتَ شٰاهِدَهُ عَلىٰ نَفْسِكَ، وَلَمْ تَظْلِمْهُ وَأَوْفَيْتَهُ حَقَّهُ، وإنْ كانَ مٰا يَدَّعي بهِ بٰاطِلاً رَفِقْتَ بِهِ، وَلَمْ تَأْتِ في أمْرِهِ، وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ.

٣٩ ـ حَقُّ المُدَّعَى عليه

وَأَمَّا حَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ، إنْ كُنْتَ مُحِقّاً في دَعْواكَ أَجْمَلْتَ مُقَاوَلَتَهُ، وَلَمْ تَجْحَدْ حَقَّهُ، وإنْ كُنْتَ مُبْطِلاً في دَعْواكَ ٱتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَتُبْتَ إليهِ وَتَرَكْتَ الدَّعْوىٰ. فَإِنَّ لِلدَّعْوى غِلظَةً فِي سَمْعِ المُدَّعَى عَليهِ، وَقَصَدْتَ قَصْدَ حُجَّتِكَ بِالرِّفْقِ، وَأَمْهِلِ المُهْلَةَ، وَأَبْيِنِ البَيانَ، وَأَلْطُفِ اللُّطفَ، وَلَمْ تَتَشَاغَلْ عَنْ حُجَّتِكَ بِمُنَازَعَتِه بِالقيلِ وَالقَالِ، فَتذْهَبَ عَنْكَ حُجَّتُكَ؛ وَلاَ يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ دَرَكٌ.

٤٠ ـ حَقُّ المُسْتَشِيرِ

وَأَمَّا حَقُّ المُسْتَشِيرِ إنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رأياً اَشَرْتَ عَلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ لَو كُنْتَ مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ، فَإِنَّ اللِّينَ يُؤْنِسُ الوَحْشَةَ، وَإِنَّ الغِلْظَةَ تُوحِشُ مَوْضِعَ الأُنْسِ، وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيهِ، وَأَرْشَدْتَه إليْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَألُهُ خَيْراً، وَلَمْ تَدَّخِرْهُ نُصحاً، وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه.

٤١ ـ حَقُّ المُشِيرِ

وَحَقُّ المُشيرِ عَلَيْكَ أَنْ لا تَتَّهِمَهُ فِيمَا لا يُوافِقُكَ من رَأْيِهِ إذَا أَشَارَ عَلَيْكَ، فَإنَّما هِي الآرَاءُ وَتَصَرُّفُ النَّاسِ فِيهَا وَاخْتِلافُهُمْ، فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالخَيَارِ إِذَا ٱتَّهَمْتَ رَأْيَهُ، فَأَمَّا تُهْمَتُهُ فَلاَ تَجُوزُ لَكَ إذَا كَانَ عِنْدَكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ المُشَاوَرَةَ، وَلاَ تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ وَجْهِ مَشوُرَتِه، فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ

بِالشُّكْرِ وَالإِرْصادِ بِالمُكَافَأةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزِعَ إِلَيْكَ، وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِاللَّه.

٤٢ ـ حَقُّ المُسْتَنْصِحِ

وحَقُّ المُسْتَنْصِحِ أَنْ تُؤدِّيَ إليهِ النَّصِيحَةَ، وَلِيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالرِّفْقَ بِهِ وَتُكَلِّمَهُ مِنَ الكَلامِ بِمَا يُطيقُهُ عَقْلُهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبقَةً مِنَ الكَلامِ يَعْرِفُهُ وَيَجْتَنِبُهُ.

٤٣ ـ حَقُّ النَّاصِحِ

وَحَقُّ النَّاصِحِ أَنْ تُلِينَ لَهُ جَناحَكَ، وَتُصغِي إِلَيْهِ بِسَمْعِكَ، فَإِنْ أَتىٰ بالصَّوابِ حَمَدتَ اللَّه عَز وَجَلَّ، وإنْ لَمْ يُوافِقْ [يُوَفَّقَ] رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتّهمْهُ ،وَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَخطأ، وَلَمْ تؤاخذْهُ بِذَلِكَ إلاّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقّاً للتُهْمَةِ، فَلا تَعْبَأ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ حالٍ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ باللَّهِ.

٤٤ ـ حَقُّ الكَبِيرِ

وَحَقُّ الكَبِيرِ تَوْقِيرُه لِسِنِّهِ، وَإجلالُهُ فِي الإِسلامِ قَبْلَكَ، وَتَرْكُ مُقابَلَتِهِ عِنْدَ الخِصامِ، وَلاَ تَسْبِقْهُ إلى طَرِيقٍ، ولا تتقدَّمْهُ، ولا تَسْتَجْهِلَهُ وإنْ جَهِلَ عَلَيْكَ ٱحْتَمَلْتَهُ وَاَكْرَمْتَهُ لِحقِّ الإِسلامِ وَحُرْمَتِهِ، فَإِنَّمَا هِي حَقُّ السِّنِّ بِقَدْرِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

٤٥ ـ حَقُّ الصَّغِيرِ

وَحَقُّ الصَّغِيرِ رَحْمَتُهُ في تَعْلِيمِهِ، والعَفْوُ عَنْهُ والسّتْرُ عَلَيْهِ، والرِّفْقُ بِهِ، والمَعُونَةُ لَهُ. وَالسَّتْرُ عَلَى جَرائِرِ حَدَاثَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ، وَالمُدَارَاةُ لَهُ، وَتَرْكُ مُماحَكَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ.

٤٦ ـ حَقُّ السائلِ

وَحَقُّ السَّائِلِ: إعطاؤُهُ عَلىٰ قَدْرِ حٰاجَتِهِ، وَالدُّعاءُ لَهُ فِيمَا نَزَلَ بِهِ، وَالمُعَاوَنَةُ لَهُ عَلَى طَلِبَتِهِ، وَإِنْ شَكَكْتَ فِي صِدْقِهِ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِ التُّهْمَةُ وَلَمْ تَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ، لَمْ تَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَيدِ الشَّيطَانِ، أَرَادَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ حَظِّكَ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إلى رَبِّكَ، تَرَكْتَه بِسَتْرِهِ وَرَدَدْتَهُ رَدّاً جَمِيلاً، وَإِنْ غَلَبْتَ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ وَأَعْطَيتَهُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ مِنْهُ. فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.

٤٧ ـ حَقُّ المسؤولِ

وَأَمَّا حَقُّ المَسؤولِ فَحَقُّهُ إنْ أَعطىٰ قُبِلَ مِنْهُ مَا أَعْطَى بالشُّكْرِ لَهُ، والْمَعرِفَةِ لِفَضْلِهِ، وطَلَبِ وجْهِ العُذْرِ في مَنْعِه وأحسِنْ بِهِ الظَّنَّ، واْعْلَم أَنّه إنْ مَنَعَ فمالَه مَنَعَ، وأنْ لَيْسَ التثرِيبُ في مالِه، وإنْ كانَ ظالِماً فإنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كفّار.

٤٨ ـ حَقُّ مَنْ سَرَّكَ

وَحَقُّ مَنْ سَرَّكَ اللَّهُ تَعٰالىٰ بِهِ [لِلَّهِ تَعَالَى] أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلاً، ثُمَّ تَشْكُرَهُ، عَلَى ذَلِكَ بِقَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ الجَزاءِ، وَكَافَأْتَهُ عَلَى فَضْلِ الابْتِدَاءِ، وَأَرْصَدْتَ لَهُ المُكَافَأَةَ إنْ لَمْ تَعَمَّدَهَا لَكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَمَّدَهَا حَمِدْتَ اللَّهَ أَوَّلاً ثُمَّ شَكَرْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ مِنَّةٌ تَوَحَّدَكَ بِهَا، وَأَحْبَبْتَ هَذَا إِذَا كَانَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَتَرْجُو بَعْدَ ذَلِكَ خَيراً، فَإِنَّ أَسْبابَ النِّعَمِ بَرَكَةٌ حَيْثُمَا كَانَتْ.

٤٩ ـ حَقُّ مَنْ أَسَاءَ

وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَاءَكَ القَضَاءُ عَلَى يَدَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا كَانَ الْعَفْوُ أَوْلَى بِكَ لِمَا فِيهِ لَهُ مِنَ القَمْعِ وَحُسْنِ الأَدَبِ مَعَ كَثِيرٍ أَمْثَالِهِ مِنَ الخَلْقِ، فَإِنَّ اللَّهُ يَقُولُ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ [الشورى: ٤١] ـ إلى قوله ـ: لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤١ ـ ٤٣] وقالَ عزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] هذا في العَمْدِ فإنْ لَمْ يكُنْ عَمداً لَمْ تَظْلِمْهُ بِتَعمُّدِ الإنتصارِ مِنْه، فَتَكونَ قَدْ كافَأْتَهُ في تَعَمُّدٍ عَلى خَطأ، وَرَفِقْتَ بِهِ وَرَدَدْتَهُ بِألْطَفِ ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ، ولا قوَّةَ إلاّ باللَّه.

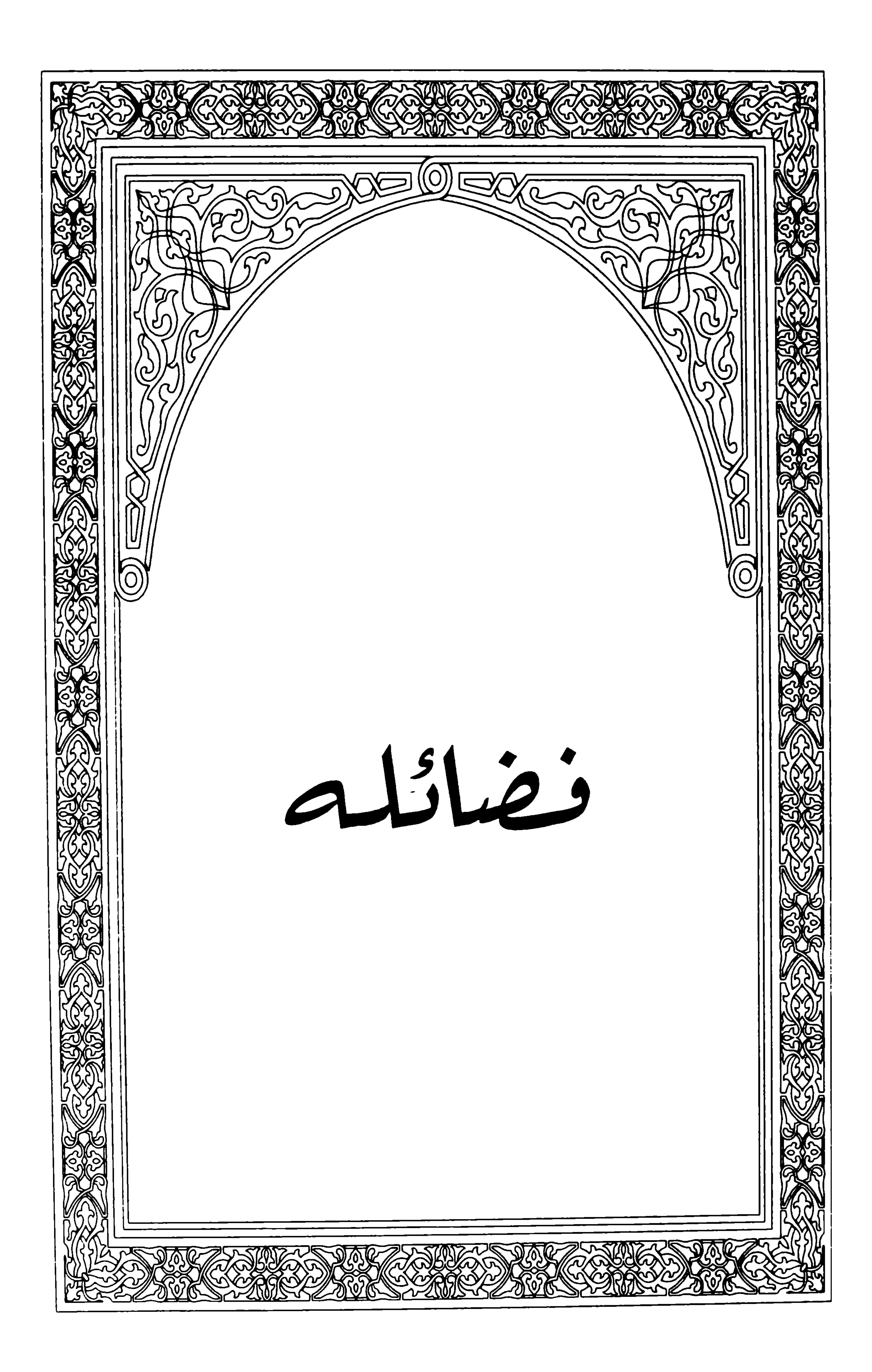
٥٠ ـ حَقُّ أَهْلِ المِلَّةِ

وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إضْمارُ السَّلامَةِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ، وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وتأَلُّفُهُم وَٱسْتِصلاحُهُم، وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ وَكَفُّ الأَذَىٰ عَنْهُم، وَتُحِبُّ لَهُمْ مٰا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مٰا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَعُمَّهُمْ جَمِيعاً بِدَعْوَتِكَ وَانْصُرْهُمْ جَمِيعاً بِنُصْرَتِكَ وَأَنْزَلْهُمْ جَمِيعاً مَنَازِلَهُمْ، كَبِيرُهُم بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ وَصَغِيرُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَلَدِ، وَأَوْسَطُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الأَخِ. (فَمَنْ أَتَاكَ تَعاهَدتَهُ بِلُطْفٍ ورَحْمَةٍ)، وَصِلْ أخاكَ بِمَا يَجبُ للأخِ عَلَى أخِيهِ.

٥١ ـ حَقُّ أَهلِ الذِّمَّةِ

وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمّةِ: أنْ تَقْبَلَ مِنْهُم مَا قَبِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُم، وَلاَ تَظْلِمْهُم مٰا وَفُوا للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بعهدِهِ، وَكَفى بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِه وَعَهْدِهِ، وتكِلَهُمْ إلَيهِمْ فِيمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللَّهُ

بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم مِنْ مُعَامَلَةٍ، وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللَّهِ وَالوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُولِهِ حَائِلٌ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ مُعاهِداً كُنْتُ خَصْمَهُ» فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ.



فضائله



٣٩
أهل الفضائل

أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أهل الفضائل، فقد أكرمهم ربّهم فجعلهم في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه..

وحباهم من المكرمات، ما جعلهم يتربّعون على القمم الشاهقات، فإذا دخلوا سوح الوغىٰ، كانوا الأشجع في المواجهة، والأقوىٰ في المنازلة، والأشدّ في المقاتلة.

وإذا دخلوا محاريبَ العبادة، كانوا فرسانها الزهّاد، ورجالها العبّاد.

وفي الحالات العاديّة هم أكثر الناس مساعدة في أعمال البرّ.

هذا هو عليّ بن الحسين عليه السلام يشترك مع أبيه في ملحمة عاشوراء ويحمل بعد مقتله مشعل نهضته يواجه بها الطغاة، ويهدي بها العباد. لا يخاف في ذلك لومة لائم،، بينما حياته كلّها خشوع وخضوع، واستذكار واستغفار.. حتّىٰ لقّب بزين العابدين، وسيّد الساجدين، وذي الثفنات، فلقد ذاب الموصوف في صفاته، وتجسّدت صفاته في أعماله. ولكنّه لم يعتزل الحياة رغبةً في السلامة، ولا خضع للطغاة خوفاً من سطوة أو ملامة، ولا ترك صالحات الأعمال زهداً في ثواب.

كان يقول كلمة الحقّ أمام السلطان الجائر، وكان يواجه الطغيان مهما كانت النتائج.

لقد كتب إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، يطلب منه سيف رسول الله الَّذي كان عنده، فأبىٰ الإمام عليه ذلك. فكتب إليه عبد الملك يهدّده بقطع الأرزاق، وقطع الأعناق، فأجابه الإمام بقوله:

«أمّا بعد فإنّ الله ضمن للمتّقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ فانظر أيّنا أولىٰ بهذه الآية»[1].

* * *

ولمّا هدم الحجّاج الكعبة فرّق النّاس ترابها، فلمّا صاروا إلىٰ بنائها خرجت عليهم أفعىٰ، منعت النّاس من البناء، فأتوا الحجّاج، فصعد المنبر وطلب من الناس المساعدة، فقال له شيخ كبير: إن يكن عند أحد علم فعند عليّ بن الحسين عليه السلام فبعث إلى الإمام، وأخبره بالمشكلة.

فقال له الإمام: «يا حجّاج، عمدت إلىٰ بناء إبراهيم واسماعيل فألقيته في الطريق، وانتهبته كأنّك ترىٰ أنّه تراث لك؟، إصعد المنبر وأنشد النّاس أن لا يبقي أحد أخذ منه شيئاً إلاّ ردّه».

ففعل ذلك، فردّ النّاس ما أخذوه.

فتقدّم علي بن الحسين عليه السلام فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا، فغابت عنهم الأفعىٰ، فحفروا حتّىٰ انتهوا إلىٰ موضع القواعد، فقال لهم الإمام: تنحّوا، فتنحّوا فدنا منها فغطّاها بثوبه، ثمّ غطّاها بالتراب بيده، ثم دعا الفعلة

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٩٥.

فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فألقي في جوفه[1].

* * *

وحدث مرّة أنّ عبد الملك بن مروان كان يطوف بالبيت وعليُّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟

فقيل: هذا عليُّ بن الحسين عليه السلام فجلس عبد الملك مكانه، وقال: ردُّوه إليَّ.

فلمّا أن ردوه إليه، قال: يا عليَّ بن الحسين إنّي لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إليَّ؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله علىٰ أبي دنياه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن»[2].

وهكذا فإنّه عليه السلام نموذج للمؤمن الكامل العامل بكلّ الإسلام، فهو يشترك في الجهاد حيناً، ويردُّ علىٰ الحكام حيناً آخر، ويساهم في بناء البيت ويساعد المحاويج، في الوقت الّذي يعبد الله حقّ عبادته، ويعطي الفقراء، ويلمّ الجهّال..

---

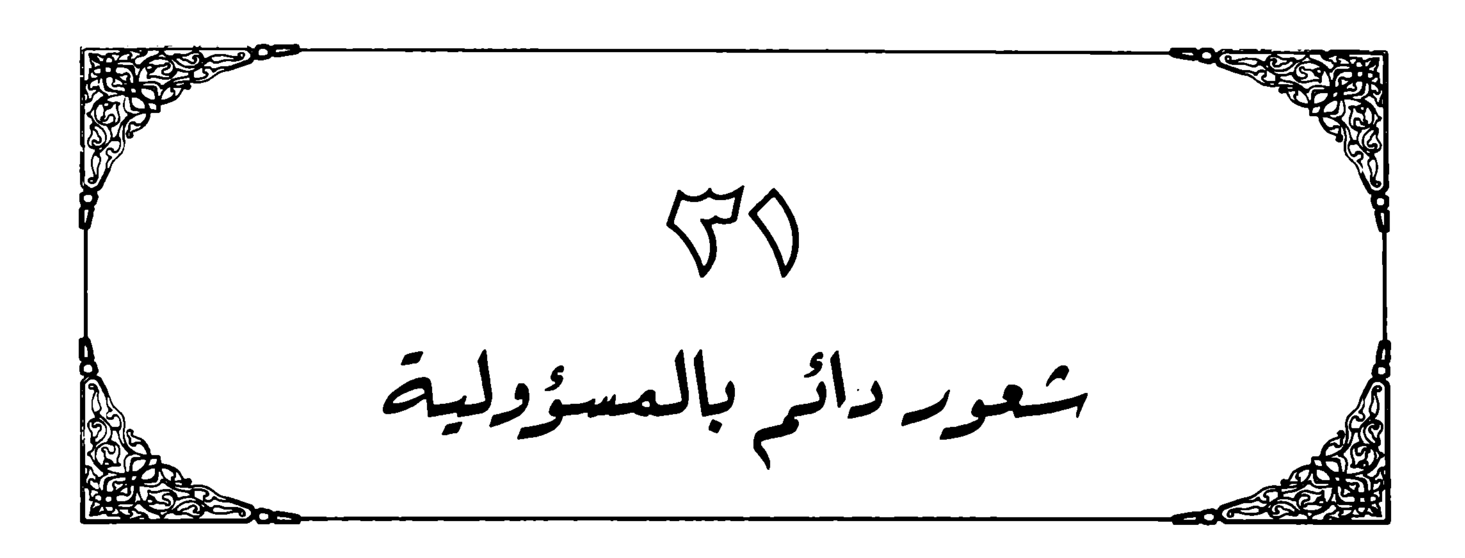
(١) الخرائج والجرائح: ص١٩٤.

(٢) الخرائج والجرائح: ص١٩٤.

٣٠
جلال النبيّين ووقار المتّقين

كان فيه جلال النبيّين، ووقار المتّقين، وأخلاق الزاهدين، وذلك ما شهد به كلّ من رآه، أو التقىٰ به، وهو ما عبّر عنه الفرزدق الشاعر الأموي بحضور هشام بن عبد الملك الّذي ظنّ أنّ تجاهله للإمام يمنع النّاس من أن يروا فيه تلك الخصائص، حيث قال:

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيتُ يعرفه والحِلّ والحرمُ
هذا ابنُ خير عباد الله كلّهم ... هذا التّقيّ النّقيُّ الطاهر العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت تجهله ... بجدّه أنبياءُ الله قد خُتموا
وليس قولك: «من هذا» بضائره ... العرب تعرف من أنكرتَ والعجمُ
سهلُ الخليقة لا تخشىٰ بوادره ... يزينه إثنان حسنُ الخلق والشيمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته ... فلا يكلَّمُ إلاّ حين يبتسمُ
ما قال: لا، قطّ إلاّ في تشهّده ... لولا التشهّدُ كانت لاؤه نعمُ
من معشر حبُّهم دينٌ وبغضهم كفر ... وقربهم منجىٰ ومعتصمُ
يستدفع السوء والبلوىٰ بحبّهم ... ويستزاد به الاحسان والنعمُ
إن عُدّ أهلُ التّقىٰ كانوا أئمّتهم ... أو قيل: من خيرُ أهل الأرض، قيل: هُمُ



٣١
شعور دائم بالمسؤولية

كانت المسؤوليّة ماثلة أمامه.

وكانت الأخطار واضحة له.

وكان يتحمّل أنواع المشاكل، لأداء مسؤوليّاته، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

قال له أحدهم ذات يوم كيف أصبحت؟

فقال: «أصبحت مطلوباً بثمان:

الله يطلبني بالفرائض.

والنّبيّ بالسُّنَّة.

والعيال بالقوت.

والنّفس بالشهوة.

والشيطان باتّباعه.

والحافظان بصدق العمل.

وملك الموت بالروح.

فأنا بين هذه الخصال مطلوب»[1].

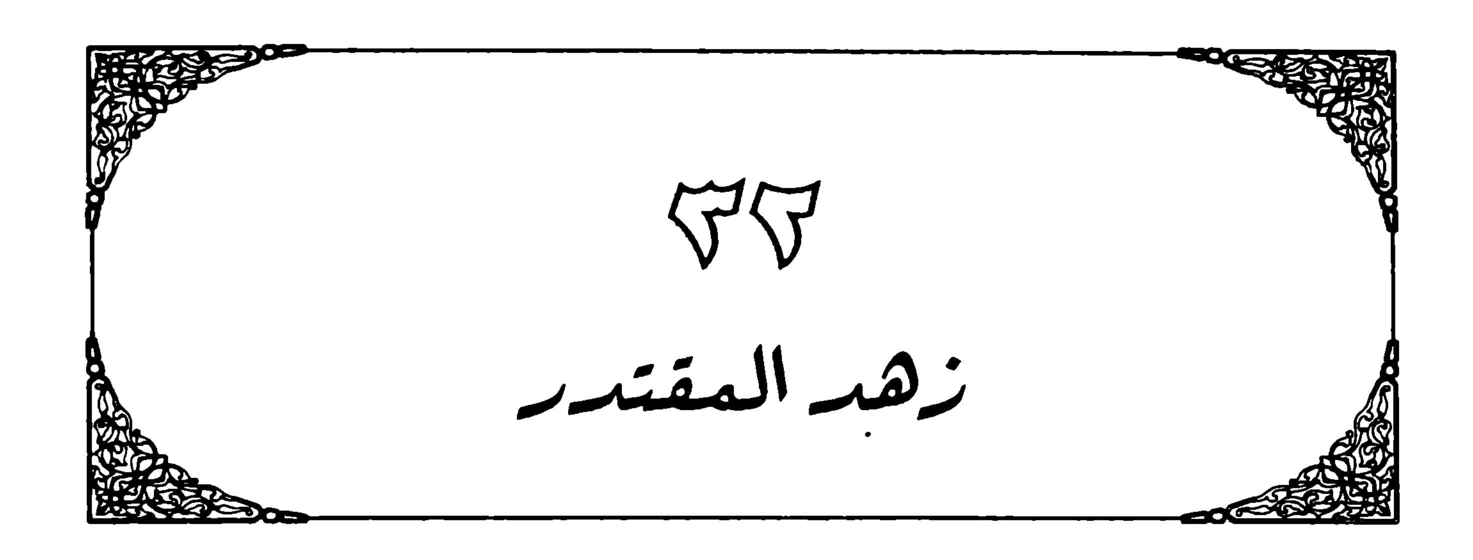
***

وقال عليه السلام: «ابن آدم.. إنّك ما تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً..

ابن آدم.. إنّك ميّت، ومبعوث، وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ، فأعدّ له جواباً»[2].

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٦٩، الأمالي للطوسي: ص٦٤١.

(٢) ألف باء الإسلام: ج٢، ص١٤٨.



٣٢
زهد المقتدر

عاش في الدنيا عيشة الزاهدين، ورحل عنها رحيل الصالحين، ولما رحل عن الدنيا كان قد بعث أمامه كنوزاً من الأجر والثواب.

وترك خلفه كنوزاً من الأدعية والأذكار.

وفي المقارنة بين تراثه العظيم، وكلّ ما في الحضارة الماديّة من انجازات، فإنّ تراثه أعظم، وأجلّ من كلّ ما في تلك الحضارة من بهارج، ومباهج، وزخارف لأنّ الحضارة القائمة لا تهتم سوى بالأمور المرتبطة بالدنيا، وهي راحلة زائلة..

أمّا تراث السجّاد فهو يبني الروح، وهو أنقىٰ، وأبقىٰ، وأصفىٰ، وأجلّ، وأعلا.

أليس الهدف من الدنيا أن تكون مزرعة الآخرة؟

أليس الهدف من خلق الخلق أن يَعبدوا الخالق؟

فأيّ شيء أجدر بالزهد من هذه الدنيا الدنيّة، وزخرفها وزبرجها؟

وأيّ شيء أفضل من الرغبة في درجات الآخرة، ورضوان الربّ فيها؟

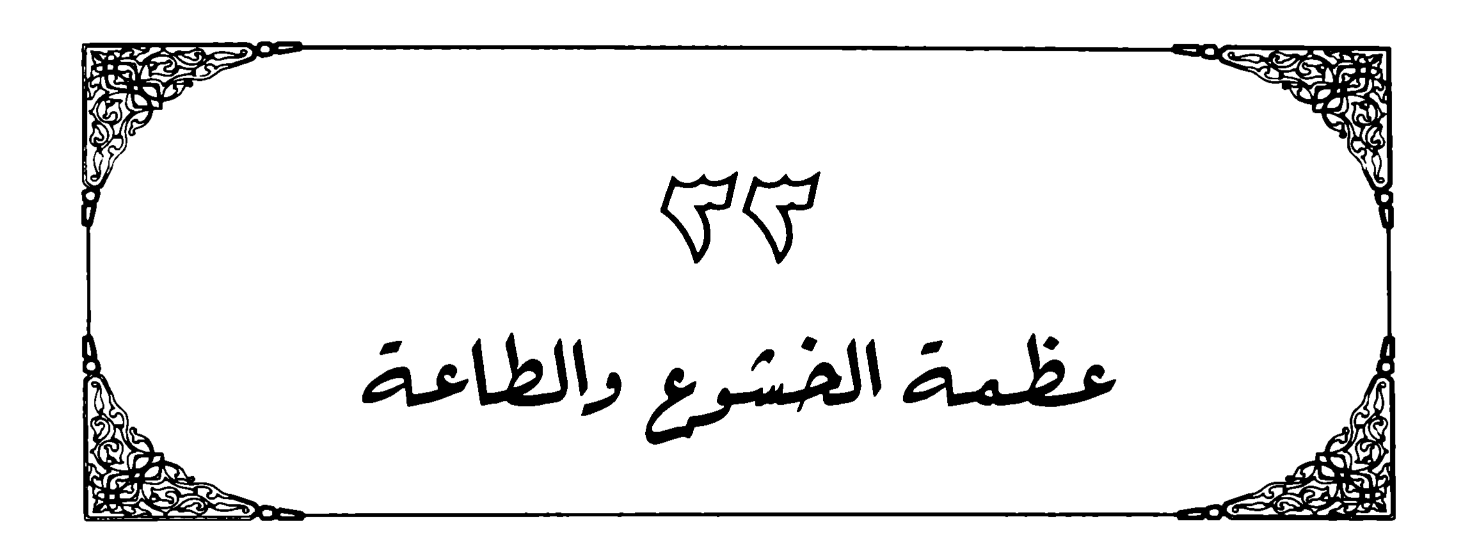
لقد قيل للزّهريّ: من أزهد الناس في الدنيا؟

فقال: عليّ بن الحسين عليه السلام. ولقد طلبوا منه أن يكلّم الوليد بن عبد الملك وكان في مكّة، ليطلب منه شيئاً، فقال عليه السلام: «ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عزّ وجلّ، إنّي آنف أن أسأل الدنيا خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلي»[1].

وكان زهده زهد القادر المتعفّف، وليس زهد العاجز المتأنّف.

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٦٤.



٣٣
عظمة الخشوع والطاعة

لقد علّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام أنّ العظمة كلّ العظمة، إنما هي في الخشوع لله تعالى.

وإن الفخار كل الفخار، إنما هو في الخضوع لجبروته. وإنّ الرفعة كل الرفعة، إنما هي في الطاعة لإرادته.

لقد علمنا أن ذلّة التقوى هي عين العزة.

وأن خضوع العبادة هو عين الرفعة.

وأن خشوع الطاعة هو عين المنعة.

ودليل كل ذلك هو شخصيّة الإمام ذاته الذي أصبح واحداً من أعظم رجال الدنيا والآخرة بتقواه، وعبادته، وخشوعه، وطاعته، وعبادته.

فبمقدار ما خشع لله، رفع الله ذكره.

وبمقدار ما أطاعه، نسبه إليه.

وبمقدار ما عبده، أثابه وأعطاه.

* * *

لقد قال الإمام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين؟

فيقولون: إلى الجنة.

قالوا: قبل الحساب؟

قالوا: نعم.

قالوا: من أنتم؟

قالوا: أهل الفضل.

قالوا: وما كان فضلكم؟

قالوا: كنا إذا جهل غيرنا حلمنا، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر.

قالوا: ما كان صبركم؟

قالوا: صَبَّرْنا أنفسنا على طاعة الله، وصَبَّرْناها على معصية الله عز وجل.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل. فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنّة فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك.

قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟

قالوا: كنا نتزاور في الله عز وجل، ونتجالس في الله؛ ونتباذل في الله.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين[1].

ولقد كان الإمام نفسه مثالاً لمن يتحمل مسؤولياته، ومثالاً للحليم والصابر، والعامل لله، والمتزاور في الله..

---

(١) موسوعة الأعيان ج١، ص٦٣٧.



٣٤
شاخص الحقيقة

كان السّجّاد شاخص الحقيقة بين عنصرين متناقضين: عنصر الخلافة، وعنصر الإمامة.

وكانت الإمامة في عصره مغلوبة علىٰ أمرها.

أمّا الخلافة فكانت مغلوبة علىٰ ضميرها، ودينها، وآخرتها.

لقد خسرت الخلافة جوهرها عندما انحسرت عن الإمامة، فأصبحت سياسة بلا أخلاق، وزعامة بلا دين، ودنيا بلا آخرة.

بينما انحسرت الإمامة عن الخلافة لتبقىٰ أخلاقاً بلا نفاق، وديناً بلا رياء، وإخلاصاً بلا شوائب.

وعندما كان الخليفة الأمويّ يحوّل الأحرار عبيداً، كان السّجّاد يشتري العبيد ليجعلهم أحراراً.

وعندما كان الحاكمون يسجدون لأصنام الهوىٰ، ويتعبّدون في مواخير الشهوات، كان السّجّاد يفترش الأرض ويصلّي لله ألف ركعة في اليوم،

ويستقلّ ذلك من نفسه، ويذكر باريه ويستغفر منه لذكره، ويدعوه ويعتذر إليه من دعائه.

وعندما كان أعداء آل محمّد ﷺ يصادرون حقوق الله، وحقوق النّاس، كان زين العابدين يتنازل عن حقوقه للنّاس، ولا يرىٰ لنفسه أمام ربّه، إلا حقّه في أن يطيعه، ويعبده.

وعندما كان الآخرون يتكالبون علىٰ الحطام، ويرتكبون من أجل الدنيا كلّ أنواع الآثام، كان السجّاد يهتم بآخرته، دون دنياه. وبواجباته، دون مصالحه.

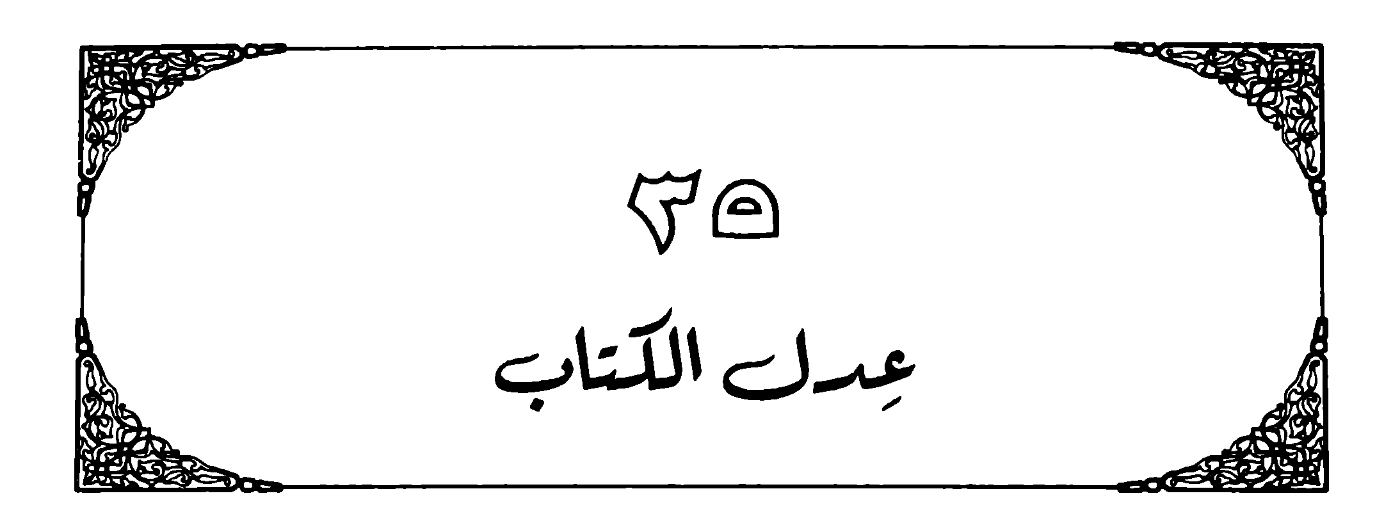
فلم يكن يهمّه أيّ نقص في أموره إذا كان في ذلك رضا الله. وكان يقول:

«اللّهُمَّ ومتى وقفنا بين نقصين في دين أو دنيا، فاوقع النقص في أسرعهما فناءً، واجعل التوبة في أطولهما بقاءً.

وإذا هممنا لهمّين يرضيك أحدهما عنّا، ويسخطك الآخر علينا، فمِلْ بنا إلىٰ ما يرضيك عنّا، وأوهن قوّتنا عمّا يسخطك علينا، ولا تخلّ في ذلك بين نفوسنا واختيارها، فإنّها مختارة للباطل إلا ما وفقتْ، أمارةٌ بالسوء إلاّ ما رحمت»[1].

---

(١) الصحيفة السّجادية: ص٥٨.



لأنّه كان من أهل البيت الّذين جعلهم الله عدل كتابه، وقال عنهم رسول الله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وقد أنبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض».

ولذلك فقد كان السجّاد يأنس بالقرآن، كما يأنس الطفل إلىٰ صدر أمّه، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار. وكان يقول: «لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي»[1].

و«كان إذا قرأ قوله تعالى: ﴿مٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يكرّرها حتّىٰ يكاد أن يموت»[2].

و«كان عليه السلام يتلو القرآن بصوت جميل، حتّىٰ قيل إنّه كان أحسن النّاس صوتاً بالقرآن، وكان السقّاؤون يمرّون فيقفون ببابه، يسمعون قراءته»[3].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٠٢.

(٢) المصدر السابق: ج٢ ص٦٠٢.

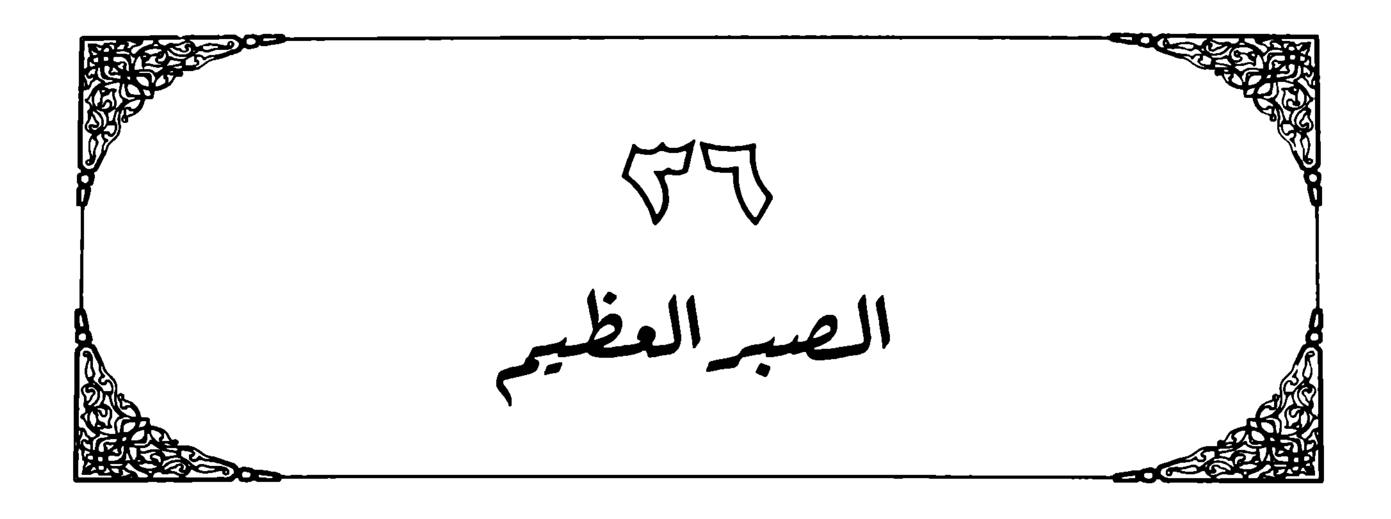
(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٦١٥.

«وكان ربّما يقرأ القرآن، فيمرّ به المارُّ فيصعق من حسن صوته»[1].

غير أنه لم يكن يكتفي بقراءة الكتاب، بل كان يطبّقه على نفسه وعلى عائلته، ويعمل بكل حرف فيه، فكان «القرآن الناطق» كما كان أبوه وجدّه.

---

[1]) الإحتجاج: ص٢١٥.



٣٦
الصبر العظيم

إذا كان التاريخ يحفل بذكر الكثير من الشجعان، فهو لا يحفل بذكر الكثير من الصابرين.

فالصبر هو من أعظم صفات المتّقين لأنه جزء أساسي من جميع الصفات الحسنة. فليست الشجاعة شجاعة إلا إذا قرنت بالصبر، وليس الكرم كرماً إلا إذا كان معه الصبر، وهكذا في بقية الصفات.

يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فالله تعالى يمتحن عباده بمختلف أنواع البلايا ليميّز الصابر عن الجزوع، أكثر ممّا يمتحنهم ليميّز الصادق عن الكذوب.

ومن هنا كان شعار أهل البيت عليهم السلام في المواقف الصعبة «نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين»[1].

وكان صبرهم متشعّباً يشمل الصبر في البأساء والضّرّاء، والصبر في

---

(١) مقتل الحسين، للمؤلف، جزء المصرع.

مواجهة الأعداء، والصبر على البلاء، والصبر على الطاعة في الرخاء.

هذا الإمام زين العابدين عليه السلام صبر علىٰ مصائب لا مثيل لها، حيث رأىٰ بأمّ عينيه، كيف ذبح بنو أميّة كلّ عائلته وعشيرته، خلال نهار واحد فقط، وشاهد بأمّ عينيه سبي بنات الرسالة، والسير بهنّ من بلد إلى بلد..

روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه سأل أباه علي بن الحسين عليه السلام عما جرى له في طريق الشام ـ بعد واقعة الطف ـ فقال السجاد: «حُملت على بعير هزيل؛ بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على علم، ونسوتنا خلفي على بغال، والحرس خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت عين قرع رأسه بالرمح حتى دخلنا دمشق، فصاح صائح: «يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت»[1].

فصبر علىٰ كلّ تلك المصائب وحوّلها إلىٰ راية يحملها ضدّ الظلم والطغيان، وطاعة لربّه يؤدّيها، وأدعيةٍ يتلوها، وصلاة يقيمها، وأعمال صالحة يقوم بها..

وحتّىٰ في حياته العاديّة، فهو كان ممّن يُضرب به المثل في مجال الصبر فقد روي أنّه سمع عليُّ بن الحسين عليه السلام واعية في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله ثمّ رجع إلىٰ مجلسه.

فقيل له: أمن حدث كانت الواعية؟

قال: نعم، فعزّوه وتعجبوا من صبره، فقال: «إنّا أهل بيت نطيع الله عزّ وجلّ فيما نحبُّ ونحمده فيما نكره»[2].

* * *

وفي حادثة أخرىٰ مات له ابن، فلم ير أحدٌ منه الجزع، فسُئل عن ذلك،

---

(١) زينب عليها السلام من المهد إلى اللّحد نقلاً عن كتاب الإقبال ص٢٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٩٥.

فقال: «أمرٌ كنّا نتوقّعه، فلمّا وقع لم ننكره»[1].

* * *

وكان عليه السلام يوصي إبنه قائلاً: «يا بُنيّ، اصبر علىٰ النّوائب، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلىٰ الأمر الّذي مضرّته عليك، أكثر من منفعته له»[2].

(١) كشف الغمّة: ج٢، ص٣٠٤.

(٢) حلية الأولياء: ٣٩، ص١٣٨.

٣٧
الحلم والعفو والصفح

الحلم والعفو، والصفح، وأداء الأمانة، هي صفات كريمة يتميّز بها عظماء التاريخ من الأنبياء، والأولياء، والصالحين.

فليس هنالك عظيم، إلاّ وهو حليم.

وليس هنالك وليٌّ، إلاّ وهو من العافين.

وليس هنالك صالح، إلاّ وهو يصفح الصفح الجميل.

ولقد كان السجّاد ممّن يُضرب به المثل في ذلك، ليس لأنّه كان يعفو، ويصفح، ويحلم، بل لأنّ عفوه كان عفو من يحبّ العفو، ويرغب فيه.

وصفحه، كان صفح من يحبّ الصفح، ويرتاح إليه.

وحلمه، كان حلم من يحبُّ الحلم، ويبغي الثواب منه.

فهو القائل: «ما تجرّعتُ من جرعةٍ أحبّ إليّ من جرعة غيظٍ، لا أكافىء بها صاحبها»[(١)].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٦٠٤.

وقد ذكر المؤرّخون وقائع كثيرة عن حلمه. منها أنّه: شتم بعضهم زين العابدين صلوات الله عليه، فقصده غلمانه فقال: دعوه فإن ما خفي منّا أكثر ممّا قالوا، ثمّ قال له: ألك حاجة يا رجل؟ فخجل الرَّجل، فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم، فانصرف الرَّجل وهو يقول: أشهد أنّك ابن رسول الله[١].

* * *

ونال منه الحسن بن الحسن فلم يكلّمه، ثمَّ أتىٰ منزله وصرخ به، فخرج الحسن متوثّباً للشرّ. فقال له الإمامعليه‌السلام: يا أخي، إن كنت قلت ما فيَّ، فأستغفرُ الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فيَّ يغفر الله لك، فقبّل الحسن بين عينيه وقال: بل قلت ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به[٢].

* * *

وكان له ابن عمّ، وكان الإمام يأتيه باللّيل متنكّراً، فيناوله شيئاً من الدّنانير فيقول الرجل: لكنَّ عليَّ بن الحسين لا يواصلني، لا جزاه الله عنّي خيراً. فيسمع ذلك ويحتمل ويصبر عليه ولا يعرِّفه بنفسه، فلمّا مات الإمامعليه‌السلام افتقده ابن عمّه وعندئذٍ علم أنّ زين العابدينعليه‌السلام هو الّذي كان، يواصله، فجاء إلىٰ قبره وبكىٰ عليه[٣].

* * *

وشتمه رجل، فقال الإمامعليه‌السلام: «يا فتىٰ إن بين أيدينا عقبة كؤوداً، فإن جزت منها لا أبالي بما تقول، وإن تحيّرت فيها فأنا شرٌّ ممّا تقول»[٤].

* * *

(١) البحار: ج٤٦ ص٩٥.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٩٦.

(٣) كشف الغمّة: ج٢، ص٣٠٣.

(٤) البحار: ج٤٦، ص٩٥.

وفي حادثة أخرىٰ سبّه رجل، فسكت الإمام عليه السلام عنه، فقال الرجل، وقد ظنّ أنّ الإمام عليه السلام لم يسمع مسبّته، : إيّاك أعني!

فقال الإمام عليه السلام: «وعنك أغضي»[1]

* * *

وروي أنّه كان في المدينة رجل بَطّال يُضحك الناس، وكان كلّما أراد أن يضحك الإمام عليه السلام فشل، فقال الرجل: «قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه».

فمرّ الإمام عليه السلام ذات يوم، وخلفه إثنان من مواليه، فجاء الرجل من الخلف، وانتزع من رقبته الرداء، ثمّ هرب، فلم يلتفت إليه الإمام، فاتبعه من كان معه، وأخذوا منه الرداء، فطرحوه عليه، فقال لهم الإمام عليه السلام: من هذا؟

قالوا: رجل بطّال يضحك أهل المدينة.

فقال عليه السلام قولوا له: «إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون»[2].

* * *

أمّا عن عفوه، فيكفي أن نذكر بعض الأمثلة علىٰ ذلك:

قال الواقدي: كان هشام بن إسماعيل يؤذي عليّ بن الحسين عليه السلام عندما كان أميراً علىٰ المدينة، فلما عُزل أمر به الوليد أن يوقف للناس لمحاسبته فقال: ما أخاف، إلاّ من عليّ بن الحسين، إلاّ أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أرسل رسولاً وقال له: «انظر إلىٰ ما أعجزك من مال تؤخذ به، فعندنا ما

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٩٦.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٦٨.

يسعك، فطب نفساً منّا ومن كلّ من يطيعنا».

فنادىٰ هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته[1].

* * *

وعفا الإمام عليه السلام عن مروان بن الحكم، وهو الّذي فعل ما فعل بأمير المؤمنين، وبالحسن، وبالحسين، بالإضافة إلىٰ تدميره لبيوت الهاشميّين بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقطع أشجارهم، حتّىٰ لم يبقَ للأسارىٰ الّذين عادوا من كربلاء بيت يسكنون فيه، ولا بستان يذهبون إليه، ولذلك فقد سكنوا في بيت أمّ سلمة.

ومرّت الأيّام، وإذا بالدائرة تدور علىٰ مروان بن الحكم، وذلك عندما أرسل يزيد بن معاوية «مسلم بن عقبة» إلى المدينة وأمره باستباحتها قائلاً: إذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً بما فيها من مال أو دابة، أو سلاح فهو للجند.

واستثنىٰ من ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام. وأصبح مروان في خطر عظيم، فتوسّل بعبد الله بن عمر في أن يضع عياله عنده، فلم يقبل، فطلب من عليّ بن الحسين ذلك، فقبل الإمام عليه السلام، فبعث مروان بزوجته وهي عائشة بنت عثمان بن عفّان، وبقيّة عياله إلىٰ الإمام، فخرج عليه السلام بحرمه، وحرم مروان إلىٰ ينبع، وأرسل معهم ابنه عبد الله[2].

وعفا الإمام عليه السلام أيضاً عن جارية له، كانت تسكب الماء علىٰ يديه وهو يتوضّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها علىٰ وجهه فشجّه (جرحه) فرفع الإمام عليه السلام رأسه إليها، فقالت الجارية: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

---

(١) البحار: ص٩٤.

(٢) البحار: ج٤٦، ص١٣٨.

فقال الإمام عليه السلام لها: «قد كظمت غيظي».

فقالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

فقال الإمام عليه السلام: «قد عفا الله عنك».

فقالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

فقال: «اذهبي فأنت حرّة»[1].

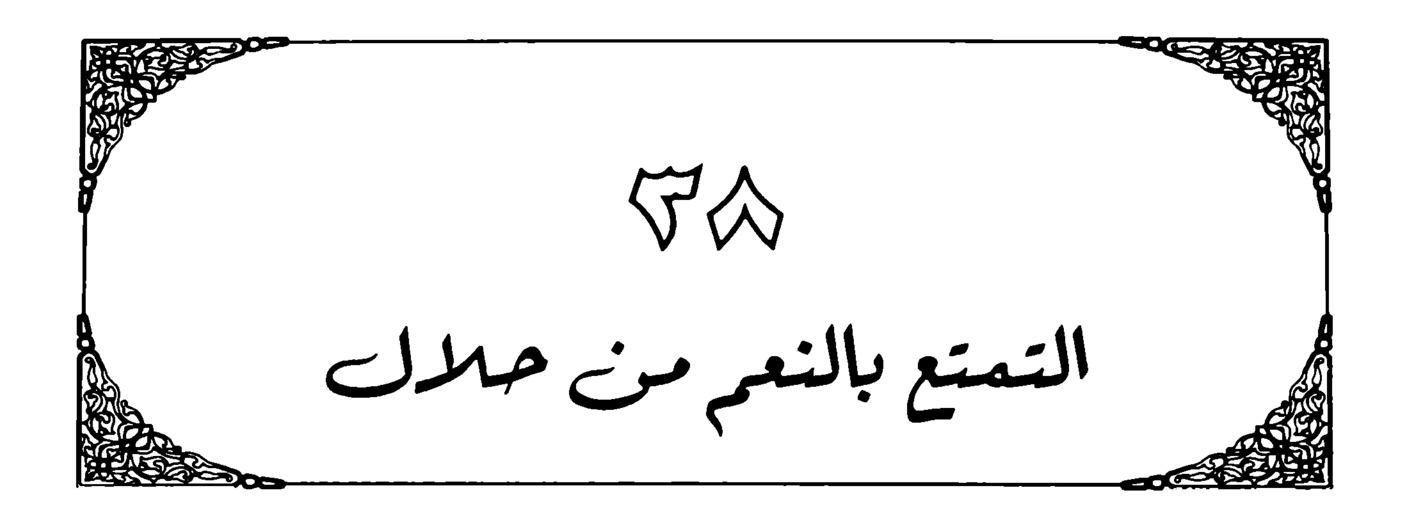
أمّا في أداء الأمانة، فقد كان شديداً في ذلك، لا يسمح لأحد ممّن معه أن يخونها مع أيّ كان..

وقد روي عن أبي حمزة الثماليّ قال: «سمعت سيّد العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام يقول لشيعته: «عليكم بأداء الأمانة، فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو أنّ قاتل أبي الحسين بن علي إئتمنني على السيف الّذي قتله به، لأدّيته إليه»[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ص٢٠١.

(٢) الوسائل: ج١٣/ كتاب الوديعة الباب الثاني، ص٢٢٥.



٣٨
التمتع بالنعم من حلال

ليس الزهد هو الرهبنة، وترك ملذّات الدنيا بلا غاية، ولا هو مجرّد التظاهر بالزهد من دون التزام بمتطلّباته.

وإنّما هو بأن لا يكون لقلبك تعلّق بحطام هذه الدنيا، مع قطع النظر عن استمتاعك بنعم الله، وما عليه مظهرك. وما تأكل، أو تلبس، أو تسكن.

فليس البؤس والتباؤس زهداً.

ولا فقر العاجزين زهداً.

ولا لبس الملابس الرّثّة، للرياء زهداً.

فالزهد ليس أن لا تملك شيئاً.. وإنّما الزهد أن لا يملكك شيء.

ولقد كان السّجّاد من أعاظم الزّهّاد في التاريخ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن يمنعه من أن يتزيّن للنّاس، وأن يتمتّع بنعم الباري المختلفة.

يقول الحديث: «إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يلبس الكساء الخزّ في الشتاء، فإذا جاء الصيف تصدّق به، وكان يقول: إنّي لأستحي من ربّي أن

آكل ثمن ثوبٍ قد عبدت الله فيه[1].

فهو يلبس ثوب الخزّ، ولكنّه لا يتعلّق به.. ولذلك فإنّه يتصدّق به، أو بثمنه.

وفي حديث آخر قال أحدهم: رأيت عليّ بن الحسين عليه السلام، وعليه درّاعة سوداء، وطيلسان أزرق[2].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يلبس الجبّة الخزّ بخمسين ديناراً، والمطرف الخزّ بخمسين ديناراً، ويلبس القلنسوة الخزّ فيشتو فيه، ويبيع المطرف في الصيف، ويتصدّق بثمنه، ثمّ يقول: «من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق»[3].

وروي أيضاً: «كانت لعلي بن الحسين عليه السلام وسائد وأنماط، فيها تماثيل يجلس عليها»[4].

* * *

ولم يكن الإمام عليه السلام ممّن يجوّع عياله تحت ذريعة الزهد، وإنّما كان ممّن يكدّ عليهم، ويهتمّ بهم، ويطعمهم، وكان بذلك يعمل بوصيّة الإمام عليّ عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «ولا يكوننّ أهلك أشقى الخلق بك».

وقد روي أنّه عليه السلام كان يقول: «لأن أدخل السوق ومعي دراهم أبتاع بها لعيالي لحماً، وقد قرموا إليه، أحبّ إليّ من أن أعتق نسمة»[5].

* * *

(١) تهذيب الأحكام: ج٢، ص٣٦٩.
(٢) الكافي: ج٦، ص٤٤٩.
(٣) البحار: ج٤٦، ص١٠٦.
(٤) الكافي: ج٦، ص٤٧٧.
(٥) الكافي: ج٢، ص١٢.

وروي أيضاً أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان إذا أصبح خرج غادياً في طلب الرّزق فقيل له: يابن رسول الله أين تذهب؟

فقال: «أتصدّق لعيالي».

فقيل له: أتتصدّق عليهم؟

قال: «من طلب الحلال، فهو من الله عزّ وجلّ صدقة عليه»[1].

* * *

وكان يأكل من كلّ ما ينفع من نعم الله..

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلىٰ مكّة للحجّ والعمرة تزوّد من أطيب الزاد، من اللوز والسكّر والسويق المحمّص والمحلّىٰ»[2].

* * *

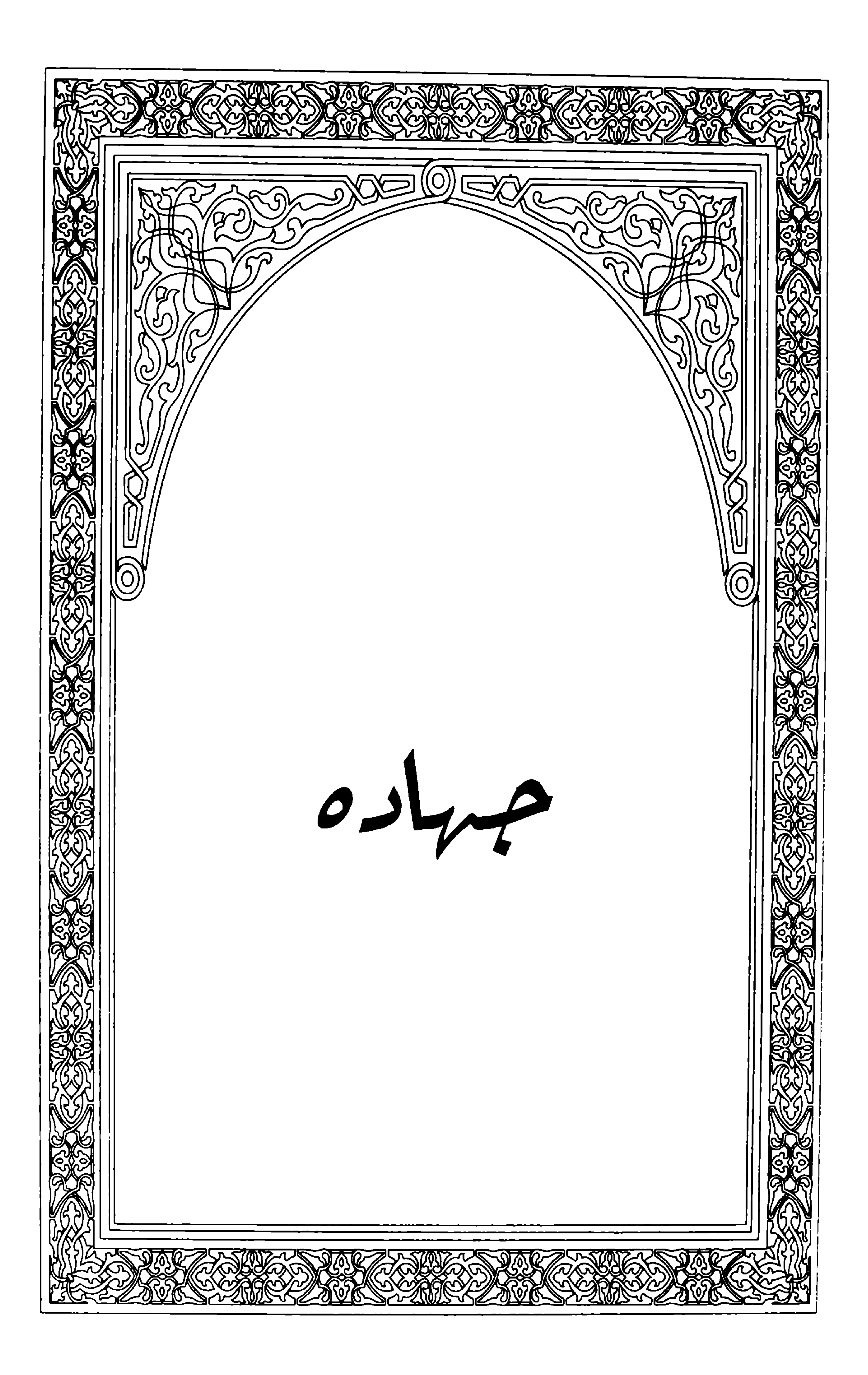
كما أنّه كان مثل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، يهتمّ باستخدام العطر فقد روي أنّه «كان لعليّ بن الحسين قارورة مسك في مسجده، فإذا دخل إلىٰ الصلاة أخذ منه وتمسّح به»[3].

---

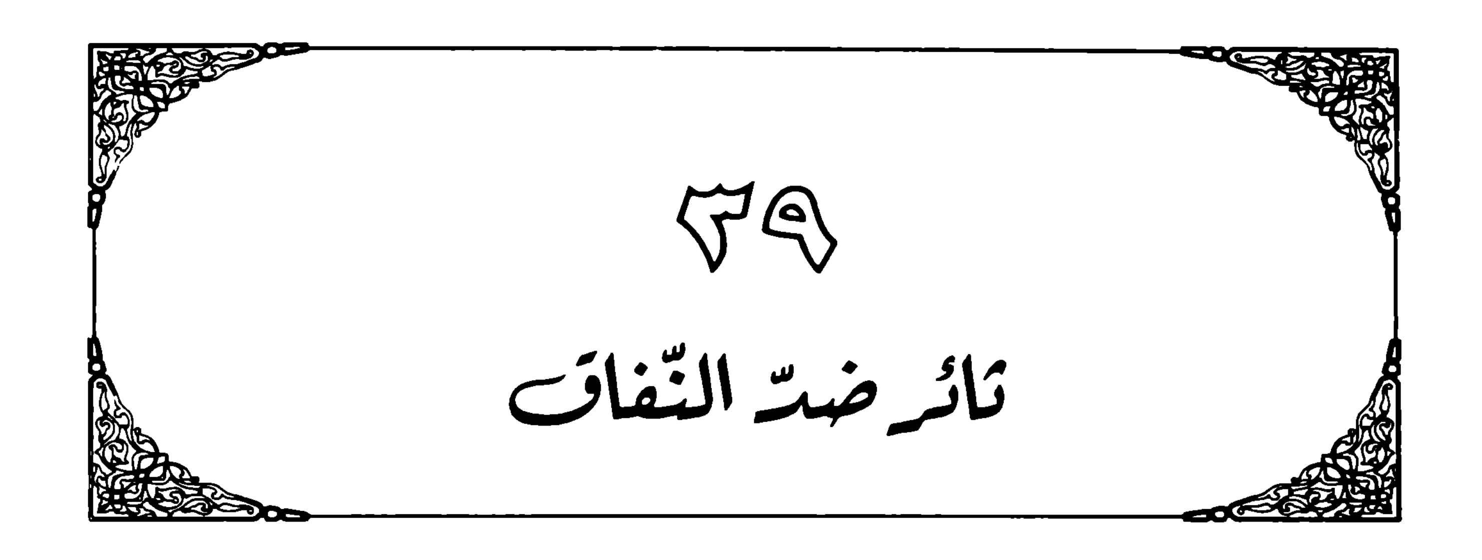
(١) البحار: ج٤٦، ص٦٧.

(٢) المحاسن: ص٣٦٠.

(٣) الكافي: ج٦، ص٥١٥.



جهاده



٣٩
ثائر ضدّ النّفاق

كان يحبّ الإيمان في كلّ تجلّياته، ويكره النّفاق في كلّ مظاهره.

وكان يعمل في كل موقف وقفه، وفي كل قول تفوّه به من أجل إحقاق الحقّ، وإماتة الباطل.

فلقد رأىٰ بأمّ عينيه ماذا يعمل النّفاق بالمنافقين، وكيف يجرّهم إلىٰ ارتكاب الجرائم، واقتراف المآثم.

لقد شاهد قوماً يدّعون الإيمان بالله، وبدين رسول الله، وهم يقطعون رأس ابن بنت الرسول، وسيّد شباب أهل الجنّة، ورؤوس أهل بيته، ويدوسون علىٰ أجسادهم الطواهر، بينما يرفعون أصواتهم بالشهادة لنبوّة جدّهم في مساجدهم، ويصلّون عليه وعلىٰ أهل بيته، في صلواتهم!.

كان يرىٰ أنّ إدّعاء الإيمان من غير الصدق فيه أخطر من الكفر، وأضرّ من الشّرك، وأسوأ من الجحود.

فالمنافقون يرتكبون من الجرائم ما لا يجرؤ الكفّار على ارتكاب أمثالها، ولذلك كانوا ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

ولقد قتل المنافقون أباه، وإخوته، وعشيرته، لكي يقوّوا سلطانهم، وفي المواجهة الّتي حدثت بين الطرفين، في يوم عاشوراء، انتهىٰ الأمر لمصلحة الظالمين، وتمّ لهم القضاء علىٰ آل البيت عليهم السلام قتلاً، وسحقاً، وحرقاً، إلاّ أنّ السّجّاد عليه السلام، وهو الرجل الوحيد الّذي نجا من القتل في ذلك اليوم، لم يقف مكتوف الأيدي، وإنّما حمل راية ظلامتهم في كلّ مكان، ونصبها في كلّ منحنىٰ ومضيق، وكلّ مدينة وقرية، وعلىٰ رؤوس التلال، وعند كلّ منعطف. .

ونشر مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريقين: البكاء، والدعاء، فقد ملأ الدنيا دعاءً، كما ملأها بكاءً.

واستطاع أن يمسح بدمعته، وصرخته، ودعوته، امبراطوريّة بني أميّة من على وجه الأرض، ويرمي بها في مزبلة التاريخ.

وأثبت بذلك أنّ الدّم والدمع، أقوىٰ من السّيف والعسف، وأنّ الظلم عاقبته وخيمة، وأن المظلومين، وإن كانوا لا يمتلكون القوّة، إلاّ أنّهم يمتلكون ما هو أقوىٰ من ذلك، وهو الحقّ.

وفي الصراع بين القوّة والحقّ، فإنّ الحقّ هو الّذي سوف ينتصر في نهاية المطاف. . شاء من شاء وأبىٰ من أبىٰ.

وإذا كان بنو أميّة استطاعوا أن يوقفوا قافلة الحسين عليه السلام في كربلاء، ويمنعوها من دخول الكوفة، فإنّهم عجزوا عن إيقاف دموع السّجّاد من الوصول إلىٰ كلّ مكان، وسلب المشروعيّة من نظام بني أميّة.

فلقد أسالت تلك الدموع عيون المسلمين جميعاً، وتحوّلت إلىٰ سيول جارفة، اقتلعت الشجرة الملعونة في القرآن من جذورها، ودمّرت ليس فقط آخرة بني أميّة، بل ودنياهم أيضاً. .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ زين العابدين بكىٰ علىٰ أبيه (قرابة) أربعين عاماً، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الافطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه، فيضعه بين يديه فيقول: كلْ، يا مولاي..

فيقول زين العابدين عليه السلام: «كيف آكل، وقد قتل ابن رسول الله جائعاً؟، وكيف أشرب وقد قتل ابن رسول الله عطشاناً؟».

فلا يزال يكرّر ذلك، ويبكي حتّىٰ يبلّ طعامه من دموعه، ثمّ يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتّىٰ لحق بالله عزّ وجلّ[1].

ولقد قيل له: يابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟

فقال للقائل: «ويحك، إنّ يعقوب النّبيّ عليه السلام كان له إثنا عشر ابناً، فغيّب الله عنه واحداً منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغمّ. وكان إبنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلىٰ أبي، وأخي، وعمّي، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي.. فكيف ينقضي حزني؟!»[2].

لقد حوّل السجاد عطش أبيه الحسين عليه السلام إلى قضيّة كبرىٰ حاكم بها قتلته، واسقطهم، ودمّر عروشهم فعندما دفن أباه، وأهال التراب عليه، كتب باصبعه علىٰ قبره «هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الّذي قتلوه عطشاناً»[3].

وكان يمشي في الأزقّة، فكلّما رأىٰ قصّاباً يهمّ بذبح شاة يوقفه ليسأله: هل سقيته؟

---

(١) اللهوف: ص١٨٨.
(٢) الخصال: ج٢، ص٥١٧.
(٣) راجع المقاتل.

فيقول: نعم، فنحن لا نذبح حتّىٰ نسقي.

فيرفع الإمام عليه السلام صوته بالبكاء، ويقول: «لكنّ أبي ذبحوه عطشاناً»[1].

* * *

قال له مولىٰ له: جعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين...

فقال: «إنّما أشكو بثّي وحزني إلىٰ الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون».

وأضاف: «إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة».

فقالوا له: إنّك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت علىٰ هذا؟

فقال: «نفسي قتلتها، وعليها أبكي»[2].

* * *

وهكذا حوّل الحزن سيفاً ضدّ الظلم.

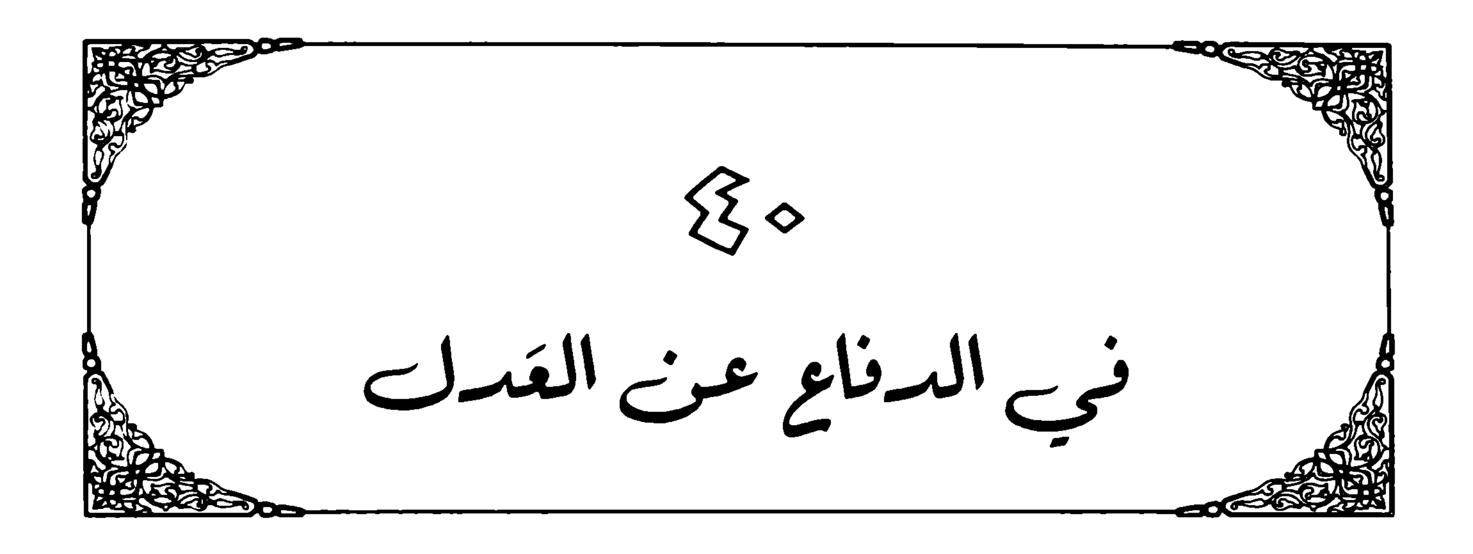
والدمع ناراً في وجه الظالم..

وانتصر السّجّاد إلىٰ الأبد، حيث هزم قتلة أبيه، إلى الأبد.

---

(١) البحار: ج٤٦.

(٢) البحار: ج٤٦، ص١٠٨.



٤٠
في الدفاع عن العَدل

من أهمّ الفتن الّتي يمتحن بها الله عباده، فتنة العدل والظلم، وهي الفتنة الّتي يسقط فيها، بالعادة، الملوك والأمراء، وينجح فيها المؤمنون والأولياء..

فما من نبيّ إلاّ وهو يحرّم الظلم، ويحارب الظالمين.

وما من مؤمن إلاّ هو ضدّ الظلم، ويقاطع الظالمين.

فالعدل وصيّة الله للنّاس.

وهو وصيّة الأنبياء لأممهم.

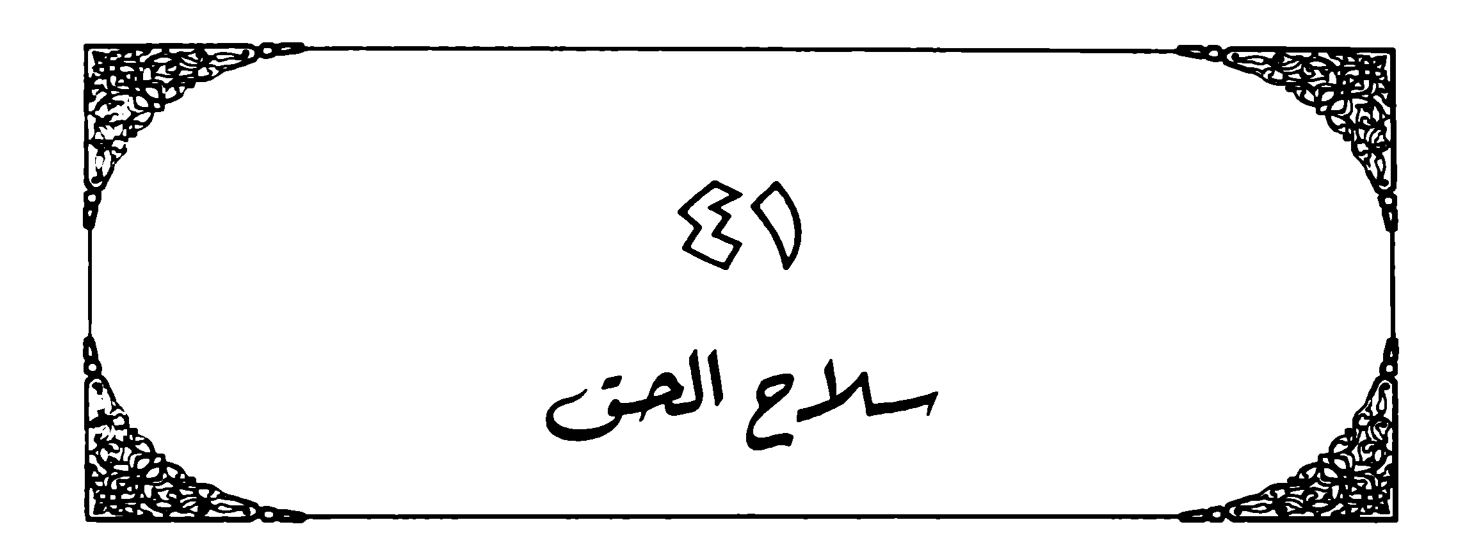
ولذلك فإنّ الأولياء يرون ما كان يراه الإمام عليّ عليه السلام: «أن تكون مظلوماً خير لك من أن تكون ظالماً».

فكانوا يقبلون وقوع الظلم عليهم، ويرفضون وقوع الظلم منهم.

وكان السلف منهم يوصي الخلف بأن لا يظلم، ولا يهادن الظالمين وهذا ما فعله عليّ بن الحسين عليه السلام.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لما حضر أبي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضمّني إلىٰ صدره وقال: يا بنيّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، قال: يا بنيّ إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله»[1].

(١) الكافي: ج٢، ص٣٣١.



٤١
سلاح الحق

كان سلاح أعدائه القوّة.

وكان سلاحه كلمة الحق.

وبمقدار ما كان أعداؤه يستخدمون سلاحهم، كان السّجّاد هو الآخر يستخدم سلاحه.

فما من موقع رفع العدوّ السّيف وضرب به هاشمياً، إلا ورفع السّجّاد فيه كلمة الحق وألهب بها وجهه، وظهره، وجنبه، وكلّ جوارحه.

فإذا لم يكن قادراً علىٰ مواجهة السّيف بالسّيف، فإنّه كان قادراً علىٰ مواجهته بكلماته الصادقة، الّتي كانت تسقط هيبته، وتسلب منه مشروعيّته، وتثير عليه رعيّته.

ولأنّ نصرة الحقّ واجبة علىٰ كلّ حال.

ومواجهة الباطل فريضة في كلّ وقت، فإنّ السّجّاد كان يردّ علىٰ الظالمين بلا هوادة، ويقرعهم بلا وجل.

وأطفالهم.

فأشار إبن زياد إلىٰ الإمام وقال:

«من هذا؟».

فقيل له: «إنّه عليّ بن الحسين».

فقال ابن زياد: «أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟»

فقال الإمام عليه السلام: «كان لي أخ يسمّىٰ عليّ بن الحسين قتله الناس».

فقال ابن زياد: «بل قتله الله».

فقال الإمام: «الله يتوفّىٰ الأنفس حين موتها، والّتي لم تمت في منامها».

فقال ابن زياد: «ولك جرأة علىٰ جوابي؟» ثمّ قال: «اذهبوا به فاضربوا عنقه».

فقال الإمام: «أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة؟».

ولما همّوا به ليقتلوه تعلّقت به عمّته زينب عليها السلام، وصرخت قائلة: «يابن زياد، حسبك من دمائنا» ثمّ اعتنقته وهي تقول: «والله لا أفارقه، فإنّ قتلته فاقتلني معه» فنظر ابنَ زياد إليها، ثمّ قال: عجباً للرحم، والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه».

ثمّ انصرف عن قتله[١].

* * *

---

(١) البحار: ج٤٥، ص١١٧.

وفي الشّام، جاءه شيخ من شيوخها، وكان الإمام زين العابدين موقوفاً مع السبايا علىٰ باب المسجد، قبل أن يدخلوهم فيه فقال: الحمد لله الّذي قتلكم، وأهلككم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم، وقطع قرن الفتنة. ولم يأل عن شتمهم.

فلمّا انتهىٰ كلامه، قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّي قد أنصت لك حتّىٰ فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك، فانصت لي كما أنصت لك».

فقال الشيخ: هات.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم.

قال الإمام: فهل قرأت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾؟

قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

قال الإمام: فنحن القربىٰ يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟

قال: نعم.

قال الإمام: فنحن القربىٰ يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾؟

قال: نعم قد قرأت ذلك.

قال الإمام: فنحن أهل البيت الّذين خُصّصنا بآية الطهارة يا شيخ..».

فبقي الرجل ساكتاً هنيئة، ثمّ قال: بالله أنكم هم؟

قال الإمام: تالله إنّا لنحن هم.

فندم الشيخ علىٰ ما قال، ورفع رأسه إلىٰ السماء، وقال: اللّهُمَّ إنّي أبرأ إليك من أعداء آل محمد ﷺ، وأتوب إليك من عداوة آل محمد ﷺ[1].

* * *

وعندما أدخلوه مقيّداً بالسّلاسل، مع النساء والأطفال، علىٰ يزيد بن معاوية في مجلسه العامّ، قال له الإمام: «أتأذن لي بالكلام؟».

فقال يزيد: قل، ولا تقل هجراً.

فقال الإمام: «لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، يا يزيد ما ظنّك برسول الله لو رآنا علىٰ هذه الحال؟»[2].

وأشار إلىٰ القيود والسلاسل في يديه وأيدي الأسارىٰ.

فأمر يزيد فحلّت القيود عنهم.

ثمّ التفت إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام وقال: الحمد لله الّذي قتل أباك!

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «لعنةُ الله علىٰ من قتل أبي»[3].

فقال يزيد: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾.

فقال الإمام: «كلا.. ما هذه الآية فينا نزلت، إنّما نزلت فينا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ

---

(١) الملهوف: ص١٥٦/ الإحتجاج: ص١٥٧.
(٢) الملهوف: ص١٥٨.
(٣) قرب الاسناد: ص٢٠.

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. فنحن الّذين لا نأسىٰ علىٰ ما فاتنا من أمر الدنيا، ولا نفرح بما أوتينا[1].

ثمّ قال عليه السلام: «يابن هند، لم تزل النبوّة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تُولد، ولقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام في يوم بدر، وأحد، والأحزاب، في يده راية رسول الله، وأبوك، وجدّك في أيديهما رايات الكفّار..».

ثم أنشد يقول:

ماذا تقولون، لو قال النّبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي، وبأهلي عند مفتقدي ... منهم أسارىٰ، ومنهم ضُرّجوا بدم

وأضاف عليه السلام: «ويلك يا يزيد.. إنّك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي، وإخوتي، وعمومتي، إذن لهربت إلىٰ الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين ابن فاطمة وعليّ منصوباً على باب مدينتكم، وهو وديعة رسول الله فيكم، فابشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة»[2].

* * *

ومرّة أخرىٰ جلس يزيد مجلساً عامّاً، وأمر بادخال أسارىٰ أهل البيت عليهم السلام عليه يتقدّمهم علي بن الحسين، وأمر خطيباً من مرتزقته أن يرقىٰ المنبر فيذمّ الحسين وأباه، ويمدح معاوية وابنه يزيد.. كما كان خطباء بني أميّة يفعلون من قبل في أيّام معاوية..

---

(١) البحار: ج٤٥، ص١٦٨.

(٢) الإرشاد، للمفيد ص٢٣١.

فصاح به علي بن الحسين عليه السلام قائلاً: «ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوّأ مقعدك من النّار».

ثمّ التفت إلىٰ يزيد وقال: «يا يزيد ائذن لي حتّىٰ أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب».

فأبىٰ يزيد عليه ذلك، فقال له بعض المقرّبين إليه: يا أمير المؤمنين ائذن له، فليصعد المنبر فلعلّنا نسمع منه شيئاً.

فقال يزيد: إنّه إن صعد لم ينزل إلاّ بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان.

فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟

فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً.

فلم يزالوا به حتّىٰ أذن له فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ خطب خطبة أبكىٰ بها العيون، وأوجل بها القلوب، ثمّ قال: «أيّها النّاس أعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع: أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين.

وفُضّلنا بأنَّ منّا النّبيّ المختار محمّداً، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأُمة، أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

أنا ابن مكّة ومنىٰ، أنا ابن زمزم والصفا، أنا بن من حمل الركن بأطراف الرّدا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدىٰ، أنا ابن خير من انتعل واحتفىٰ، أنا ابن خير من طاف وسعىٰ، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن من حُمل علىٰ البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلىٰ سدرة المنتهىٰ، أنا ابن من دنا فتدلّىٰ

فكان قاب قوسين أو أدنىٰ، أنا ابن من صلّىٰ بملائكة السما، أنا ابن من أوحىٰ إليه الجليل ما أوحىٰ، أنا ابن محمّد المصطفىٰ، أنا ابن عليّ المرتضىٰ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّىٰ قالوا: لا إلٰه إلاّ الله.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النّبييّن، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيّد بجبرائيل، المنصور بميكائيل.

أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين، والناكثين، والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشىٰ من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله علىٰ المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، ووليّ أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه.

سمحٌ، سخيٌّ، بهيٌّ، بهلولٌ، زكيٌّ، أبطحيٌّ، رضيٌّ، مقدامٌ، صابرٌ، صوّامٌ. مهذّب، قوّام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدُّهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة، وقربت الأعنّة، طحن الرّحى، ويذروهم فيها ذرو الرّيح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّيٌّ مدنيٌّ خيفيٌّ عقبيٌّ بدريٌّ أُحديٌّ شجريٌّ مُهاجريٌّ، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدّي عليٌّ بن أبي طالب».

ثمّ قال: «أنا ابن فاطمة الزّهراء، أنا ابن سيّدة النساء».

فلم يزل يقول: أنا أنا، حتّى ضجّ النّاس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن تثور عليه فتنة فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام فلمّا قال المؤذّن: الله أكبر، الله أكبر.

قال عليّ عليه السلام: «لا شيء أكبر من الله».

فلما قال: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي».

فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، التفت الإمام من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمّدٌ هذا جدّي أم جدُّك يا يزيد؟ فإن زعمت أنّه جدُّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلِمَ قتلت عترته؟».

وفرغ المؤذّن من الأذان والإقامة وتقدَّم يزيد فصلّى صلاة الظهر[1].

وبالرغم من أنّهم لم يتركوا زين العابدين عليه السلام ليكمل خطبته، إلاّ أنّها فعلت فعلتها، فهي من جهة سلبت مشروعيّة قتل الحسين بن عليّ عليه السلام، ومن جهة أخرىٰ سلبت شرعيّة حكومة يزيد، ومن جهة ثالثة أثارت مشاعر النّاس، وحتّىٰ النصارىٰ واليهود احتجّوا على فعل يزيد، فقد روي أنّه كان في مجلس يزيد حبر من أحبار اليهود فقال: من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟

قال: هو عليُّ بن الحسين عليه السلام.

قال: فمن الحسين؟

قال: ابن عليّ بن أبي طالب.

---

(١) البحار: ج٤٥، ص١٣٧.

قال: فمن أمّه؟

قال: أمّه فاطمة بنت محمّد.

فقال الحبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيّكم قتلتموه في هذه السرعة؟ بئس ما خلفتموه في ذرّيّته، والله لو ترك فينا موسىٰ بن عمران سبطاً من صُلبه لظننا أنّا كنّا نعبده من دون ربّنا، وأنتم إنّما فارقكم نبيّكم بالأمس، فوثبتم على ابنه فقتلتموه؟ سوأة لكم من أمّة.

فأمر به يزيد فَوُجِىءَ في حلقه ثلاثاً.

فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني، وإن شئتم فاقتلوني، أو فذروني فإنّي أجد في التوراة أنَّ من قتل ذرّيّة نبيّ لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنّم[1].

كما روي أنّه كان في مجلسه رسول ملك الروم، وعندما سمع ما سمع، ورأىٰ رأس الحسين عليه السلام أمام يزيد، وعرف القضيّة، قال ليزيد:

أفّ لك ولدينك! لي دين أحسن من دينك، إنَّ أبي من أحفاد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارىٰ يعظّموني لأنّي من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين نبيّكم إلاً أمّ واحدة؟ فأيُّ دين دينكم؟[2].

وهكذا أصبحت الخطبة غير المكمّلة لزين العابدين عليه السلام أشهر خطبة من خطب التاريخ.

فقد أشعلت الثورات، في وجوه بني أميّة، وأسقطت حكومتهم في نهاية المطاف.

---

(١) الملهوف: ص١٦٩.

(٢) البحار: ج٤٥، ص١٤١.

ولقد أحسّ يزيد بخطورة تلك الخطبة، ولذلك فإنّه عاقب الإمام ومن معه علىٰ ذلك، حيث أمر بسجنهم في مجلس لا يكنّهم من حرّ، ولا قرّ حتّىٰ تقشّرت وجوههم[1].

إلا أن الإمام لم يكتفِ بمثل تلك المواجهات في قصور الحكّام، والمجالس العامّة، وإنّما كان يبثّ شكواه في كلّ مكان، ومع جميع النّاس.

وهكذا فإن الإمام حمل راية ظلامة أهل البيت عليهم السلام في كل مكان فما كان يلتقي أحداً إلا وينشرها له.

قال منهال بن عمرو الدمشقي:

كنت أتمشى في أسواق دمشق، وإذا أنا بعليّ بن الحسين عليه السلام يمشي ويتوكأ على عصا في يده، ورِجلاه كأنهما قصبتان، والدم يجري من ساقيه، والصفرة قد غلبت عليه.

فخنقتني العبرة، فاعترضته، وقلت له: كيف أصبحت يابن رسول الله؟

قال: «يا منهال، وكيف يصبح من كان أسيراً ليزيد بن معاوية؟

يا منهال، منذ قُتل أبي، نساؤنا ما شبعن بطونهن، ولا كسون رؤوسهن، صائمات النهار، ونائحات الليل.

يا منهال، أصبحنا مِثلَ بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، فالحاكم بيننا وبينهم الله، يوم فصل القضاء.

أصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منهم، وتفتخر قريش على العرب بأن محمداً منها. . وإنا، عترة محمّد، أصبحنا مقتولين مذبوحين،

---

(١) الأمالي للصدوق، المجلسي ٣١/ رقم ٤.

مأسورين، مشردين، شاسعين عن الأمصار، فكأننا أولاد ترك أو كابل.

هذا صباحنا أهل البيت.

يا منهال، الحبس الذي نحن فيه ليس له سقف، والشمس تصهرنا، فافرّ منه سويعة لضعف بدني، وأرجع إلى عماتي وأخواتي، خشية على النساء»[1].

❋ ❋ ❋

لقد عمد بنو أميّة إلىٰ حمل أسارىٰ أهل البيت عليهم السلام من بلد إلىٰ بلد ليذلّوهم، لكنّ الإمام السّجّاد إنتهز هذه الفرصة ليكشف في كلّ مكان عن ظلامة أهل البيت، ويدفع النّاس إلى الدفاع عنهم، فعندما وصلوا إلى المدينة المنوّرة جاء النّاس لاستقبال الأسرىٰ فوجدوا عليّ بن الحسين عليه السلام ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت أصوات النّاس بالبكاء، وحنين الجواري والنساء، والنّاس من كلّ ناحية يعزُّونه فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة فأومأ الإمام عليه السلام بيده أن: اسكتوا، فسكنت فورتهم.

فقام خطيباً فيهم وقال:

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمد لله ربّ العالمين، الرَّحمٰن الرَّحيم، مالك يوم الدِّين، بارىء الخلائق أجمعين الّذي بعد فارتفع في السّماوات العلىٰ، وقرب فشهد النجوىٰ، نحمده علىٰ عظائم الأمور، وفجائع الدُّهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرُّزء، وعظيم المصائب الفاضعة، الفادحة الجانحة.

---

(١) الأنوارالنعمانية، للجزائري ج٣، ص٢٥٢.

أيّها النّاس إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلامة عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرّزيّة الّتي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس! فأيُّ رجالات منكم يسرُّون بعد قتله؟ أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنُّ عن انهمالها؟، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار، والملائكة المقرّبون، وأهل السماوات أجمعون.

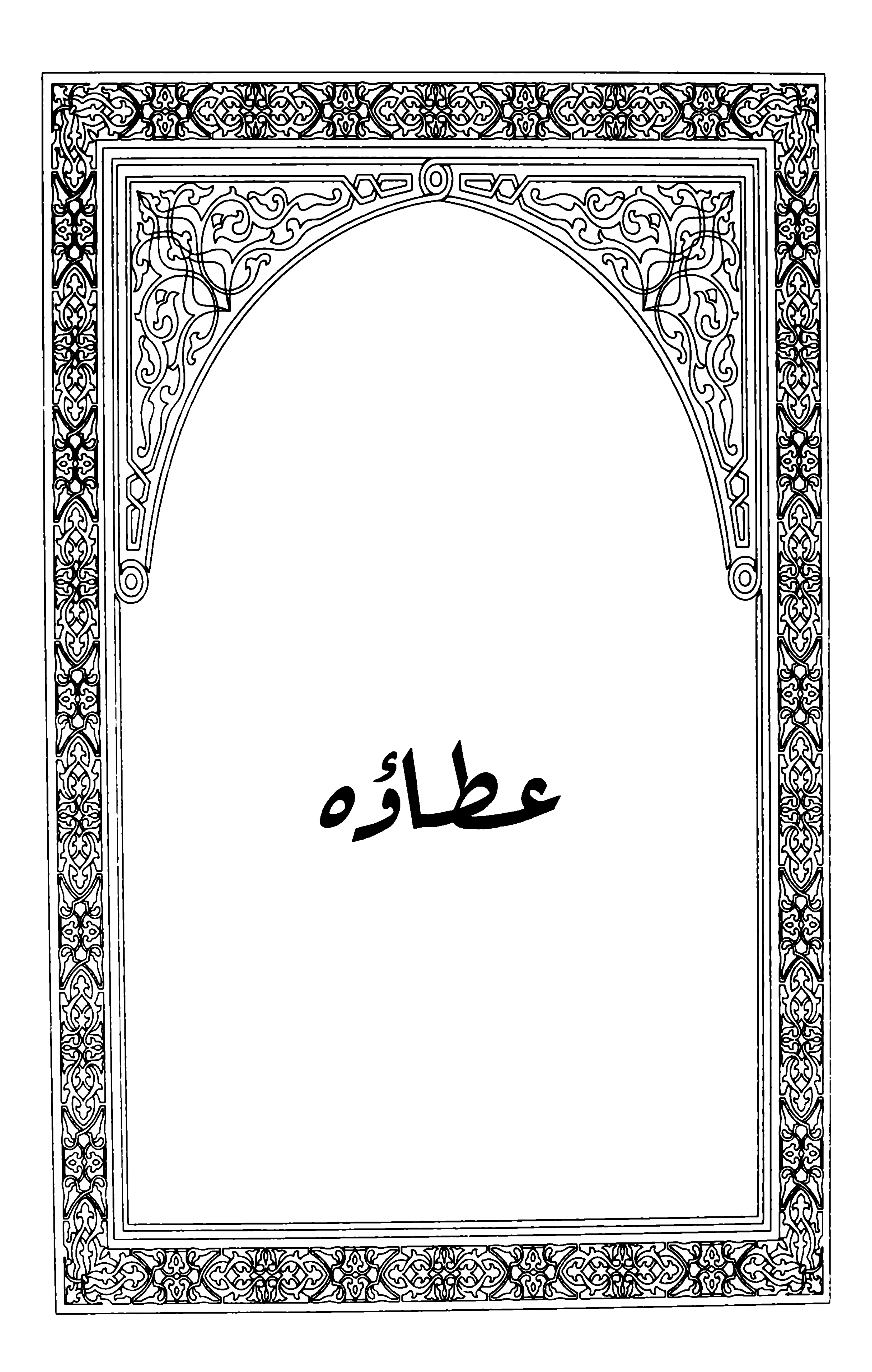
أيّها النّاس أيّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه، أم أيُّ سمع يسمع هذه الثلمة الّتي ثلمت في الإسلام؟

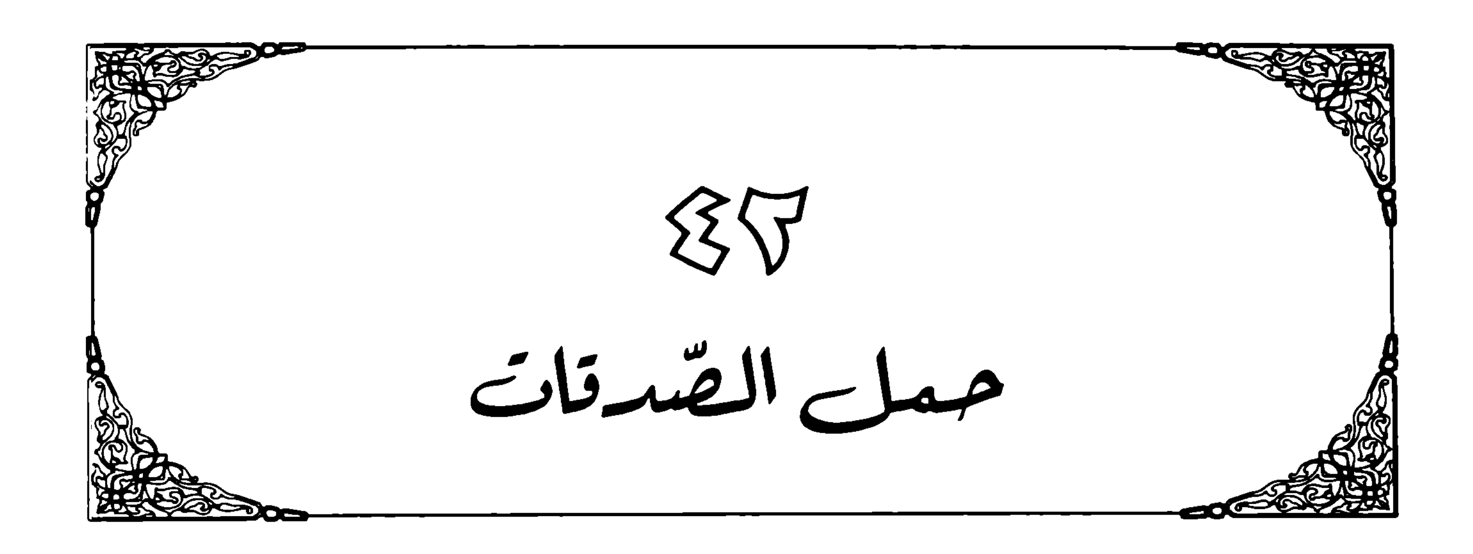
أيّها الناس أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلينَ، إن هذا إلاّ اختلاق.

والله لو أنَّ النّبيَّ تقدَّم إليهم في قتالنا كما تقدَّم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها وأفجعها، وأكظّها، وأفظها، وأمرَّها، وأفدحها؟ فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا إنّه عزيز ذو انتقام»[١].

---

(١) الملهوف: ص١٧٧ ـ ١٨٢.


عطاؤه



٤٣ حمل الصّدقات

إلىٰ جانب عبادته، ومناجاته، وأدعيته، كان السّجّاد يساعد الفقراء والمساكين، ويتعهد شؤون المعوزين والمحتاجين، لأنّه كان إمام الأمّة، وحامل الراية، ووليّ الأمر.

فهو يعبد الله في الخلوات.

ويجاهد المجرمين في الساحات.

ويساعد في الليالي المظلمة ذوي الحاجات.

بينما كان جسمه في النّاس وروحه في الملكوت.

فإذا جنّ الليل عبد ربّه حتّىٰ ينتصف، ثم يخرج حاملاً علىٰ ظهره جراباً فيه الطعام، وأحياناً فيه اللوز والسكّر، وهو يتلو قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[1].

ثمّ يأتي باباً باباً، وهو متلثّم حتّىٰ لا يعرفوه، ويقول: «صدقة السرّ تدفع غضب الرّب» وكثيراً ما كان أهل تلك الدور قياماً علىٰ أبوابهم ينتظرونه فإذا

(١) البحار: ج٤٦، ص٨٩.

رأوه تباشروا به وقالوا: جاء صاحب الجراب[1].

* * *

وكان إذا ناول الصّدقة قبّلها ـ وقبّل يد السائل ـ فإذا قيل له: ما يحملك علىٰ هذا؟ يقول: «لست أقبّل يد السائل، إنّما أقبل يد ربّي، إنّها تقع في يد ربّي قبل أن تقع في يد السائل»[2].

* * *

وكان عدد البيوت الّتي يقوّتها مائة بيت، وفي كلّ بيت جماعة من النّاس ولم يعرفوه حتّىٰ توفّاه الله، ففقدوا ذلك فعلموا أنّه كان عليّ بن الحسين عليه السلام فكان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السّرّ حتّىٰ مات عليّ بن الحسين عليه السلام[3].

* * *

ولقد ترك الجراب الّذي حمله في الليالي أثراً على جسمه، فقد نظروا إلىٰ ظهره بعد موته، وعليه مثل رُكب الإبل، ممّا حمله إلىٰ بيوت الفقراء والمساكين[4].

وهكذا فإنّ السّجّاد لم يكن ينتظر ذوي الحاجة أن يأتوا إليه، وإنّما كان هو من يبحث عنهم، ويحمل الطعام لهم.

* * *

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٨٩.

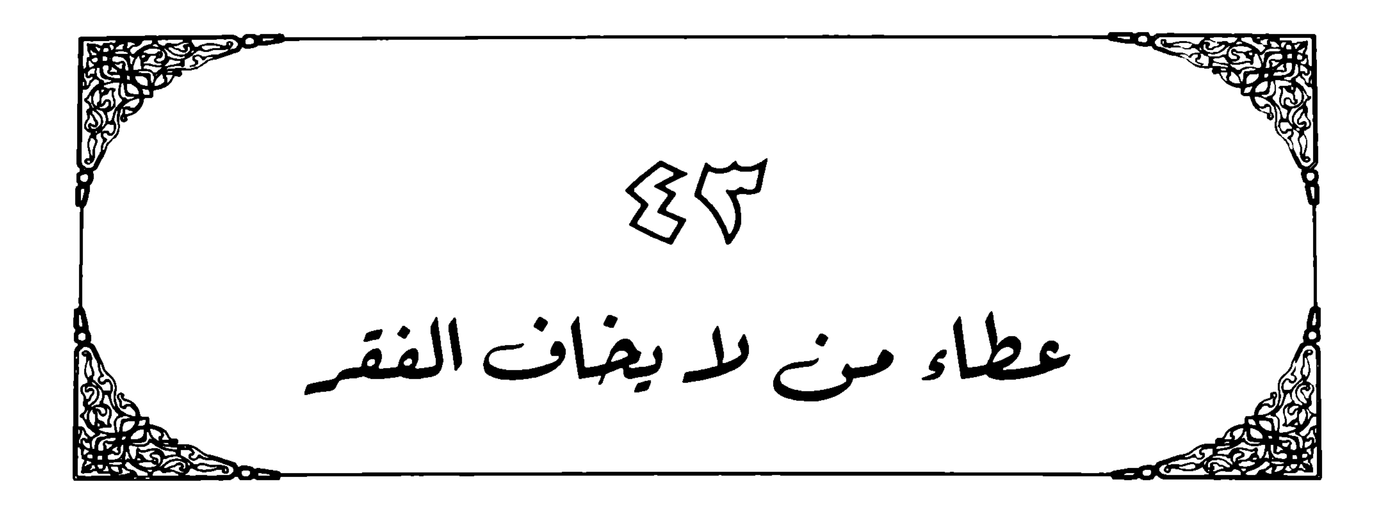
(٢) وسائل الشيعة: ج٩، ص٤٣٣.

(٣) البحار: ج٤٦، ص٨٨.

(٤) المناقب: ج٤، ص١٥٤.

وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامىٰ والأضراء، والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان له عيال حمل له إلى عياله من طعامه. وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله[1].

(١) البحار: ج١١، ص٢٠.



كان عطاؤه، عطاء من يؤثر على نفسه، ويعطي لغيره.

فكان يطعم الفقير، وهو جائع.

ويتصدّق علىٰ الآخرين، وهو محتاج.

ويؤثر علىٰ نفسه، وبه خصاصة.

وكان يقول للسائل إذا جاءه «مرحباً بمن يحمل زادي إلىٰ الآخرة..»[١].

وكان يُقبّل الصدقة قبل أن يعطيها[٢] ويقول: «انّها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل فأحببت أن أقبّلها إذ وليها الله»[٣].

«ولقد قاسم الله ماله مرّتين»[٤] أي أنّه أعطىٰ نصف ماله للفقراء، والمعوزين في كلّ مرّة. ممّا يعني أنّه أعطىٰ على دفعتين كل أمواله للفقراء.

---

(١) كشف الغمّة: ج٢، ص٢٦٢.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٧٤.

(٣) الوسائل: ج٤، ص٣٠٣.

(٤) حلية الأولياء: ج٣، ص١٤٠.

وكان من عادته أنّه إذا انقضىٰ الشتاء تصدّق بكسوته (الشتويّة) وإذا انقضىٰ الصيف تصدّق بكسوته (الصيفيّة)[1].

* * *

وقد روي أنّ الإمام كان يحبّ العنب كثيراً، فدخل منه المدينة فاشترت أمُ ولد له شيئاً من العنب، وأتته به عند إفطاره، فاعجبه، ولكن قبل أن يمدّ يده إليه وقف بالباب سائل، فقال لها: «احمليه إليه»، فقالت: يا مولاي، بعضه يكفيه..

فقال عليه السلام: «لا والله، بل كلّه».

فلمّا كان من غد أتت بالعنب إليه مرّة أخرىٰ، فوقف ببابه سائل أيضاً، ففعل مثل ذلك وأعطاه كلّ العنب.

ولما كان في الليلة الثالثة، أتت به إليه للمرة الثالثة، ولم يأت سائل فأكل منه، وقال: «ما فاتنا منه شيء، والحمد لله»[2].

* * *

وكان يُطعم الطعام للآخرين وهو صائم. ثمّ لا يبقي لنفسه وعياله إلاّ الخبز والتمر. فقد روي أن عليّ بن الحسين عليه السلام إذا كان اليوم الّذي يصوم فيه، يأمر بشاة فتذبح، وتقطع أعضاؤها، وتطبخ، وإذا كان عند المساء أكبّ علىٰ القدور حتّىٰ يجد ريح المرق، وهو صائم، ثمّ يقول: «هاتوا القصاع، اغرفوا لآل فلان، واغرفوا لآل فلان» حتّىٰ يأتي على آخر القدور.. ثمّ يؤتىٰ بخبز وتمر فيكون ذلك عشاءه[3].

* * *

---

(1) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٩٤.

(2) البحار: ج٤٦، ص٨٩.

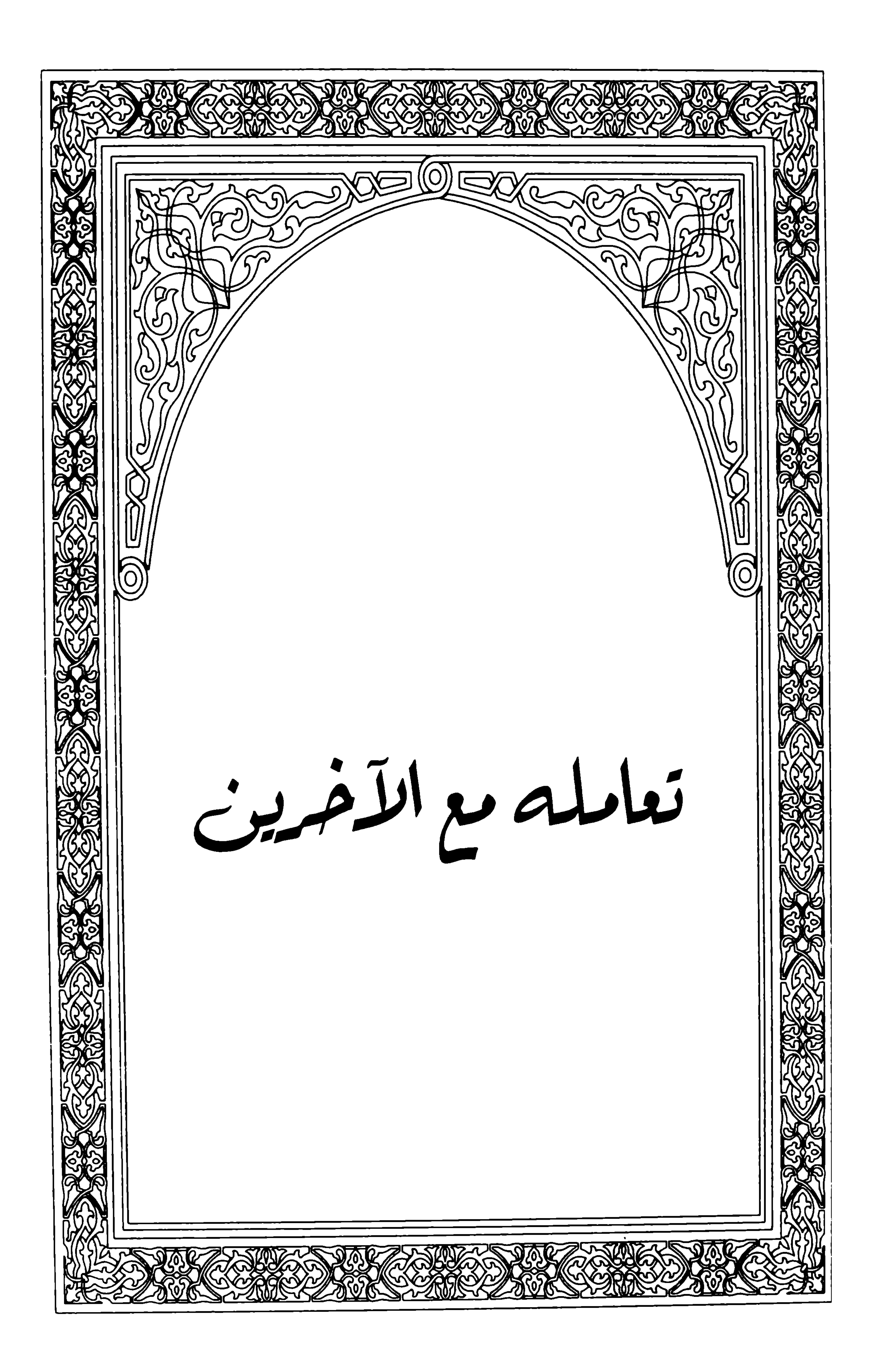
(3) المحاسن: ص٣٩٦.

وكان ممّن يبادر إلىٰ العطاء. . كما كان ممّن لا يردّ طلب أحد، فقد روىٰ سعيد بن المسيّب قال: «حضرت عليّ بن الحسين عليه السلام يوماً حين صلّىٰ الغداة فإذا سائل بالباب.

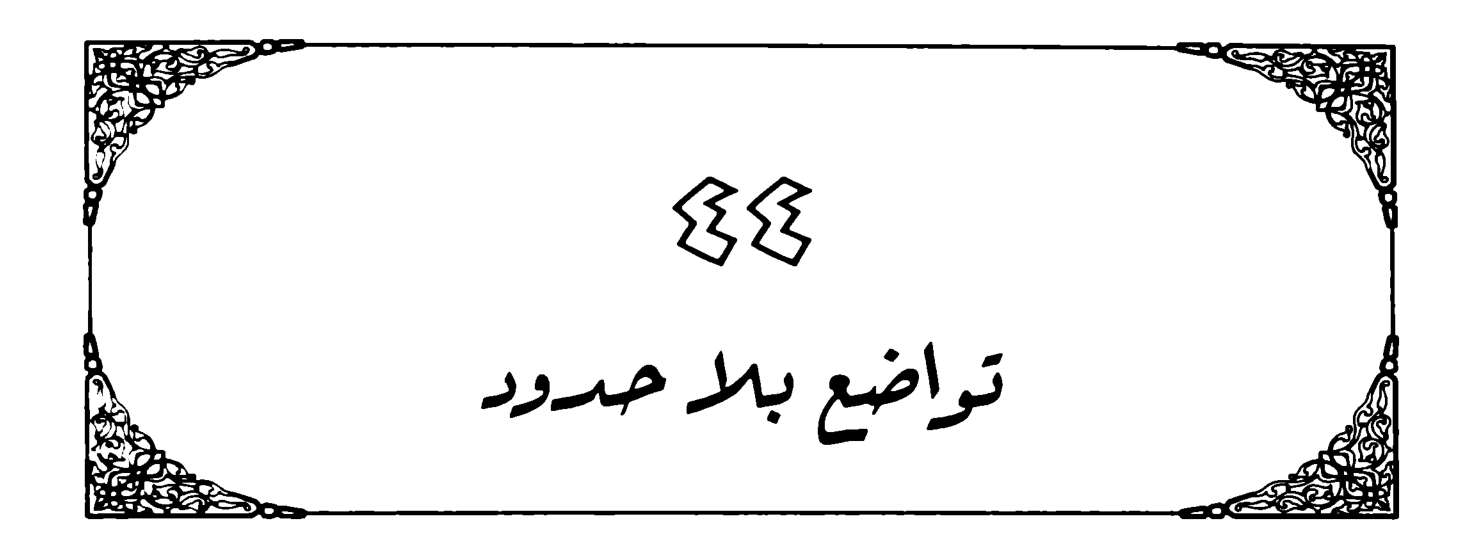
فقال عليّ بن الحسين عليه السلام «أعطوا السائل، ولا تردّوا سائلاً»[1].

---

(١) الكافي: ج٤، ص١٥.



تعامله مع الآخرين



٤٤
تواضع بلا حدود

كما هي عادة أولياء الله لا يتكبّرون علىٰ أحد، ويتواضعون للجميع، فإنّ السّجّاد كان من أكثر المتواضعين في حياته..

ولقد تجلّىٰ تواضعه في كلامه، ودعائه، كما تجلّىٰ في مواقفه، وأعماله. ونكتفي هنا ببعض الأمثلة:

أوّلاً: ـ إنّه لم يكن يتكبّر علىٰ أحد، ولا يفتخر على الآخرين.

ثانياً: ـ كان يرفض المديح والتبجيل، فإذا ذكروا فضله، قال «حسبنا أن نكون من صالحي قومنا»[١].

أو يقول: «اللّهمَّ إنّي أعوذ بك أن تُحسن في لوامح العيون علانيتي، وتقبح عندك سريرتي، اللّهُمَّ كما أسأتُ أنا وأحسنتَ إليّ أنت، فإذا عدت، فعد عليّ»[٢].

ثالثاً: ـ إنّه كان يقوم بخدمة الناس، رافضاً أن يقوموا هم بخدمته، فكلّما

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٧٤.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٩٨.

كانت تتاح له الفرصة في أن يقدّم أي نوع من المساعدة لغيره، كان ينتهزها فوراً.

ولقد روىٰ الإمام الصادق عليه السلام أنّه «كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلاّ مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟

فقالوا: لا.

قال: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام.

فوثبوا إليه يقبّلون يده. وقالوا: يابن رسول الله، أردت أن تصلينا نار جهنّم، لو بدرت منّا إليك يد أو لسان، أما كنّا قد هلكنا إلىٰ آخر الدهر؟ فما الّذي يحملك علىٰ هذا؟

فقال عليه السلام: «إنّي كنت سافرت مرّة مع قوم يعرفونني، فاعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحقّ، فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبّ إليّ»[1].

* * *

وكان يبذل مساعدته لكلّ من يلقاه ممّن يعرفه أو لا يعرفه، وقد حدث أنّه عليه السلام كان في حمّام في المدينة، عندما دخل عليه جماعة، يقول حنان بن سدير: دخلت أنا، وأبي، وجدّي، وعمّي حماماً بالمدينة، فإذا رجل في بيت المسلخ، فقال لنا: «ممّن القوم؟».

فقلنا: من أهل العراق.

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٦٩/ عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٤٥.

فقال: «وأي العراق؟».

قلنا: كوفيّون.

قال: «مرحباً بكم يا أهل الكوفة، أنتم الشعار دون الدثار».

ثمّ قال: «ما يمنعكم من الأزر، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عورة المؤمن على المؤمن حرام».

ثمّ بعث إلى أبي كرباسة فشقّها بأربعة، ثم أعطى كلّ واحد منّا واحداً فلبسناها، فلمّا كنّا في البيت الحار صمد لجدّي، فقال له: يا كهل ما يمنعك من الخضاب؟

فقال له جدّي: أدركت من هو خير منّي ومنك لا يختضب.

فقال: من هو؟

قال جدّي: أدركت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو لا يختضب.

فقال: صدقت، وبررت.

ثمّ قال: «يا كهل إن تختضب فإنّ رسول الله قد خضب، وهو خير من عليّ، وإن تترك فلك بعليّ سنّة».

ولما خرجنا من الحمّام سألنا عنه، فقيل: إنّه عليّ بن الحسين، وكان معه ابنه محمّد بن عليّ عليه السلام [1].

❊ ❊ ❊

وكان عليه السلام إذا يمرّ على «المدرة» (طين مجفّف) في وسط الطريق ينزل

---

(١) الكافي: ج٦، ص٤٩٧.

عن دابّته، فينحّيها بيده عن الطريق[1].

* * *

وعندما مات، وجدوا علىٰ ظهره مجلاً (جلدةً خشنة) وتبيّن أنّ ذلك لسبب أنّه كان يستقي الماء لضعفة جيرانه باللّيل[2].

* * *

ولقد مرّ الإمام ذات يوم بمجذومين، فسلّم عليهم وهم يأكلون، فمضىٰ، ثمّ قال: إنّ الله لا يحبّ المتكبّرين، فرجع إليهم فقال: إنّي صائم..

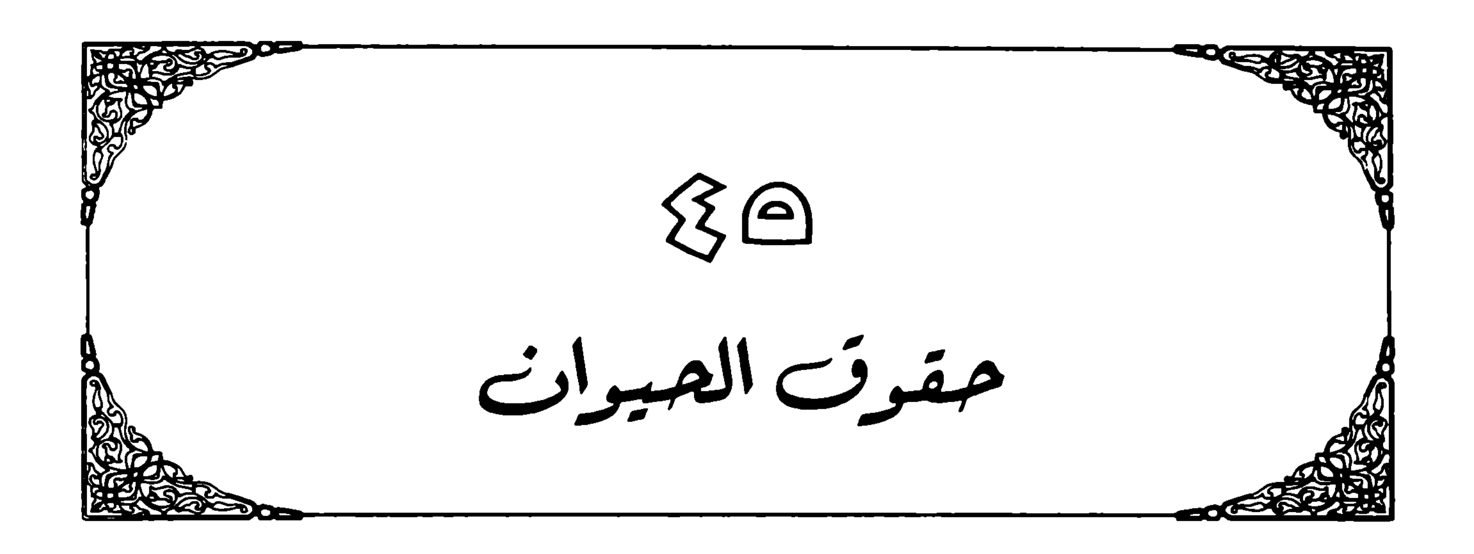
ثمّ قال لمن معه: أئتوني بهم في المنزل، فأتوه، فأطعمهم، ثمّ أعطاهم[3].

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٧٤.

(٢) حلية الأولياء: ج٣، ص١٤٠.

(٣) البحار: ج٤٦، ص٧٦.



٤٥
حقوق الحيوان

تظهر مروءة الرجال في تعاملهم مع من تحت أيديهم، من إنسان، أو حيوان، أو نبات.

ولقد كان السّجّاد نموذجاً ربّانيّاً في احترام من تحت يده، فبدل أن يخدمه مماليكه، كان هو يقوم بخدمتهم.

أمّا مع الحيوانات، فليس للسّجّاد مثيلٌ في حسن التعامل معها، ومراعاة حقوقها.

فلقد كانت له ناقة يركبها في الذهاب الىٰ حجّ بيت الله الحرام، ولكنّه لم يكن يستخدم معها العصي، مهما عصت..

فذات مرّة توقّفت عليه، فأشار إليها بالقضيب، ثمّ قال: «آه.. لولا القصاص». وردّ يده عنها[1].

وأوصىٰ بتلك الناقة خيراً عند وفاته، فقال لولده الإمام الباقر عليه السلام: «إنّني قد حججت علىٰ ناقتي هذه عشرين حجّة، فلم أقرعها بسوط قرعة،

---

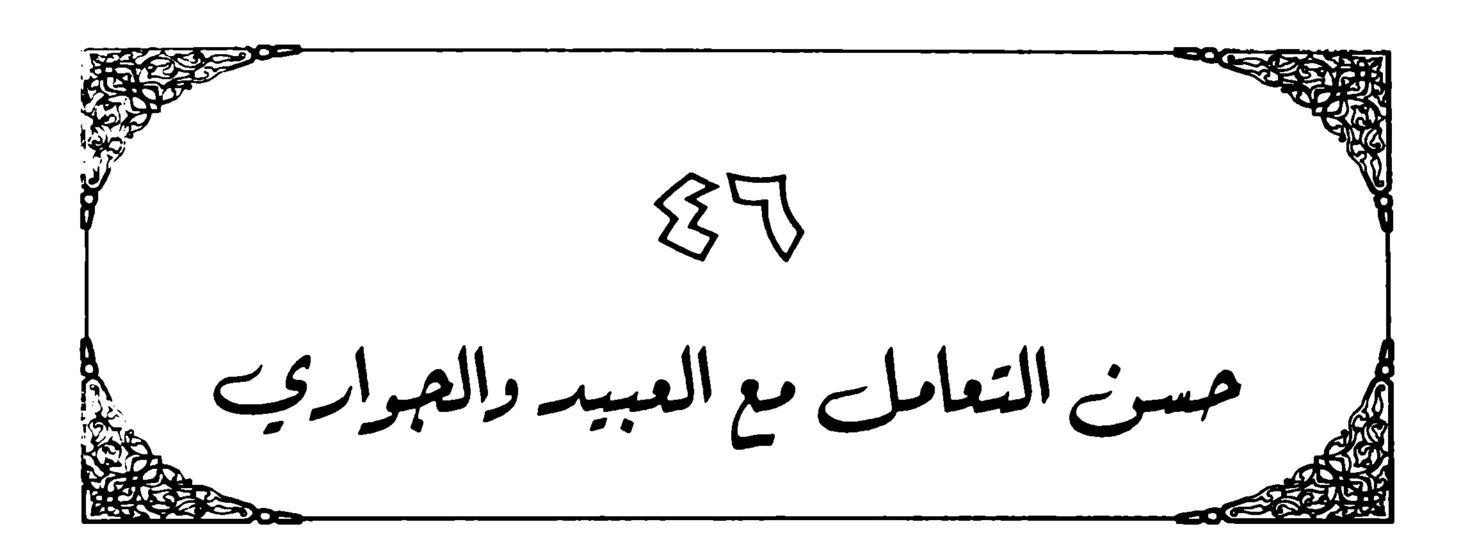
(١) الإرشاد: ص٢٧٣.

فإذا نفقت (ماتت) فادفنها حتّىٰ لا تأكل السباع لحمها، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «ما من بعير يوقف عليه موقف عرفه سبع حجج، إلاّ جعله الله من نعم الجنّة، وبارك في نسله».

وبالفعل، فإنّها عندما ماتت حفر لها الإمام الباقر عليه السلام حفرةً ودفنها فيها كما وصّاه أبوه[1].

---

(١) المحاسن للبرقي: ص٦٣٥.



٤٦
حسن التعامل مع العبيد والجواري

عندما كان النّاس يتعاملون مع العبيد، وكأنّهم مخلوقون لهم، كان السّجّاد يتعامل معهم كنظراء له، ويصبّ اهتماماً خاصّاً على تربيتهم، وتعليمهم، ثمّ يعتقهم في سبيل الله. . بعد أن يحوّلهم من عبيد جهّال، إلىٰ علماء أحرار.

وكان يوصي بهم خيراً فيقول: «وأمّا حقّ رعيّتك بملك اليمين، فأن تعلم أنّه خَلق ربّك، ولحمك ودمك، وأنت تملكه، لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً، ولكن الله كفاك ذلك بمن سخّره لك، وائتمنك عليه واستودعك إيّاه لتحفظه فيه، وتسير فيه بسيرته، فتطعمه ممّا تأكل، وتلبسه ممّا تلبس، ولا تكلّفه ما لا يطيق، فإن كرهته خرجت إلىٰ الله منه، واستبدلت به، ولم تعذّب خلق الله»[١].

ويظهر حسن تعامل السّجّاد مع عبيده، في الحالات الّتي كان العبيد يتصرّفون بشكل خاطىء، ويسبّبون له خسائر جسميّة أو ماليّة.

---

(١) رسالة الحقوق.

فمثلاً، روي أنّه كان عند الإمام ضيوف، فطلب من خادم له أن يحمل إليه شواء، كان في التّنور فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط السفّود (الحديدة الّتي يشوىٰ عليها اللحم) علىٰ رأس ابن لعليّ بن الحسين عليه السلام تحت الدَّرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال الإمام للخادم الّذي تحيّر واضطرب: «أنت حرّ لوجه الله فإنّك لم تتعمّده».

وأخذ في جهاز ابنه ودفنه[1].

* * *

وكسرت جارية له قصعة فيها طعام، فخافت واصفرّ لونها، فقال لها الإمام: «اذهبي فأنت حرّة لوجه الله»[2].

* * *

أمّا إذا كان الإمام يؤدّب خادمه بضربة بسيطة ـ الأمر الّذي لم يحدث إلاّ مرّات معدودة ـ فإنّ الإمام كان يتصرّف بشكل مختلف.

وقد روي:

إنّ عبداً لعليّ بن الحسين عليه السلام كان يتولّىٰ عمارة ضيعة له، فجاء الإمام فرأىٰ فساداً وتضييعاً كثيراً، فغاظه من ذلك ما رآه وغمّه، فقرع الإمام العبد بسوط كان في يده، وندم علىٰ ذلك، فلمّا انصرف إلىٰ منزله أرسل في طلب العبد، فأتاه فوجده قد كشف عن ظهره والسّوط بين يديه، فظنّ أنّه يريد عقوبته، فاشتدّ خوفه، فأخذ عليُّ بن الحسين عليه السلام السّوط ومدَّ يده إليه وقال: «يا هذا قد كان منّي إليك ما لم يتقدّم منّي مثله، وكانت هفوة وزلّة، فدونك السّوط واقتصّ منّي.

---

(١) كشف الغمّة: ج٢، ص٢٧٣.

(٢) البحار: ج٤٦، ص٩٥.

فقال العبد: يا مولاي والله إن ظننت إلاّ أنك تريد عقوبتي، وأنا مستحقّ للعقوبة، فكيف أقتصُّ منك؟

فقال الإمام: ويحك اقتصَّ.

قال العبد: معاذ الله، أنت في حلّ وسعة.

فكرّر الإمام ذلك عليه مراراً، كلّ ذلك والعبد يتعاظم قوله ويجلّله، فلمّا لم يره يقتصَّ، قال له الإمام: أمّا إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك، وأعطاه إيّاها[1].

* * *

روي أنّه أذنب غلام لعليّ بن الحسين عليه السلام ذنباً استحقّ به العقوبة، فأخذ الإمام له السّوط وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾.

فقال الغلام: وما أنا كذلك يا مولاي، لأنّي أرجو رحمة الله وأخاف عذابه.

فألقىٰ الإمام السّوط وقال: «أنت عتيق»[2].

* * *

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أبي ضرب غلاماً له قرعة واحدة بسوط، وكان بعثه في حاجة فأبطأ عليه، فبكىٰ الغلام وقال: الله يا عليّ بن الحسين، تبعثني في حاجتك، ثمّ تضربني.؟!

فبكىٰ أبي، وقال: «يا بنيّ إذهب إلىٰ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّ ركعتين ثمّ قل: اللّهُمَّ اغفر لعليّ بن الحسين خطيئته يوم الدِّين».

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٩٥.

(٢) كشف الغمّة: ج٢، ص٢٩٦.

ثمّ قال للغلام: «إذهب، فأنت حرٌ لوجه الله».

قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك كأنّ العتق كفّارة الضرب؟! فسكت[1].

* * *

وروي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه، فلمّا أجابه في الثالثة قال له الإمام: يا بني، أما سمعت صوتي؟

فقال: بلىٰ.

قال عليه السلام: «فما بالك لم تجبني؟».

قال: أمنتك.

قال: «الحمد لله الّذي جعل مملوكي يأمنني»[2].

* * *

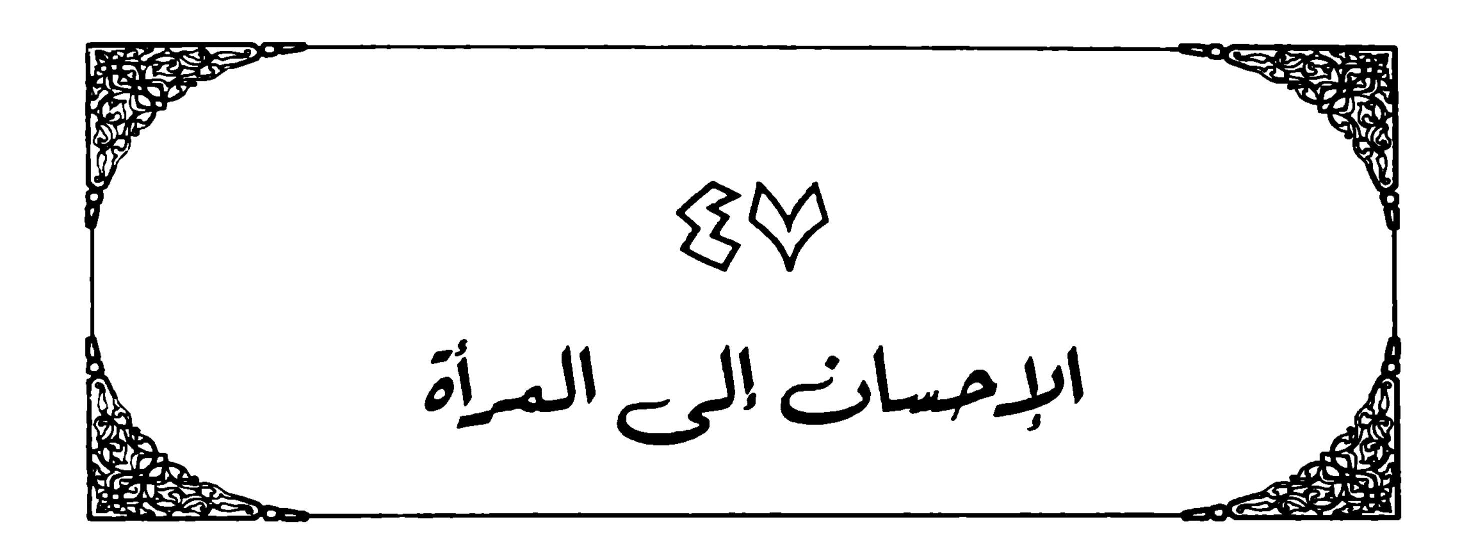
هذا، وكان الإمام لا يستخدم خادماً أكثر من عام، وروي أنّه عليه السلام كان إذا ملك عبيداً في أوّل السنة أو في وسط السنة أعتقهم ليلة الفطر، واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثمَّ أعتق ليلة الفطر، كذلك كان يفعل حتّىٰ لحق بالله تعالىٰ، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات فيسدً بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم، وأعطاهم جوائز لهم من المال[3].

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٩٢.

(٢) المناقب: ج٣، ص٢٩٦.

(٣) الإقبال: ص٤٧٧.



٤٧
الإحسان إلى المرأة

كان زين العابدين عليه السلام من أفضل الناس في الإحسان إلىٰ المرأة، فقد كان يتعامل معها على قاعدة **«وعاشروهنّ بالمعروف»** وكان في ذلك يقلّد رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي قال: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**.

وهو لم يكتف بعدم ظلم النساء، وإنّما كان ممّن يهتمّ بهنّ، ويُحسن إليهنّ، ويراعي مشاعرهنّ، ويؤدّي حقوقهنّ، ويوصي بهنّ خيراً.

فمن ذلك أنّه عليه السلام، كان يرفض مقاييس الجاهلية الّتي تفضل صاحبات الاسم والشهرة على غيرهنّ.

فما الفرق عند الله تعالى بين امرأة من عائلة معروفة، وأخرىٰ غير معروفة؟

ولقد روي في هذا المجال أنّه كانت للإمام مولاة مملوكة له، وكان يمكنه الاستمتاع بها كأمَة، ولكنّه أعتقها وتزوّجها، ليتعامل معها كزوجة، وليس كمملوكة.

وكان لعبد الملك بن مروان ـ وهو خليفة علىٰ المسلمين ـ جاسوس في

المدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، فكتب إليه أن عليّ بن الحسين عليه السلام أعتق جارية له ثمّ تزوّجها..

وبما أنّ بني مروان ـ كبني أميّة ـ كانوا يبحثون عن أيّة ثغرة يجدونها ضدّ أهل البيت عليهم السلام فإنّ عبد الملك استغلّها فرصة ليشهر بالإمام، ظنّاً منه أنّ ما فعله الإمام منقصة تحسب عليه، ولا حسنة يحمد عليها.

فكتب عبد الملك رسالة إلىٰ الإمام هذا نصّها:

أمّا بعد: فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمتَ أنّه كان في أكفّائك من قريش من تمجَّد به من الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا علىٰ ولدك أبقيت، والسّلام.

فكتب إليه الإمام الجواب التالي:

«أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، تعنّفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنّه قد كان في نساء قريش من اتمجّد به في الصهر، واستنجبه في الولد..

وإنّه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقىٰ في مجد، ولا مستزاد في كرم، وقد تزوّج أمته وامرأة عبده.. وإنّما كانت ملك يمين خرجت منّي، أراد الله منّي بأمرِ التمستُ به ثوابه، ثمّ استرجعتها علىٰ سنّته، ومن كان زكيّاً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره. وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة، وتمّم به النقيصة، وأذهب اللؤم، فلا لؤم علىٰ اَمرىء مسلم، إنّما اللؤم لؤم الجاهليّة. والسّلام».

فلمّا قرأ عبد الملك الرّسالة رمىٰ بها إلىٰ إبنه سليمان، فقرأها فقال: لشدّ ما فخر عليك عليّ بن الحسين عليه السلام ؟.

فقال عبد الملك: يا بنيّ، لاتقل ذلك، فإنّها أَلْسنة بني هاشم الّتي تفلق

الصخر، وتغرف من بحر. إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام يا بني، يرتفع من حيث يتّضع النّاس[1].

* * *

ومرّة أخرىٰ، تزوّج الإمام من امرأة عاديّة، وكان للإمام صديق من الأنصار، فاغتمّ لتزويجه بتلك المرأة، الّتي لم يكن الأنصاريّ يعرفها، فأخذ يسأل عنها حتّى عرف أنّها من ذوي البيوت، فأقبل علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: له: جعلت فداك ما زال تزويجك هذه المرأة في نفسي، وقلت: تزوّج عليّ بن الحسين عليه السلام امرأة مجهولة، ويقول النّاس أيضاً ذلك، فلم أزل أسأل عنها حتّىٰ عرفتها، ووجدتها في بيت قومها شيبانيّة.

فقال له الإمام عليه السلام: «قد كنت أحسبك أحسن رأياً به ممّا أرىٰ. . إنّ الله أتىٰ بالإسلام فرفع به الخسيسة، وأتمّ به الناقصة، وكرم به من اللؤم، فلا لؤم علىٰ المسلم، إنّما اللؤم لؤم الجاهلية»[2].

* * *

وبمقدار ما كان الإمام يحترم المرأة، مع قطع النظر عن شهرة بيتها، أم عدمها، فإنّه كان يحترم مشاعرها، ويستجيب لطلباتها، إذا كانت مشروعة، ولا مخالفة فيها للشريعة.

وقد روىٰ في ذلك أبو خالد الكابليّ، فقال: لقيني يحيىٰ بن أمّ طويل، وهو ابن داية زين العابدين عليه السلام، فأخذني إلىٰ داره، فرأيته جالساً في بيت مفروش بالمعصفر، مكلّس الحيطان، وعليه ثياب مصبّغة، فلم أطل عنده الجلوس، فلمّا أن نهضت قال لي: عُدْ إليَّ في غد إن شاء الله تعالى.

---

(١) البحار: ج٤٦، ص١٠٥.

(٢) البحار: ج٤٦، ص١٠٥.

فخرجت من عنده، وقلت ليحيىٰ: أدخلتني علىٰ رجلٍ يلبس المصبّغات؟ وعزمت أن لا أرجع إليه.

ثمّ إنّي فكّرت أن رجوعي إليه غير ضائر، فصرت إليه في غد، فناداني من داخل الدار، فدخلت إليه، فوجدته جالساً في بيت من طين، على حصير من البردي، وعليه قميص كرابيس، فقال لي: «يا أبا خالد، إنّي قريب العهد بعروس، وإن الّذي رأيت بالأمس من رأي المرأة، ولم أرد مخالفتها..»[1].

* * *

وكان للإمام مولاة تكفّلت به وهو صغير، وكان النّاس يعتبرونها أمّه، فذات يوم واقع عليه السلام بعض نسائه ثمّ خرج يغتسل، فلقيته تلك المولاة فقال لها: «إن كان في نفسك في هذا الأمر شيء، فاتّقي الله وأعلميني. «أي لو كنت ترغبين في الزّواج، فاعلميني».

فقالت: نعم.

فاختار لها زوجاً، وزوّجها[2].

وهكذا راعىٰ مشاعرها كامرأة، ولم يهملها، لأنّها كبيرة العمر، بل بحث لها عن زوج يناسبها، وزوّجها منه.

ولقد تحمّل علىٰ عمله هذا عتاب عبد الملك بن مروان، لأنّ الإمام زوّجها بمولىٰ له، فكتب إليه يقول: «كأنّك لا تعرف موضعك من قومك، وقدرك عند النّاس، تزوجت مولاة، وزوّجت مولاك بأمّك؟».

فكتب إليه الإمام: «فهمت كتابك، ولنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد زوج

---

(١) دلائل الإمامة للطبري: ص٩١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢، ص١٢٨.

زينب بنت عمّه زيداً مولاه، وتزوّج مولاته صفيّة بنت حي بن أخطب»[1].

* * *

ومن أهمّ ما روي في مراعاة الإمام لحاجات المرأة، ما روي أنّه عندما كبر في العمر، كان يدعو إماءه كلّ شهر، ويقول لهنّ: «إنّي قد كبرت، ولا أقدر على النساء، فمن أراد منكنّ التّزويج زوّجتها، أو البيع بعتها، أو العتق أعتقتها».

فإذا قالت إحداهنَّ: لا.

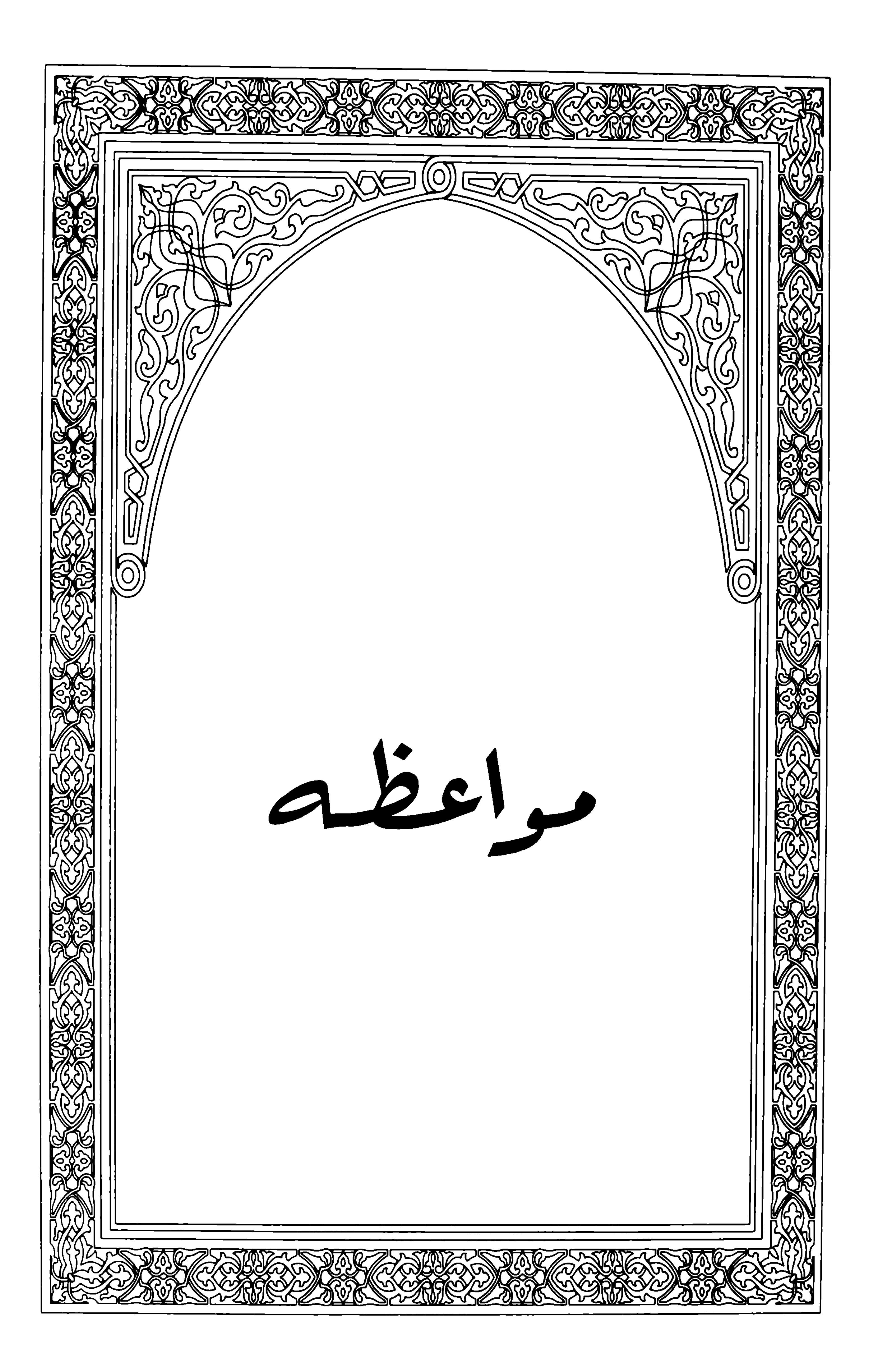
قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ اشهد..».

حتّى يقول ذلك ثلاثاً. وإن سكتت واحدة منهنّ قال لنسائه: «سلوها ما تريد»، وعمل على مرادها[2].

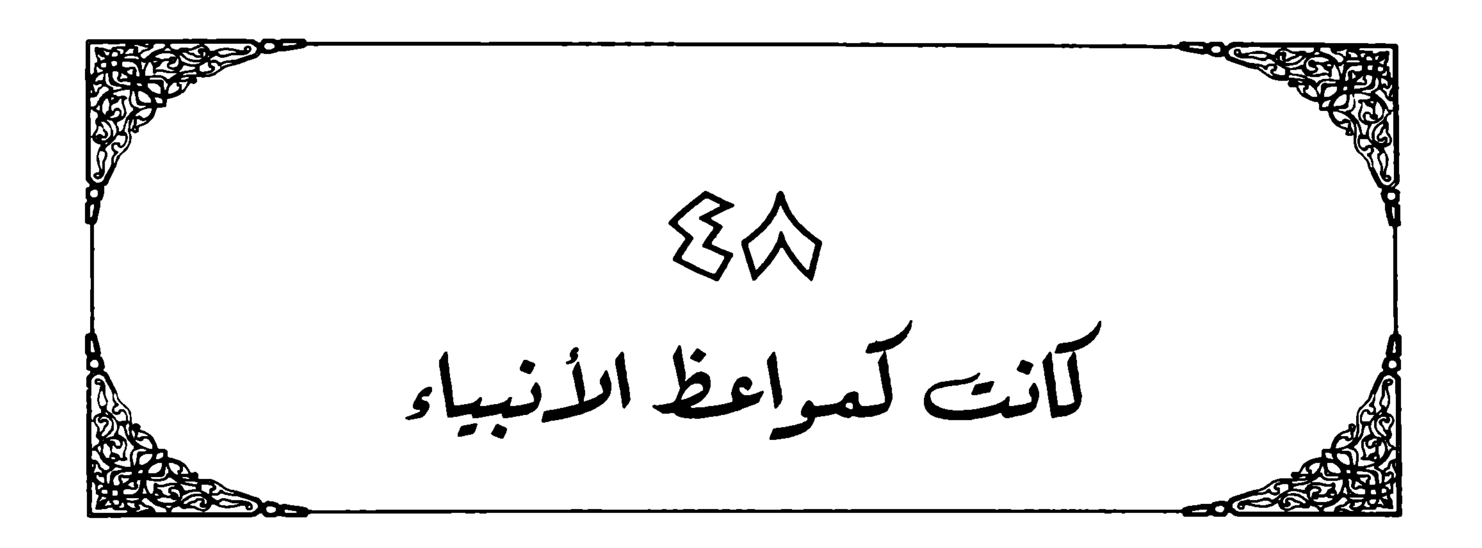
---

(١) البحار: ج٤٦، ص١٣٩.

(٢) البحار: ج٤٦ ص٩٣/ مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٣٠١.



مواعظه



٤٨
كانت كمواعظ الأنبياء

مواعظ الإمام السجاد كمواعظ الأنبياء والرسل، فيها التذكير بالآتي، والاعتبار من الماضي، والحث على الصالحات في العمر الباقي.

وفيما يلي بعض تلك المواعظ:

أ - موعظة شاملة:

«أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، فتجد ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

ويحك يابن آدم الغافل وليس مغفولاً عنه، إن أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك ويوشك أن يُدرِكك فكأن قد أوفيت أجلك، وقد قبض الملك روحك، وصيّرت إلى قبرك وحيداً، فردَّ إليك روحك واقتحم عليك ملكاك منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك.

ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أُرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه وعن عمرك فيما أفنيته، وعن مالك من أين

اكتسبته وفيما أنفقته، فخذ حذرك، وانظر لنفسك وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإن تك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله لقَّاك الله حجتك، وأنطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب وبُشّرت بالجنة والرضوان من الله، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودُحِضَتْ حجتك، وعييت عن الجواب، وبشرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يابن آدم، أن ما وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، يوم ينفخ في الصور ويبعثر فيه القبور، ذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، ذلك يوم لا تقال فيه عثرة ولا تؤخذ من أحد فديةٌ ولا تقبل من أحد معذرةٌ، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلاّ الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده.

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها، وحذركموها في الكتاب الصّادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتدميره[1] عندما يدعوكمَ الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[2]، وأشعروا قلوبكم خوف الله وتذكروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه كما قد خوفكم من شديد عقابه، فإنه من

(١) التدمير: الإهلاك.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

خاف شيئاً حذره ومن حذر شيئاً تركه، ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الحياة الدنيا الذين مكروا السيئات وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[1]، أو يأخذهم على تخوف، فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تَوعَّدَ به القوم الظالمين في كتابه، لقد وعظكم الله بغيركم وإن السعيد من وُعِظ بغيره، ولقد أسمعكم الله في كتابه ما فعل بالقوم الظالمين من أهل القُرى قبلكم حَيث قال: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يعني يهربون. قال: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ فلما أتاهم العذاب ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[2] فإن قلتم أيها الناس؛ إن الله إنما عنى بهذا أهل الشرك، فكيف ذاك وهو يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3].

اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين؛ وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً وإنما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الإسلام، فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الله تعالى لم يحب زهرة الدنيا لأحد من أوليائه؛ ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها فإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضربت لكم فيه الأمثال وصرفت الآيات لقوم يعقلون، فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون ولا قوّة إلا بالله. وازهدوا فيما زهدكم

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورةالأنبياء، الآيات: ١١ ـ ١٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

الله فيه من عاجل الحياة الدنيا فإن الله يقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ولا تركنوا إلى الدنيا فإن الله قال لمحمدﷺ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[2] ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار قلعة ومنزل بلغة ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة قبل تفرّق أيامها وقبل الإذن من الله في خرابها، فكأن قد أخربها الذي عمرها أول مرّة وابتدأها وهو ولي ميراثها، وأسأل الله لنا ولكم العون على تزود التقوى والزهد في الدنيا، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل هذه الحياة الدنيا، الراغبين في آجل ثواب الآخرة فإنما نحن له وبه، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[3].

ب ـ موعظة العبرة:

«كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين.

أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غداً.

واحذروا ما حذركم الله منها وازهدوا فيما زهدكم الله فيه منها، ولا

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٣) تحف العقول عن آل الرسولﷺ: ١٨٠.

تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدها داراً وقراراً، وبالله إن لكم مما فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها وتغيير انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل وتضع الشريف وتورد النار أقواماً غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

وإن الأُمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان لتثبط القلوب عن نيتها، وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفة أهل الحق إلاَّ قليلاً ممن عصم الله جل وعزّ فليس يعرف تصرف أيامها وتقلب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها إلاَّ من عصم الله ونَهَجَ سبيل الرشد وسلك طريق القصد. ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر واتعظ بالعبر وازدجر، فزهد في عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذاتها ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها وراقب الموت وشنأ الحياة مع القوم الظالمين، فعند ذلك نظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة النظر؛ وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة، فقد لعمري استدبرتم من الأُمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق. فاستعينوا بالله وارجعوا إلى طاعته وطاعة من هو أولى بالطاعة من طاعة من اتبع وأُطيع.

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة والقدوم على الله والوقوف بين يديه، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل بطاعته إلا إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه فحثه الخوف على العمل بطاعة الله وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه وقد قال

الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1].

فلا تلتمسوا شيئاً في هذه الدنيا بمعصية الله واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله واغتنموا أيامها واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فإن ذلك أقل للتبعة وأدنى من العذر وأرجى للنجاة.

فقدموا أمر الله وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأُمور كلها ولا تقدموا الأُمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت وفتنة زهرة الدنيا بين يدي أمر الله وطاعته وطاعة أولي الأمر منكم.

واعلموا أنكم عبيد الله ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً وهو موقفكم ومسائلكم، فأعدوا الجواب قبل الوقوف والمساءلة والعرض على رب العالمين، يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه.

واعلموا أن الله لا يُصَدِّقُ كاذباً ولا يُكَذِّبُ صادقاً ولا يرد عذر مستحق ولا يعذر غير معذور. بل لله الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل. فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولونه فيها، لعل نادماً قد ندم على ما قد فرط بالأمس في جنب الله وضيع من حق الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون؛ وإياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم.

واعلموا أنه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبد بأمره دون أمر الله في نار تلتهب، تأكل أبداناً غلبت عليها شقوتها فاعتبروا يا أُولي الأبصار واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٥.

قدرته وسيرى الله عملكم ثم إليه تحشرون، فانتفعوا بالعِظَةِ وتأدبوا بآداب الصالحين»[١].

جـ ـ موعظة الزهد:

«إن علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كل خليط وخليل؛ ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدونه، ألا وإن العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت أهبته[٢]، الحاث على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بد من لقائه، وتقديم الحذر قبل الحين[٣] فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٤]. فلينزلنَّ أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور[٥] إلى الدنيا، النادم على ما فرَّط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته.

واعلموا عباد الله أنه من خاف البيات[٦] تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد[٧] وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا؛ فكيف ويحك يابن آدم من خوف بيات سلطان ربِّ العزَّة وأخذه الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب مع طوارق المنايا بالليل والنهار فذلك البيات الذي ليس منه منجى، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب. فخافوا الله أيها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ١٨٢.
(٢) الإستعداد.
(٣) الأجل.
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٥) أي الراجع إلى الدنيا بعد رحيله عنها.
(٦) الحالة المفاجئة في جوف الليل.
(٧) النوم.

وَعِيدِ﴾[1] فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها وتذكروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإن زينتها فتنة وحبها خطيئة.

واعلم ويحك يابن آدم، أن قسوة البطنة، وفطرة الميلة وسكر الشبع، وعزّة الملك؛ مما يثبط ويبطىء عن العمل وينسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب، وأن العاقل عن الله، الخائف منه، العامل له ليمرّن نفسه ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إليه الشبع وكذلك تضمر الخيل لسباق الرهان[2].

فاتقوا الله، عباد الله إلى تقوى مؤمل ثوابه، وخاف عقابه فقد لله أنتم أعذر وأنذر وشوّق وخوّف، فلا أنتم إلى ما شوّقكم إليه من كريم ثوابه تشتاقون فتعملون، ولا أنتم مما خوّفكم به من شديد عقابه وأليم عذابه ترهبون فتنكلون، وقد نبأكم الله في كتابه أنه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾[3]، ثم ضرب لكم الأمثال في كتابه وصرّف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا، فاتقوا الله واتعظوا بمواعظ الله، وما أعلم إلاّ كثيراً منكم قد نهكته عواقب المعاصي فما حذرها وأضرّت بدينه فما مقتها. أما تسمعون النداء من الله بعيبها وتصغيرها حيث قال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

(٢) تضمر الخيل: ربطها وعلفها وإعدادها في الميدان وتهيئتها للسباق

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٤.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٥.

أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

فاتقوا الله عباد الله، وتفكروا واعملوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدًى. قد عرَّفكم نفسه وبعث إليكم رسوله وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحُججه وأمثاله فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[3]. فهذه حجة عليكم فاتقوا الله ما استطعتم فإنه لا قوّة إلاّ بالله ولا تكلان إلاّ عليه، وصلّى الله على محمد وآله»[4].

د ـ موعظة العمل الصالح:

قال أبو حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين يقول لأصحابه: «أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم لله تعالى»[5].

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.
(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.
(٣) سورة البلد، الآيات: ٨ ـ ١٠.
(٤) تحف العقول: ١٩٥.
(٥) أئمتنا ١/ ٢٨٢؛ عن زين العابدين للمقرم: ١٤١.

هـ ـ موعظة التواضع:

دخل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري على علي بن الحسين عليه السلام وهو كئيب حزين، فقال له الإمام: «ما لك مغموماً؟».

فقال: يابن رسول الله هموم وغموم تتوالى عليّ لما امتحنت به من جهة حساد نعمي، والطامعين فيَّ، وممن أرجوه، وممن أحسنت إليه فيخلف ظني.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «احفظ عليك لسانك تملك به اخوانك».

فقال الزهري: يابن رسول الله إنّي أحسن إليهم بما يبدر من كلامي.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، إياك أن تعجب من نفسك بذلك، وإياك أن تتكلم بما سبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل ما تسمعه شرّاً يمكنك أن توسعه عذراً».

ثم قال: «يا زهري من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه، يا زهري أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك. وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك فأيّ هؤلاء تحب أن تظلم، وأيّ هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأيّ هؤلاء تحب أن تهتِك ستره، وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك في أمره، فمالي أدع يقيني لشكي، وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويجلّونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم

جفاءً وانقباضاً فقل: هذا لذنب أحدثته، فإنك إن فعلت ذلك سهل الله عليك عيشك، وكثر أصدقاؤك، وقلّ أعداؤك، وفرحت بما يكون من برّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فايضاً، وكان عنهم مستغنياً متعففاً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان مستعففاً وإن كان إليهم محتاجاً، فإنما أهل الدنيا يتعقبون بالأموال، فمن لم يزدحمهم فما يتعقبونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعزّ وأكرم»[1].

و ـ موعظة الآخرة:

«أوصيكم اخواني بالدار الآخرة، ولا أوصيكم بدار الدنيا فإنكم عليها حريصون، وبها متمسكون، أما بلغكم ما قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين؟ فإنه قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وقال: أيكم يبني على موج البحر داراً! تلكم دار الدنيا فلا تتخذوها قراراً».

ز ـ موعظة ضد معاونة الظالمين:

أرسل الإمام زين العابدين رسالة إلى الزهري عندما تولى بعض أعمال بني أمية قال عليه السلام له فيها:

«كفانا الله وإياك من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه وفقّهك فيه من دينه، وعرّفك من سنّة نبيه محمد صلى الله عليه وآله، فرض لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي

(١) أئمتنا ١/ ٢٨٣؛ عن الاحتجاج ٢/ ٥٢.

كل حجة احتج بها عليك الفرض فما قضى إلاّ ابتلى شُكرك في ذلك وأبدى فيه فضله عليك فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها، وعن حُججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبنَّ الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير، هيهات هيهات ليس كذلك، أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[2].

واعلم أن أدنى ما كتمت وأخفَّ ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوّك منه حين دنوت وإجابتك له حين دُعيت، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك، ودنوت ممن لم يردّ على أحد حقاً ولم تردَّ باطلاً حين أدناك، وأحببت من حادَّ الله.

أوَليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسُلّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيِّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أخصُّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلاّ دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصّة والعامة إليهم. فما أقلَّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسَر ما عمروا لك، فكيف ما خرَّبوا عليك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً، فما أخوفني أن تكون

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

كما قال الله في كتابه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾[1]. إنك لست في دار مقام، أنت في دار قد آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه، طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده.

إحذر فقد نُبِّئت، وبادر فقد أُجلت، إنك تعامل من لا يجهل، وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد وداوِ ذنبك فقد دخله سُقم شديد.

ولا تحسب أني أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكني أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك ويَردَّ إليك ما عزب من دينك وذكرت قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب. انظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت، أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه، أم هل تراهم ذكرت خيراً علموه، وعلمت شيئاً جهلوه، بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامة وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك. إن أحللت أحلّوا وإن حرَّمت حرَّموا، وليس ذلك عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك، ذهاب علمائهم وغلبة الجهل عليك وعليهم، وحبُّ الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرَّة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة، قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

بحر لا يدرك عمقه، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك، وهو المستعان.

أما بعد، فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا، فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنّك ورسوخ علمك وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه، الجاهل في علمه المأفون في رأيه، المدخول في عقله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثّنا وما نرى فيك؛ ونحتسب عند الله مصيبتنا بك.

فانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بُعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً. ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول: «والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحييت به له ديناً أو أمتُّ له فيه باطلاً. فهذا شكرك من استحملك.

ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[١]، ما استحملك كتابه، واستودعك علمه فأضعتها، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسَّلام»[٢].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٢) تحف العقول: ١٩٨.

حـ ـ مواعظ شعرية:

روىٰ سفيان بن عيينة عن الزّهريّ قال: سمعت عليّ بن الحسين، سيّد العابدين عليه السلام يحاسب نفسه ويناجي ربّه قائلاً:

«يا نفس، حتّام إلىٰ الدنيا سكونك؟ وإلىٰ عمارتها ركونك؟ أما اعتبرت بمن مضىٰ من أسلافك؟ ومن وارته الأرض من آلافك؟ ومن فجعت به من إخوانك؟، ونقل إلىٰ الثرىٰ من أقرانك؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها	محاسنهم فيها بوال دواثرُ
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم	وساقتهم نحو المنايا المقادرُ
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها	وضمّتهم تحت التراب الحفائرُ

كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون؟ وكم غيّرت الأرض ببلائها، وغيّبت في ثراها ممّن عاشرت من أصناف، وشيعتهم إلى الأرماس، ثم رجعت عنهم إلىٰ عمل أهل الإفلاس؟.

وأنت علىٰ الدنيا مكبٌّ منافس	لخطّابها فيها حريص مكاثرُ
علىٰ خطر تمسي وتصبح لاهياً	أتدري بماذا لو عقلت تخاطرُ
وانّ امرءاً يسعىٰ لدنياه دائباً	ويذهل عن أخراه لا شكَّ خاسرُ

فحتّام علىٰ الدنيا أقبالك؟ وبشهواتها اشتغالك؟ وقد وخطك القتير، وأتاك النّذير، وأنت عمّا يراد بك ساه، وبلذّة يومك وغدك لاه، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات، وعاينت ما حلّ بهم من المصيبات:

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلىٰ	عن اللهو واللذات للمرء زاجرُ
فبعد اقتراب الأربعين تربص	وشيب وذا للصالحين نذائرُ
كأنّك معنيّ بما هو ضائر	لنفسك عمداً أو عن الرشد حائرُ

انظر إلىٰ الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف اختطفتهم عقبان الأيّام،

ووافاهم الحِمَام؟، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم، وأضحوا رمماً في التراب، إلىٰ يوم الحشر والمآب:

فأمسوا رميماً في التراب وعطّلت ... مجالسهم منهم وأخلت مقاصرُ
وحلّوا بدار لا تزاور بينهم ... وأنىٰ لسكان القبور التزاورُ
فما أن ترىٰ إلاّ قبوراً ثووا بها ... مسطّحة تسفي عليها الأعاصرُ

كم من ذي منعة وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال ما تمنّاه، وبنىٰ فيها القصور والدساكر، وجمع فيها الأموال والذخائر، وملك السراري والحرائر:

فما صرفت كفّ المنيّة إذ أتت ... مبادرة تهوي إليه الذّخائرُ
ولا دفعت عنه الحصون الّتي بنىٰ بها ... وحفّ بها أنهاره والدساكرُ
ولا قارعت عنه المنيّة حيلة ... ولا طمعت في الذبّ عنه العساكرُ

أتاه من الله ما لا يُردّ، ونزل به من قضائه ما لا يُصدّ، فتعالىٰ الله الملك الجبّار المتكبّر العزيز القهّار، قاصم الجبّارين، ومبيد المتكبّرين، الّذي ذلّ لعزّه كلّ سلطان، وأباد بقوّته كلّ ديان:

مليكٌ عزيزٌ لا يُردُّ قضاؤهُ ... حكيمٌ عليمٌ نافذ الأمر قاهرُ
عنىٰ كلّ ذي عزّ لعزّة وجهه ... فكم من عزيز للمهيمن صاغرُ
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت ... لعزّة ذي العرش الملوك الجبابرُ

فالبدار، البدار، والحذار، الحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتحلّت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها، وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتلها وهلكاتها:

وفي دون ما عاينتَ من فجعاتها ... إلىٰ دفعها داع وبالزهد آمرُ
فجدّ ولا تغفل وكن متيقّظاً ... فعمّا قليل يترك الدار عامرُ
فشمّر ولا تفتر فعمرك زائل ... وأنت إلىٰ دار الإقامة صائرُ

ولا تطلب الدنيا فإنّ نعيمها　　وإن نلت منها غبُّه لك ضائرُ

فهل يحرص عليها لبيب؟ أو يسرّ بها أريب؟ وهو علىٰ ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عينا من يخشىٰ البيات؟ وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات:

ألا، لا ولكنّا نعزّ نفوسنا　　وتشغلنا اللذات عمّا نحاذرُ
وكيف يلذ العيش من هو مُوقَف　　بموقف عدل يوم تبلىٰ السرائرُ
كأنّا نرىٰ أن لا نشور وأننا　　سدًى ما لنا بعد الممات مصادرُ

وما عسىٰ أن ينال صاحب الدنيا من لذّاتها؟ ويتمتّع به من بهجتها؟، مع صنوف عجائبها، وقوارع فجائعها، وكثرة عذابه في مصابها وطلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها:

أما قد نرىٰ في كلّ يوم وليلة　　يروح علينا صرفها ويباكرُ
تعاورنا آفاتها وهمومها　　وكم قد نرىٰ يبقىٰ لها المتعاورُ
فلا هو مغبوط بدنياه آمن　　ولا هو عن تطلابها النفس قاصرُ

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها؟ وصرعت من مكبّ عليها؟، فلم تنعشه من عثرته، ولم تنقذه من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه، ولم تخلّصه من وصمه.

بلىٰ أوردته بعد عزّ ومنعة　　موارد سوء ما لهنّ مصادرُ
فلمّا رأىٰ أنّ لا نجاة وأنّه　　هو الموت لا ينجيه منه التحاذرُ
تندم إذ لم تغن عنه ندامة　　عليه وأبكته الذنوب الكبائرُ

إذ بكىٰ علىٰ ما سلف من خطاياه، وتحسّر علىٰ ما خلف من دنياه، واستغفر حين لا ينفعه الاستغفار ولا ينجيه الاعتذار، عند هول المنيّة، ونزول البلية:

أحاطت به أحزانه وهمومه ... وأبلس لمّا أعجزته المقادرُ
فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له ممّا يحاذرُ ناصرُ
وقد جشأت خوف المنيّة نفسه ... تردّدها منه اللّها والحناجرُ

هنالك خفّ عوّاده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الأصوات بالعويل، وقد أيسوا من العليل، فغمّضوا بأيديهم عينيه، ومدّ عند خروج روحه رجليه، وتخلّىٰ عنه الصّديق، والصاحب والشفيق:

لكم موجع يبكي عليه مفجع ... ومستنجد صبراً وما هو صابرُ
ومسترجع داع له الله مخلصاً ... يعدّد منه كلّ ما هو ذاكرُ
وكم شامت مستبشر بوفاته ... وعما قليل للّذي صار صائرُ

فشقت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجّع لرزيّته إخوانه، ثمّ أقبلوا على جهازه، وشمّروا لإبرازه، كأنّه لم يكن بينهم العزيز المفدّىٰ، ولا الحبيب المبدى:

وحلّ أحبّ القوم كان بقربه ... يحثّ علىٰ تجهيزه ويبادرُ
وشمّر من قد أحضروه لغسله ... ووجّه لمّا فاض للقبر حافرُ
وكفّن في ثوبين واجتمعت له ... مشيعةٌ إخوانه والعشائرُ

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن علىٰ فؤاده، ويخشىٰ من الجزع عليه، وخضّبت الدموع عينيه، وهو يندب أباه، ويقول: وا ويلاه، وا حرباه:

لعاينت من قبح المنيّة منظراً ... يهال لمرآه ويرتاع ناظرُ
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم ... إذا ما تناساه البنون الأصاغرُ
وثمّة نسوان عليه جوازع ... مدامعهنّ فوق الخدود غوازرُ

ثمّ أخرج من سعة قصره، إلىٰ ضيق قبره، فلمّا استقرّ في اللحد وهيىء

عليه اللبن، احتوشته أعماله، وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعاً بما رآه، ثمّ حثوا بأيديهم عليه التراب، وأكثروا البكاء عليه والانتحاب، ثمّ وقفوا ساعة عليه، وآيسوا من النظر إليه، وتركوه رهناً بما كسب وطلب:

فولّوا عليه معولين وكلّهم — لمثل الّذي لاقىٰ أخوه محاذرُ
كشاء رتاع آمنين بدا لها — بمديته بادي الذراعين حاسرُ
فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت — فلمّا نأىٰ عنها الّذي هو جاذرُ

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها، أفبأفعال الأنعام أقتدينا؟ أم علىٰ عادتها جرينا؟ عد إلىٰ ذكر المنقول إلىٰ دار البلىٰ، واعتبر بموضعه تحت الثرىٰ، المدفوع إلىٰ هول ما ترىٰ:

ثوىٰ مفرداً في لحده وتوزّعت — مواريثه، أولاده والأصاهرُ
وأحنوا علىٰ أمواله يقسمونها — فلا حامد منهم عليها وشاكرُ
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها — ويا آمناً من أن تدور الدوائرُ

كيف أمنت هذه الحالة؛ وأنت صائر إليها لا محالة، أم كيف ضيعت حياتك؟ وهي مطيّتك إلىٰ مماتك، أم كيف تشبع من طعامك؟ وأنت منتظر حمامك، أم كيف تهنأ بالشهوات؟ وهي مطيّة الآفات:

ولم تتزوّد للرحيل وقد دنا — وأنت علىٰ حال وشيك مسافرُ
فيا لهف نفسي كم أسوّف توبتي — وعمري فانٍ والردىٰ لي ناظرُ
وكلّ الّذي أسلفت في الصحف مثبت — يجازي عليه عادل الحكم قاهرُ

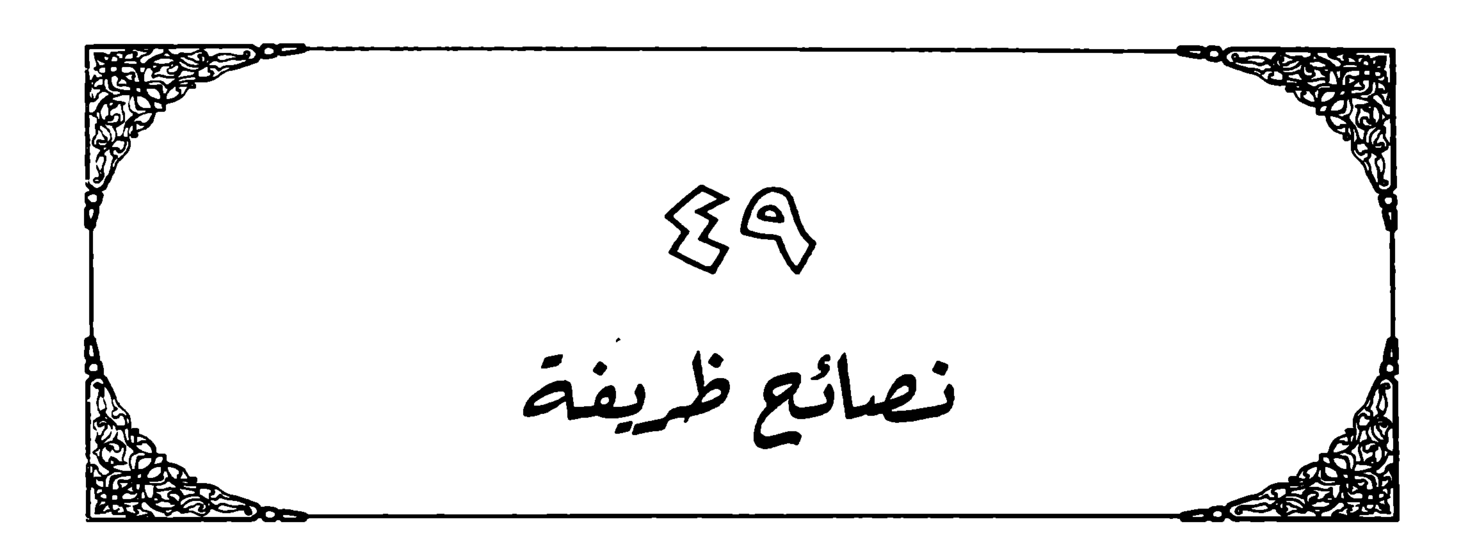
فكم ترقع آخرتك بدنياك؟ وتركب غيّك وهواك؟ أراك ضعيف اليقين، يا مؤثر الدنيا على الدّين، أبهذا أمرك الرّحمٰن؟ أم علىٰ هذا نزل القرآن؟ أما تذكر ما أمامك من شدّة الحساب، وشرّ المآب؟ أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمّر؟ أما صار جمعهم بوراً، ومساكنهم قبوراً؟

تخرّبُ ما يبقىٰ وتعمر فانياً — فلا ذاك موفور ولا ذاك عامرُ

وهل لك أن وافاك حتفك بغتة ولم تكتسب خيراً لدىٰ الله عاذرُ
أترضىٰ بان تفنىٰ الحياة وتنقضي ودينك منقوص، ومالك وافرُ

فبك إلٰهنا نتسجير، يا عليم يا خبير، مَن نؤمّل لفكاك رقابنا غيرك، ومَن نرجو لغفران ذنوبنا سواك، وأنت المتفضّل المنّان القائم الديّان، العائد علينا بالإحسان بعد الإساءة منّا والعصيان، يا ذا العزّة والسلطان، والقوّة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكّان دار النعيم، يا أرحم الراحمين[1].

(١) البداية والنهاية: ج٩، ص١٠٩. / البلد الأمين للكفعميّ ص٣٢٣.



كان لطيف المحيّا والمعشر، يعاشر النّاس بلطف وينصحهم بلطافة، رآه أحدهم في ليلة باردة، وهو يلبس جبّة خزّ، وعليه عمامة خزّ.. ورداء خزّ.

فقال له: جعلت فداك في مثل هذه السّاعة، على هذه الهيئة، إلى أين؟

فقال الإمام: «إلىٰ مسجد جدّي رسول الله ﷺ، أخطب الحور العين، إلى الله عزّ وجلّ»[1].

* * *

ورآه الزهري في ليلة ماطرة وعلى ظهره جراب دقيق، وهو يمشي فقال له: ما هذا؟

قال السّجّاد: «أريد سفراً، أعدُّ له زاداً أحمله إلىٰ موضع حريز».

فقال الزهريّ: فهذا غلامي يحمله عنك.. فأبىٰ الإمام.

فظنّ الزهريّ أنّ الإمام لا يريد أن يحمّل ذلك الغلام جرابه رحمة به.

(١) الكافي: ج٦، ص٥١٧.

فقال: دعني أحمله عنك، فإنّي أرفعك عن حمله..

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجّيني في سفري، ويحسن ورودي على ما أرد عليه، أسألك بحقّ الله، لما مضيت لحاجتك وتركتني».

فانصرف عنه الزّهريّ، فلمّا كان بعد أيّام. قال للإمام: يابن رسول الله، لست أرىٰ لذلك السفر الّذي ذكرته أثراً؟

فقال الإمام: «بلىٰ، يا زهريّ، ليس ما ظننت، ولكنّه سفر الموت، وله أستعدّ.. إنما الإستعداد للموت تجنّب الحرام، وبذل الندىٰ في الخير»[1].

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢٣١.

(٥٠)

شعر الحزن والموعظة

كان يبث معارفه ومواعظه وشجونه في مختلف الصور والقوالب، تارة في صورة الخطبة وأخرىٰ في صورة الدعاء، وثالثة في صورة الشعر . .

وقد أثبت المؤرّخون الكثير من شعره في كتبهم. ومن ذلك ما يلي:

قال عليه السلام في بيان مقام أهل البيت عليهم السلام :

لـنـحـن عـلـىٰ الـحـوض روّاده ... نـذودُ ونـسـقـي وُرّادهُ

ومـا فـاز مـن فـاز إلاّ بـنـا ... ومـا خـابَ مَـن حُـبُّـنَـا زادهُ

ومـن سَـرَّنـا نـال مـنّـا الـسّـرور ... ومـن سـاءنـا سـاءَ مـيـلادهُ

ومـن كـانَ غـاصـبـنـا حـقّـنـا ... فـيـومُ الـقـيـامـةِ مـيـعـادهُ[1]

❊ ❊ ❊

ومع هذا المقام الرّبّاني الّذي لأهل البيت عليهم السلام إلاّ أنّهم تعرّضوا للظلم والعدوان، وصودرت حقوقهم، وحُمل النّاس على أكتافهم، ومنعوهم فيأهم . .

(١) البحار ج٤٦، ص٩١.

يقول عليه السلام:

نحن بنو المصطفىٰ ذوو غصص — يجرعها في الأنام كاظمُنا
عظيمة في الأنام محنتنا — أوّلنا مبتلىٰ وآخِرُنا
يفرح هذا الورىٰ بعيدهم — ونحن أعيادنا مآتمُنا
والنّاس في الأمن والسرور وما — يأمن طول الزّمان خائفُنا
وما خصصنا به من الشرف — الطائل بين الأنام آفتُنا
يحكم فينا والحكم فيه لنا — جاحدُنا حقّنا وغاصبُنا[1]

❊ ❊ ❊

وقال عليه السلام وهو يبيّن أنّ المتّقين لا يبالون بما يلاقونه في هذه الحياة، ما دام أنّ في ذلك رضا الله تعالىٰ:

من عرف الرَّبَّ فلم تغنه — معرفة الرّبّ فذاك الشّقي
ما ضرَّ في الطاعة من ناله — في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقي — والعزُّ كلُّ العزِّ للمتّقي[2]

❊ ❊ ❊

ومع كلّ ما لاقاه أهل البيت عليهم السلام إلاّ أنّهم حافظوا على التزاماتهم الأخلاقية وعلىٰ حسن تعاملهم مع النّاس، وكتموا حزنهم في قلوبهم، وأظهروا البُشر في وجوهم، كما ذكر الحديث الشريف: «المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه».

يقول الإمام:

لباسي للدنيا التجلد والصبرُ — ولبسي للأخرىٰ البشاشة والبشرُ

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٣، ص٢٩٤.

(٢) الاحتجاج: ص١٧٢.

إذا اعترتني أمر لجأت إلىٰ العلي ... لأنّي من القوم الّذين لهم فخرُ
ألم تر أن العُرف قد مات أهله ... وأنّ الندىٰ والجود ضمّهما القبرُ
علىٰ العرف والجود السلام فما بقي ... من العرف إلاّ الرسم في النّاس والذكرُ
وقائلة لما رأتني مسهّداً ... كان الحشا منّي يلذعها الجمرُ
أباطنُ داءٌ لو حوىٰ منك ظاهراً ... وقلت الّذي بي ضاق عن وسعه الصدرُ
تغيّرُ أحوالٍ وفقد أحبةٍ ... وموت ذوي الإفضال، قالت: كذا الدهرُ[1]

وقال عليه السلام:

عتبتُ على الدّنيا بتقديم جاهل ... وتأخير ذي فضل فأبدت لي العذرا
بنو الجهل أبنائي لذاك تقدموا ... بنو الفضل أبناءُ لضرتي الأخرىٰ
أأترك أبنائي يموتون عُطشاً ... ويرضع ثديي ابن جارية أخرى[2].

* * *

كان الإمام أحياناً يقول: «أين السلف الماضون؟»

«أين الأهل والأقربون، والأنبياء والمرسلون؟

طحنتهم والله المنون، وتوالت عليهم السنون، وفقدتهم العيون، وإنّا إليهم لصائرون، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون».

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا ... فإنّا علىٰ آثارهم نتلاحقُ
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضىٰ ... ولو عصمتك الراسيات الشواهقُ
فما هذه دار المقامة فاعلمنْ ... ولو عمّر الإنسان ما ذرّ شارقُ.

* * *

وكان عليه السلام يناجي ربه قائلاً:

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٩٧.

(٢) الإمام زين العابدين، للدخيّل ص٧٢.

ألا أيّها المأمول في كل حاجتي　　شكوتُ إليك الضر فاسمع شكايتي

ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي　　فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

فزادي قليل ما أراه مبلّغاً　　أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي؟

أتيت بأعمالٍ قباح رديئةٍ　　فما في الورى خلق جنى كجنايتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى　　فأين رجائي منك، أين مخافتي؟[1].

* * *

وكما كان الإمام عليه السلام ينشد الشعر، ويقرأه، فإنّه كان يكرّم الشعراء إذا انشدوا الشعر النافع، والنظم الحكيم، فقد روي أنّ هشام بن عبد الملك سجن الشاعر الفرزدق، بعد أن نظم قصيدته الشهيرة: هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته» ومحىٰ إسمه من الديوان، فأرسل إليه الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام بأموال، فردّها الفرزدق وقال: أنا ما قلت ذلك إلاّ ديانةً وغضباً لله ولرسوله.. فردّها الإمام إليه، وقال: «قد شكر الله لك ذلك».

فلما طال الحبس عليه، وهدّده هشام بالقتل، شكا أمره إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، فدعا له فخلّصه الله فجاء إليه، وقال: يابن رسول الله، إنّه محىٰ اسمي من الديوان».

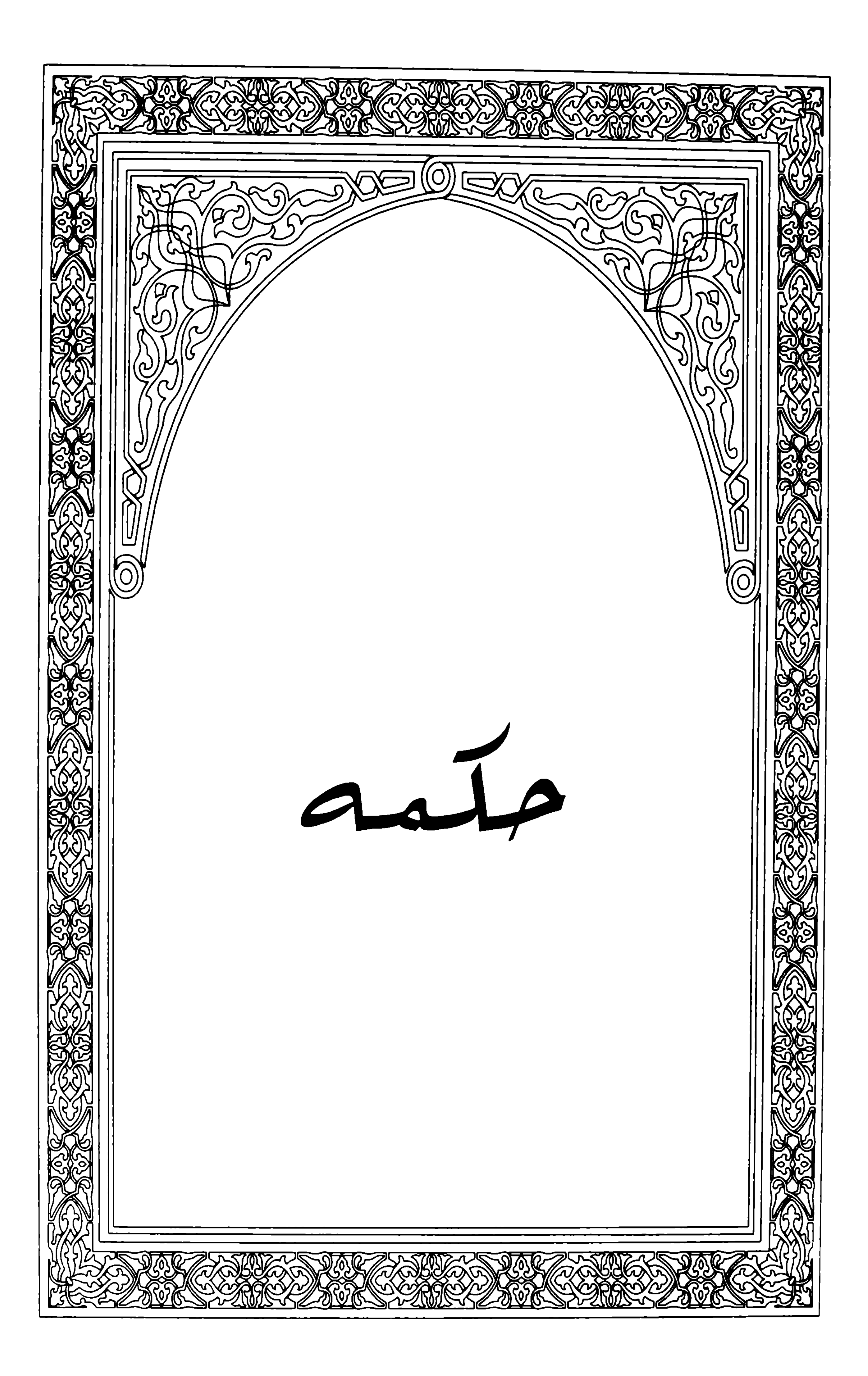
فقال الإمام: كم كان عطاؤك؟

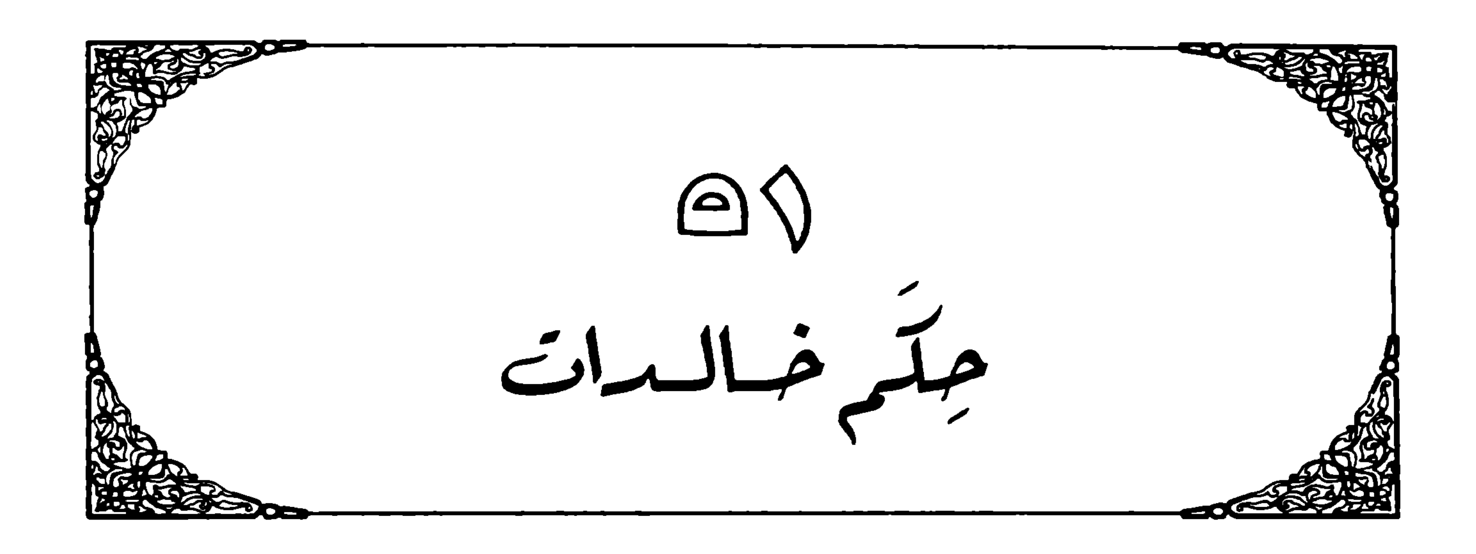
قال كذا.. فأعطاه عليّ بن الحسين عليه السلام لأربعين سنة، وقال: لو علمت أنّك تحتاج إلى أكثر من هذا لأعطيتك[2].

---

(١) المصدر السابق: ص٨٤.

(٢) الخرائج والجرائح: ص١٩٥.


حكمه



تتقاطر الحكمة من ألسنة أولياء الله، كما تتقاطر حبّات المطر من السحب الخيّرة.

فكلّ جملةٍ يتفوّهون بها تحمل الموعظة للناس.

وكلّ كلمة تحمل عبرةً أو حكمةً.

والسّجّادعليه السلام، وهو من أهل بيتٍ رُقُوا العلم زقّاً، ترك للبشريّة الكثير من الحكم والمعارف، كما ترك الكثير من الأذكار والأدعية.

وفيما يلي خمس وأربعون حكمة من ألوف الحكم الّتي تركها الإمام للسالكين في دروب الصلاح، والباحثين عن الخير والاصلاح، وكلّ واحدة منها يمكن أن تحيي أمّة، أو تقيم حضارة.

قال:

١ ـ لو يعلم النّاس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المُهج، وخوض اللُجج[١].

(١) الكافي، ج١، ص٤٣.

٢ ـ من كرُمت عليه نفسه، هانت عليه الدنيا[١].

قال الباقر عليه السلام: قال لي أبي:

٣ ـ يا بنيّ لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق. فقلت: جعلت فداك يا أبه من هم؟

قال عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الكذّاب فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب. وإيّاك ومصاحبة الفاسق فإنّه بايعك بأكلةٍ أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق فإن يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع[٢].

٤ ـ من قنع بما قسم الله له، فهو أغنىٰ النّاس[٣].

قيل له عليه السلام: من أعظم النّاس خطراً؟

٥ ـ فقال: من لم ير الدنيا خطراً لنفسه[٤].

٦ ـ اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ علىٰ الكبير[٥].

٧ ـ من كتم علماً أو أخذ عليه صَفَداً، فلا نفعه أبداً[٦].

---

(١) تحف العقول: ص٣١٨.

(٢) تحف العقول: ص٣١٩.

(٣) المصدر السابق: ص٣١٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٣٣.

(٥) ابن أبي الحديد: ج٦، ص٢٣٣.

(٦) حلية الأولياء، للاصفهاني، ص١٤٠.

٨ ـ إنّ الجسد إذا لم يمرض اَشِرَ، ولا خير في جسد يأشر[١].

٩ ـ فقد الأحبة غربة[٢].

١٠ ـ إيّاك والغيبة، فإنّها إدام كلاب النّار[٣].

١١ ـ افعل الخير إلىٰ كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلىٰ يسارك واعتذر إليك، فاقبل عذره[٤].

١٢ ـ مجالس الصالحين داعية إلىٰ الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة وُلاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروءة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذىٰ من كمال العقل، وفيه راحة للبدن، عاجلاً وآجلاً[٥].

١٣ ـ هلك من ليس له حكيم يرشده، وذلّ من ليس له سفيه يعضده[٦].

١٤ ـ طلب الحوائج إلىٰ النّاس مذلّة للحياة، ومذهبة للحياء، واستخفاف للوقار، وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنىٰ الحاضر[٧].

١٥ ـ إنّ من اخلاق المؤمن الإنفاق علىٰ قدر الاقتار، والتوسع علىٰ قدر

(١) كشف الغمّة: ص٢٩٩.

(٢) حلية الأولياء: ص١٣٤.

(٣) كشف الغمّة: ص٣٠٦.

(٤) تحف العقول: ص٣٢٤.

(٥) المصدر السابق: ص٣٢٤.

(٦) المصدر السابق: ص٣١٣.

(٧) المصدر السابق: ص٣١٩.

التوسّع، وانصاف النّاس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسّلام[1].

١٦ ـ ثلاث منجيّات للمؤمن: كفّ لسانه عن النّاس، واغتيابهم، واشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته، وطول البكاء علىٰ خطيئته[2].

١٧ ـ من ضحك ضحكة، مجّ من عقله مجّة[3].

١٨ ـ نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن، للمودّة والمحبّة له، عبادة[4].

١٩ ـ عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرّته، ولا يحتمي من الذنب لمعرّته[5].

٢٠ ـ إيّاك والابتهاج من الذنب، فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه[6].

٢١ ـ إنّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلّة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه[7].

٢٢ ـ لا يقلّ عمل مع تقوىٰ، وكيف يقلّ ما يُتقبّل[8].

٢٣ ـ قال بحضرته رجل: اللّهمَّ أغنني عن خلقك،

فقال عليه السلام: ليس هكذا إنّما النّاس بالنّاس، بل قل: اللّهمّ إغنني عن شرار خلقك[9].

---

(١) تحف العقول: ص٣١٩.
(٢) حلية الأولياء: ص٢٩٧.
(٣) تحف العقول: ص٣٢٣.
(٤) الفصول المهمة: ص٣٠٦.
(٥) تحف العقول: ص٣٠٤.
(٦) المصدر السابق: ص٣١٨.
(٧) المصدر السابق: ص٣٢٠.
(٨) المصدر السابق: ص٣١٨.
(٩) العقد الفريد: ص٣٠٤.

٢٤ ـ بئس القوم، قوم ختلوا الدنيا بالدِّين، وبئس القوم قوم عملوا بأعمال يطلبون بها الدنيا[١].

٢٥ ـ يحصل المؤمن من دعائه علىٰ ثلاث: إمّا أن يدّخر له، وإمّا أن يعجّل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه[٢].

٢٦ ـ أربع من كنّ فيه كمل إسلامه، ومحّصت عنه ذنوبه، ولقي ربّه وهو عنه راضٍ: من وفىٰ لله عزّ وجلّ بما يجعل علىٰ نفسه للناس، وصَدَقَ لسانُه مع النّاس. واستحيىٰ من كلّ قبيح عند الله وعند النّاس، وحسن خلقه مع أهله[٣].

٢٧ ـ جاء رجل إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، فسأله عن مسائل فأجاب، ثمّ عاد ليسأل عن مثلها، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: مكتوب في الإنجيل: «لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به، لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً، ولم يزدد من الله إلاّ بُعداً»[٤].

٢٨ ـ إنّ الله ليبغض البخيل السائل الملحف[٥].

٢٩ ـ قال له رجل: إنّي لأحبّك في الله حبّاً شديداً، فنكس عليه السلام رأسه ثمّ قال: اللّٰهُمَّ إنّي أعوذ بك أن أُحبَّ فيك وأنت لي مبغض. ثمّ قال له: أحبّك للذي تحبّني فيه[٦].

---

(١) العقد الفريد: ص٣٠٤.

(٢) تحف العقول: ص٣٢٠.

(٣) الخصال: للصدوق: ج١، ص٢٤٦ (باب الأربعة).

(٤) الكافي، الأصول، ج١، ص٥٦.

(٥) تحف العقول: ص٣٢٢.

(٦) المصدر السابق: ص٣٢٣.

٣٠ ـ ما من شيء أحبّ إلىٰ الله بعد معرفته من عفّة بطنٍ وفرج، وما شيء أحبّ إلي الله من أن يُسأل[١].

٣١ ـ عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت سيّد العابدين عليّ بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام يقول لشيعته: عليكم بأداء الأمانة، فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو أن قاتل أبي الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام إئتمنني علىٰ السيف الّذي قتله به، لأدّيته إليه[٢].

٣٢ ـ اللجاجة مقرونة بالجهالة[٣].

٣٣ ـ اللئيم يأكل ماله الأعداء، والّذي خبث لا يخرج إلاّ نكداً[٤].

٣٤ ـ اصبر على النوائب، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلىٰ الأمر الّذي مضرّته عليك، أكثر من منفعته له[٥].

٣٥ ـ يكتفي اللبيب بوحي الحديث، وينسىٰ البيانُ عن قلب الجاهل[٦].

٣٦ ـ كثرة النصح تدعو إلىٰ التهمة[٧].

٣٧ ـ لكلّ شيء فاكهة، وفاكهة السمع الكلامُ الحسن[٨].

٣٨ ـ من رمىٰ النّاس بما هم فيه، رموه بما ليس فيه[٩].

---

(١) تحف العقول: ص٣٢٤.
(٢) الأمالي للصدوق: ص٢٤٦.
(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص٩١.
(٤) المصدر السابق: ص٩٢
(٥) حلية الأولياء: ص١٣٨.
(٦) نزهة الناظر: ص٩٣.
(٧) المصدر السابق: ص٩٣.
(٨) المصدر السابق: ص٩١.
(٩) المصدر السابق: ص٩١.

٣٩ ـ الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه[١].

٤٠ ـ الشرف في التواضع، والعزّ في التقوىٰ، والغنىٰ في القناعة[٢].

٤١ ـ الذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة[٣].

٤٢ ـ الذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

٤٣ ـ هلك من ليس له حكيم يرشده، وذلّ من ليس له سفيه يعضده[٥].

٤٤ ـ إياك ومعاداة الرجال، فإنه لن يعدمك مكر حليم، أو مفاجأة لئيم[٦].

٤٥ ـ إن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله[٧].

---

(١) تحف العقول: ص٣١٨.

(٢) نزهة الناظر: ص٩٤.

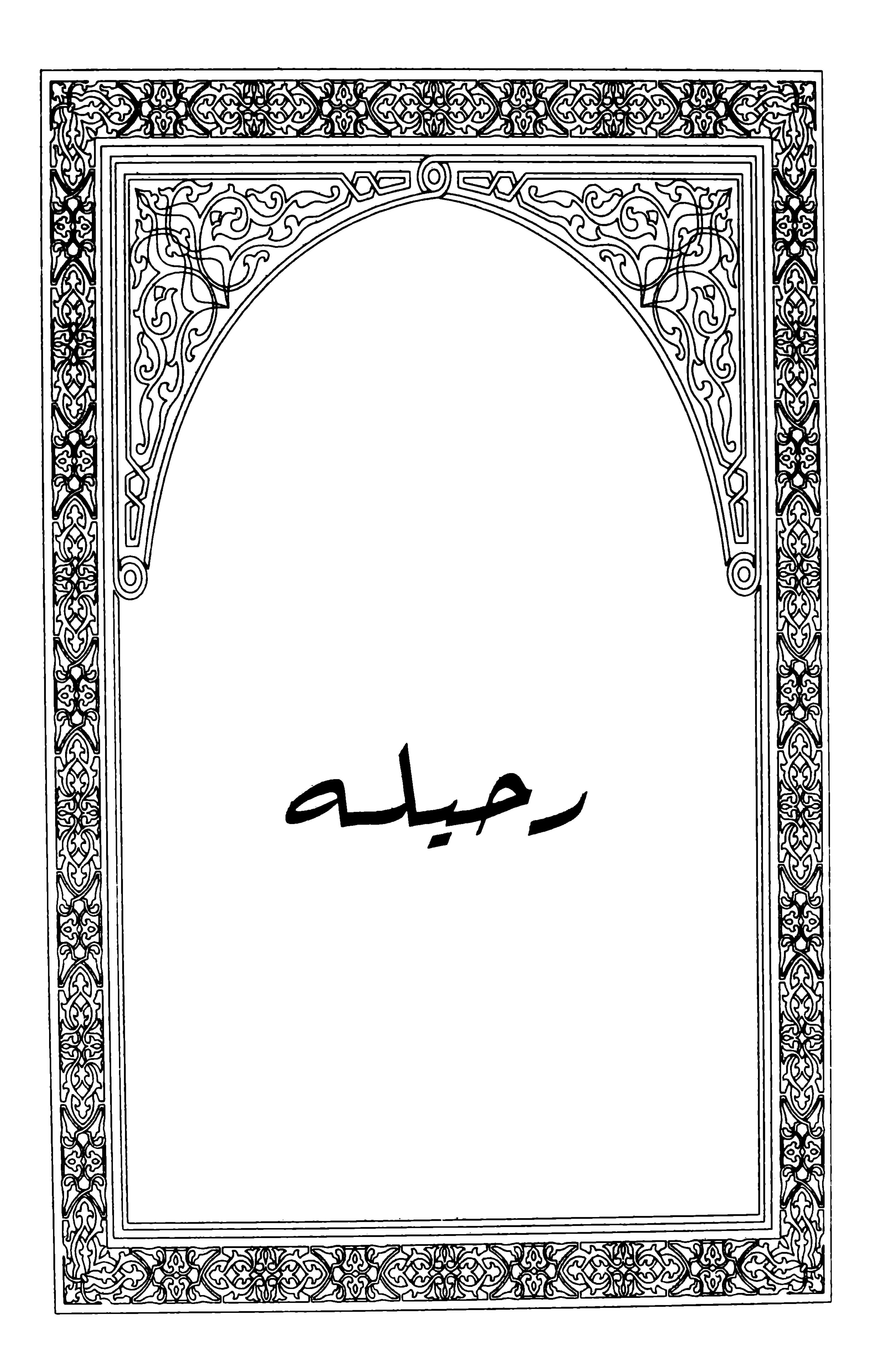
(٣) نور الثقلين: ج٥، ص٥٩٧.

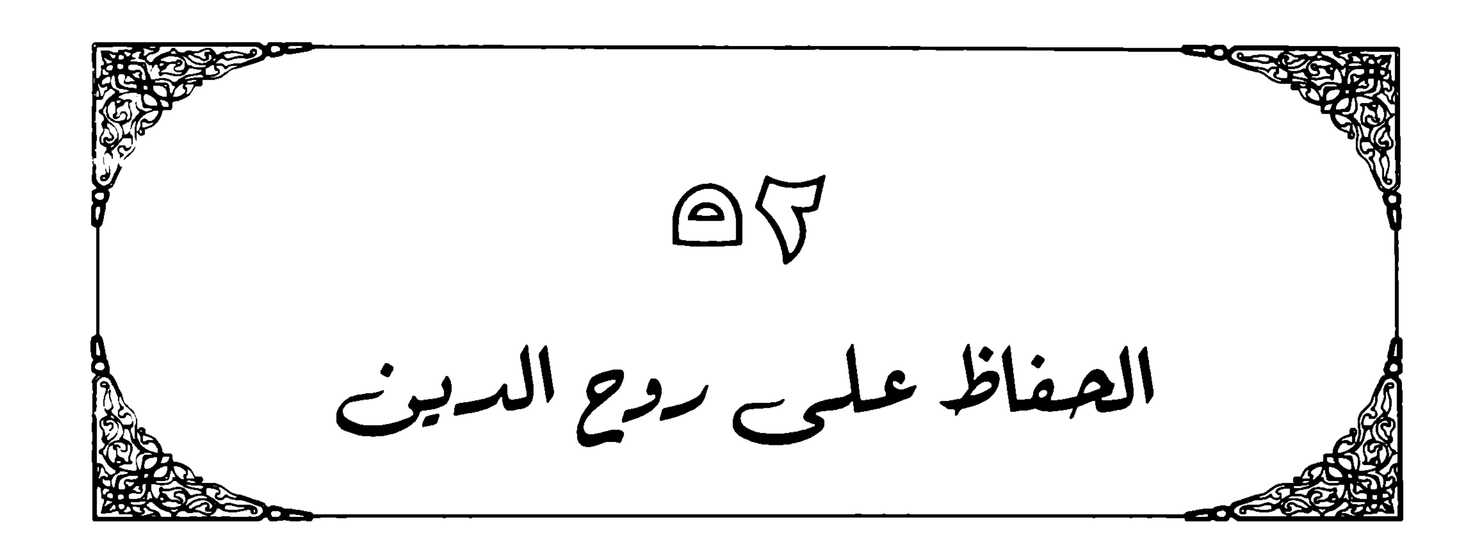
(٤) معاني الأخبار: ص٢٧٠.

(٥) البحار: ج٧٨، ص١٥٩.

(٦) نزهة الناظر: ص٣٢.

(٧) البحار: ج٧٨، ص١٣٦.


رحيله



٥٢
الحفاظ على روح الدين

في عصر الإمام زين العابدين تعرضت كل مفردات الشريعة الإسلامية للتحريف والاستغلال.

فلقد صمم بنو أمية على إفراغ الإسلام من محتواه، مستغلين شعائره وعباداته لأغراض معاكسة لما أراده الله ورسوله. فقد استعملوا عبادات الإسلام ضد أهدافها، وأفرغوا شعائره من محتواها..

فأصبحت الصلاة مثلاً، وهي التي جوهرها التسليم لله والخشوع له، أصبحت مظهراً من مظاهر الأبّهة والجلال للخليفة.

وأصبح الجهاد، وهو الذي سنّه البارئ لمواجهة الكفر والطغيان مبرراً لشن العدوان على أبناء رسول الله، وخير الخلق من بعده.

وأصبح الحج وهو من أعظم شعائر الله، تظاهرة لمصلحة السلطة، فقد تمّ تدجينه لتأييد السلطان وتثبيت حكمه وهكذا أصبحت الصلاة ضد الصلاة..

والجهاد ضد الجهاد.

والحج ضد الحج.

ولقد انبرى أئمة أهل البيت عليهم السلام لهذه الظاهرة بكل ما آتاهم الله من التقوى والحكمة، ومنعوا تحوّل الإسلام إلى مجرد طقوس بلا محتوى، وشكليات بلا روح.

وهذا ما نجده تماماً عند الإمام زين العابدين، وهو يشرح لأحد وعاظ السلاطين أهداف الحج، وذلك عندما لاقاه، بعد عودته من الديار المقدسة، فسأله عن محتوى ما فعل، فكان جوابه فراغاً في فراغ.

وفيما يلي نص الحديث: روي أنه لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له: «حججت يا شبلي؟»..

قال: نعم يابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟»..

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فحين نزلت الميقات نويت أنك نزعت ثوب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟»..

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين تجردت عن مخيط ثيابك، نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟»..

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟»..

قال: لا.

قال عليه السلام: فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت».

ثم قال: «تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟»..

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عز وجل؟».

قال: لا.

قال: «فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟».

قال: لا.

قال له عليه السلام: «ما تنظفت، ولا أحرمت، ولا عقدت الحج».

ثم قال له عليه السلام: «أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبيت؟»..

قال: نعم.

قال: «فحين دخلت الميقات نويت أنك بنية الزيارة؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين صليت الركعتين، نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين لبيت، نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟».

قال: لا.

قال له عليه السلام: «ما دخلت الميقات، ولا صليت، ولا لبيت».

ثم قال له: «أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟».

قال نعم.

قال عليه السلام: «فحين دخلت الحرم، نويت أنك حرّمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟»..

قال: لا.

قال عليه السلام: «فحين وصلت مكة، نويت بقلبك أنك قصدت الله؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فما دخلت الحرم، ولا رأيت الكعبة، ولا صليت».

ثم قال عليه السلام: «طفت بالبيت، ومسست الأركان، وسعيت؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله، وعرف منك ذلك علام الغيوب؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فما طفت بالبيت، ولا مسست الأركان، ولا سعيت».

ثم قال عليه السلام له: «صافحت الحجر، ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام، وصليت به ركعتين؟».

قال: نعم.

فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا، ثم قال: «آه آه..»، ثم قال عليه السلام: «من صافح الحجر الأسود، فقد صافح الله تعالى، فانظر يا مسكين لا تضيع أجر ما عظم حرمته، وتنقض المصافحة بالمخالفة، وقبض الحرام نظير أهل الآثام».

ثم قال عليه السلام: «نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام أنك وقفت على كل طاعة، وتخلفت عن كل معصية؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: فحين صليت به ركعتين، نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام، وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟».

قال: لا.

قال عليه السلام له: «فما صافحت الحجر الأسود، ولا وقفت عند المقام، ولا صليت فيه الركعتين».

ثم قال عليه السلام له: «أشرفت على بئر زمزم، وشربت من مائها؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «نويت أنك أشرفت على الطاعة، وغضضت طرفك عن المعصية؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فلا أشرفت عليها، ولا شربت من مائها».

ثم قال له عليه السلام: «أسعيت بين الصفا والمروة، وترددت بينهما؟».

قال: نعم.

قال له: «نويت أنك بين الرجاء والخوف؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فما سعيت، ولا مشيت، ولا ترددت بين الصفا والمروة».

ثم قال عليه السلام: «آخرجت إلى منى؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «نويت أنك آمنت الناس من قلبك ولسانك ويدك؟».

قال: لا.

قال: «فما خرجت إلى منى».

ثم قال عليه السلام له: «أوقفت الوقفة بعرفة، وطلعت جبل الرحمة، وعرفت وادي نمرة، ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟».

قال: نعم.

قال: «هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم، وعرفت قبض الله على صحيفتك واطلاعه على سريرتك وقلبك؟».

قال: لا.

قال: «نويت بطلوعك جبل الرحمة، أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة، ويتولى كل مسلم ومسلمة؟».

قال: لا.

قال: «فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر، ولا تزجر حتى تنزجر؟».

قال: لا.

قال: «عندما وقفت عند العلم والنمرات، نويت أنها شاهدة لك على الطاعات، حافظة لك من الحفظة بأمر رب السماوات؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فما وقفت بعرفة، ولا طلعت جبل الرحمة، ولا عرفت نمرة، ولا دعوت، ولا وقفت عند النمرات».

ثم قال عليه السلام: «مررت بين العلمين، وصليت عند مرورك ركعتين، ومشيت بمزدلفة، ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يميناً وشمالا، نويت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً لا بقلبك، ولا بلسانك، ولا بجوارحك؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى، نويت أنك رفعت عن نفسك كل معصية وجهل، وثبت كل علم وعمل؟».

قال: لا.

قال: «فعندما مررت بالمشعر الحرام، نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فما مررت بالعلمين، ولا صليت ركعتين، ولا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت منها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام».

ثم قال له: «وصلت منى ورميت الجمرة، وحلقت رأسك، وذبحت هديك، وصليت في مسجد الخيف، ورجعت إلى مكة، وطفت طواف الإفاضة؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فنويت عندما وصلت منى، ورميت الجمار، أنك بلغت إلى مطلبك، وقد قضى لك ربك كل حاجتك؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: فعندما رميت الجمار، نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبته بتمام حجك النفيس؟».

قال: لا.

قال: «فعندما حلقت رأسك، نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فعندما ذبحت هديك، نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وأنك اتبعت سنة إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه، وحاجّه (أحييت) سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة، نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه، وتقربت إلى الله تعالى؟».

قال: لا.

قال له زين العابدين عليه السلام: «فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك، ولا أديت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، ارجع فإنك لم تحج».

فطفق الشبلي يبكي على ما فرط في حجه، وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين.



٥٣
عبرة الرحيل

في موت الأولياء من العبر، بمقدار ما هي في حياتهم منها، لأنّ نهايات الأولياء هي بداية فلاح دائم في عالم لا يزول.

وإذا كان عالم الآخرة غيباً لا يرشح منه شيء، إلاّ إن لحظات الانتقال من هذا العالم إلىٰ هناك قد تحفل بنا بحركة، أو كلمة منهم، تكشف عمّا يرونه ويجدونه..

ففي ساعة الوفاة تبدأ رحلة الصالحين إلىٰ رحمة الله، كما فيها تبدأ رحلة الظالمين إلى عذابه..

فهي ساعة الخير الأبديّ للصالحين، وساعة الفرحة لهم.. وساعة الشر الأبديّ للظالمين، وساعة الندم بالنسبة إليهم.

من هنا فإنّ أولياء الله يشتاقون إلىٰ لقاء الله، ويأنسون بالموت، أكثر ممّا يأنس الطفل إلىٰ ثدي أمّه.

أمّا أعداؤهم فانّهم يهربون، ليس فقط من الموت، وإنّما من ذكره أيضاً.

ولقد ذكر المؤرّخون: إنّ الإمام السّجاد طلب في ليلة الخامس والعشرين

من شهر محرّم ولده محمّد الباقر عليه السلام وقال له: «يا بنيّ، أبغني وضوءاً».

فجاء إليه بالماء فتوضّأ، ثمّ قال له: «يا بني، هذه هي الليلة، الّتي وعدت أن أقبض فيها»[1].

ثمّ أنّه أُغمي عليه، ثمّ فتح عينيه وقرأ سورتي «الواقعة» و«إنّا فتحنا لك» وقال: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض، نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين».

ثمّ قبض من ساعته[2].

مات، السّجّاد عليه السلام عن عمر يناهز السابعة والخمسين[3]، وهو عمر أبيه الحسين بن عليّ عليه السلام حينما قتل في كربلاء.

مات بعد أن أمضىٰ عامين في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام، وعشر سنين في كنف عمّه الإمام الحسن عليه السلام، وعشراً مع أبيه، وخمسة وثلاثين عاماً بعده[4]..

ولقد نال شرف الشهادة في سبيل الله، حيث دسّ إليه الوليد بن عبد الملك السُّمّ[5]، والتحق بأجداده الشهداء من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولمّا مات شهد جنازته البرّ والفاجر، وأثنىٰ عليه الصالح والطالح، وانهال أهل المدينة لتشييعه حتّىٰ وضع جثمانه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص٧.
(٢) الكافي: ج١، ص٤٦.
(٣) كشف الغمّة: ج٢، ص٢٧٥.
(٤) البحار: ج٤٦، ص٣٥٦.
(٥) الفصول المهمّة: ص١٩٤/ الإقبال ص٣٤٥/ تذكرة الخواصّ: ص١٨٧.

يقول سِعيد بن مسيب: «شهدتُ جنازة عليّ بن الحسين عليه السلام عندما وضعت في مسجد رسول الله، وخرج النّاس فسمعت تكبيراً من السماء، فأجابه تكبير من الأرض، وأجابه تكبير من السماء فأجابه تكبير من الأرض، ففزعت وسقطت علىٰ وجهي. فكبّر مَن في السماء سبعاً ومن في الأرض سبعاً، وصلّىٰ علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام»[1].

ودُفن في البقيع إلىٰ جنب عمّه الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام. ومع إبنه محمّد الباقر عليه السلام، وحفيده جعفر الصادق عليه السلام الّذين دفنوا فيما بعد هناك.

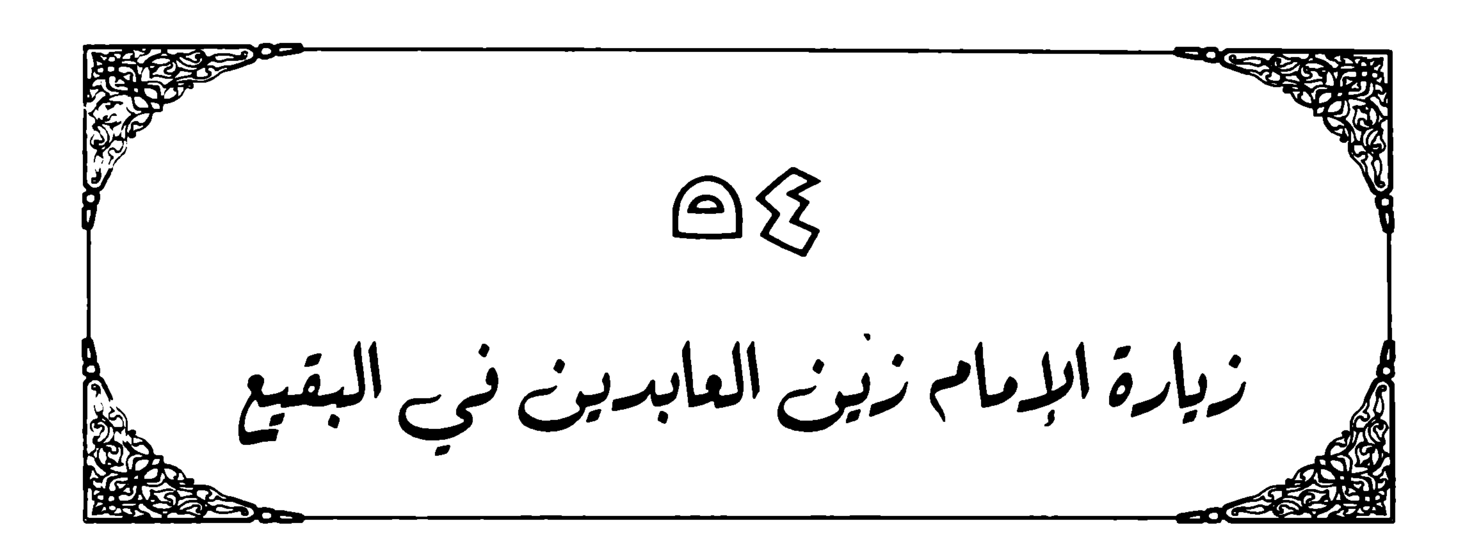
مات عليّ بن الحسين عليه السلام ودفن، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذي نقله ابن عبّاس يرنّ في الآذان إلىٰ قيام الساعة:

«إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: أين زين العابدين؟

فكأنّي أنظر إلىٰ ولدي عليّ بن الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب يخطر بين الصفوف»[2].

(١) رجال الكشي: ص٧٦/ البحار: ٤٦، ص٣٥٦.

(٢) علل الشرائع: ص٨٧/ البحار: ج٤٦، ص٢٦٩.



يٰا مَوٰالِيَّ يٰا أَبْنٰاءَ رَسُولِ ٱللّٰهِ عَبْدُكُمْ وَٱبْنُ أَمَتِكُمْ ٱلذَّلِيلُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَٱلْمُضْعِفُ فِي عُلُوِّ قَدْرِكُمْ وَٱلْمُعْتَرِفُ بِحَقِّكُمْ جٰاءَكُمْ مُسْتَجِيراً بِكُمْ قٰاصِداً إِلَى حَرَمِكُمْ مُتَقَرِّباً إِلَى مَقٰامِكُمْ مُتَوَسِّلاً إِلَى ٱللّٰهِ تَعٰالَىٰ بِكُمْ أَأَدْخُلُ يٰا مَوٰالِيَّ أَأَدْخُلُ يٰا أَوْلِيٰاءَ ٱللّٰهِ أَأَدْخُلُ يٰا مَلاٰئِكَةَ ٱللّٰهِ ٱلْمُحْدِقِينَ بِهٰذَا ٱلْحَرَمِ ٱلْمُقِيمِينَ بِهٰذا ٱلْمَشْهَدِ؟.

وادخل بعد الخشوع والخضوع، ورقة القلب، وقدّم رجلك اليمنى، وقل:

أَللّٰهُ أَكْبَرُ كَبِيراً وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ كَثِيراً وَسُبْحٰانَ ٱللّٰهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْفَرْدِ ٱلصَّمَدِ ٱلْمٰاجِدِ ٱلأَحَدِ ٱلْمُتَفَضِّلِ ٱلْمَنّٰانِ ٱلْمُتَطَوِّلِ ٱلْحَنّٰانِ ٱلَّذِي مَنَّ بِطَوْلِهِ وَسَهَّلَ زِيٰارَةَ سٰادٰاتِي بِإِحْسٰانِهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي عَنْ زِيٰارَتِهِمْ مَمْنُوعاً بَلْ تَطَوَّلَ وَمَنَحَ.

ثم اقترب من قبورهم المقدسة واستقبلها، واستدبر القبلة وقل:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ ٱلْهُدىٰ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلتَّقْوىٰ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْحُجَجُ عَلىٰ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْقُوّامُ فِي ٱلْبَرِيَّةِ بِٱلْقِسْطِ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلصَّفْوَةِ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ آلَ رَسُولِ ٱللّٰهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلنَّجْوىٰ أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فِي ذٰاتِ ٱللّٰهِ وَكُذِّبْتُمْ وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ ٱلأَئِمَّةُ ٱلرّٰاشِدُونَ ٱلْمُهْتَدُونَ وَأَنَّ طٰاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ وَأَنَّ قَوْلَكُمُ ٱلصِّدْقُ وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجٰابُوا وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطٰاعُوا وَأَنَّكُمْ دَعٰائِمُ ٱلدِّينِ وَأَرْكَانُ ٱلأَرْضِ لَمْ تَزَالُوا بِعَيْنِ ٱللّٰهِ يَنْسَخُكُمْ مِنْ أَصْلاَبِ كُلِّ مُطَهَّرٍ وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ أَرْحٰامِ ٱلْمُطَهَّرَاتِ لَمْ تُدَنِّسْكُمُ ٱلْجٰاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلاَءُ وَلَمْ تُشْرَكْ فِيكُمْ فِتَنُ ٱلأَهْوٰاءِ طِبْتُمْ وَطٰابَ مَنْبِتُكُمْ مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنٰا دَيَّانُ ٱلدِّينِ فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَجَعَلَ صَلاَتَنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنٰا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنٰا إِذِ ٱخْتَارَكُمُ ٱللّٰهُ لَنٰا وَطَيَّبَ خَلْقَنٰا بِمٰا مَنَّ عَلَيْنٰا مِنْ وِلاٰيَتِكُمْ وَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَمِّينَ بِعِلْمِكُمْ مُعْتَرِفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ وَهٰذَا مَقٰامُ مَنْ أَسْرَفَ وَأَخْطَأَ وَٱسْتَكَانَ وَأَقَرَّ بِمٰا جَنىٰ وَرَجَا بِمَقٰامِهِ ٱلْخَلاَصَ وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ ٱلْهَلْكىٰ مِنَ ٱلرَّدىٰ فَكُونُوا لِي شُفَعٰاءَ فَقَدْ وَفَدْتُ إِلَيْكُمْ إِذْ رَغِبَ عَنْكُمْ أَهْلُ ٱلدُّنْيٰا وَٱتَّخَذُوا آيٰاتِ ٱللّٰهِ هُزُواً وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا.

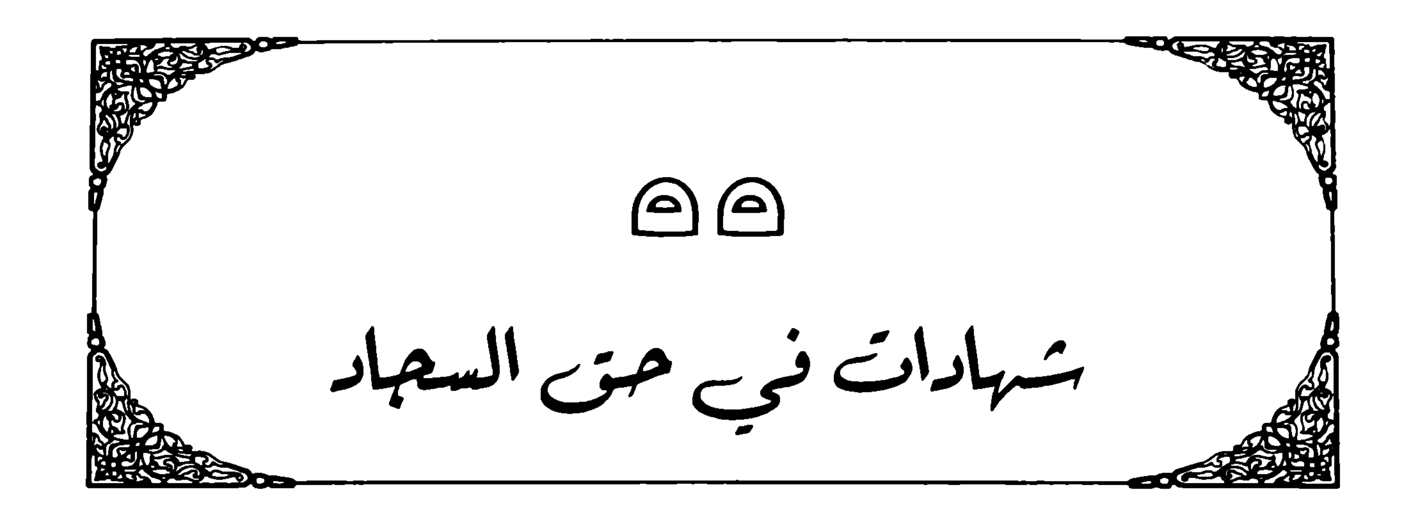
ثم ارفع رأسك إلى السماء وقل :

يٰا مَنْ هُوَ قٰائِمٌ لاٰ يَسْهُو وَدٰائِمٌ لاٰ يَلْهُو وَمُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَكَ ٱلْمَنُّ بِمٰا وَفَّقْتَنِي وَعَرَّفْتَنِي بِمٰا أَقَمْتَنِي عَلَيْهِ إِذْ صَدَّ عَنْهُ عِبٰادُكَ وَجَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ وَٱسْتَخَفُّوا بِحَقِّهِ وَمٰالُوا إِلىٰ سِوٰاهُ فَكَانَتِ ٱلْمِنَّةُ مِنْكَ عَلَيَّ مَعَ أَقْوٰامٍ

خَصَصْتَهُمْ بِمٰا خَصَصْتَنِي بِهِ فَلَكَ ٱلْحَمْدُ إِذْ كُنْتُ عِنْدَكَ فِي مَقٰامِي هٰذَا مَذْكُوراً مَكْتُوباً فَلٰا تَحْرِمْنِي مٰا رَجَوْتُ وَلٰا تُخَيِّبْنِي فِيمٰا دَعَوْتُ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ٱلطّٰاهِرِينَ وَ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ. ثم ادع لنفسك بما تريد.

وقال الطوسي (رحمه الله) في التهذيب: ثم صلّ صلاة الزيارة، ثمان ركعات، أي صلّ لكل إمام ركعتين، وقال الشيخ الطوسي، والسيد ابن طاوُس: إذا أردت أن تودعهم عليهم السلام فقل:

أَلسَّلٰامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ ٱلْهُدَىٰ وَرَحْمَةُ ٱللّٰهِ وَبَرَكٰاتُهُ ٱسْتَوْدِعُكُمُ ٱللّٰهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ ٱلسَّلٰامَ آمَنّٰا بِٱللّٰهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَبِمٰا جِئْتُمْ بِهِ وَدَلَلْتُمْ عَلَيْهِ أَللّٰهُمَّ فَٱكْتُبْنٰا مَعَ ٱلشّٰاهِدِينَ.



أصدق الشهادات شهادة الله تعالى:

وقد قال تعالى في حديث قدسي: «هو سيد العابدين وزين أوليائي الماضين»[1].

❊ ❊ ❊

وتأتي شهادة رسول الله ﷺ بعد شهادة الله، لتؤكد على موقع السجاد. حين يقول ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري عندما دخل عليه والحسين في حجره: «يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده»[2].

❊ ❊ ❊

أمّا شهادة الحسين عليه السلام في حق ولده فهي تؤكد ليس على مقامه عند الله تعالى، فحسب، بل على موقعه كإمام مفترض الطاعة على الأمة أيضاً.

---

(١) كلمة الله ص١١٨.

(٢) وسيلة المآل في مناقب الآل، ص٧.

فقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام في الساعات الأخيرة من حياته، دخل على ولده زين العابدين في خيمته، وكان طريحاً على نطع الأديم، وكانت زينب بنت علي عليه السلام تمرّضه، فلما نظر علي بن الحسين إلى أبيه أراد أن ينهض، فلم يتمكن من شدة المرض. فقال لعمته: «سنّديني إلى صدرك، فهذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل».

فجلست زينب خلفه وسنّدته إلى صدرها، فجعل الإمام الحسين عليه السلام يسأل ولده عن مرضه، وهو يحمد الله تعالى، ثم قال السجاد لأبيه: «يا أبتِ ما صنعت اليوم مع هؤلاء المنافقين؟».

فقال له الحسين عليه السلام: «يا ولدي استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، وقد نشب القتال بيننا وبينهم حتى فاضت الأرض بالدم منّا ومنهم».

قال السجاد: «يا أبتاه، أين عميّ العباس؟.

فقال الحسين عليه السلام: «يا بُني، إنّ عمك قد قُتل، وقطعوا يديه على شاطىء الفرات».

فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثم أخذ يسأل أباه عن كل واحد من عمومته، والحسين يقول له: قُتل.

فقال السجاد: «وأين أخي عليّ، وحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن القين؟».

فقال له: «يا بُني، اعلم أنه ليس في الخيام رجل إلا أنا وأنت، وأمّا هؤلاء، الذين تسأل عنهم فكلهم صرعىٰ على وجه الثرى».

فقال علي بن الحسين لعمته: «يا عمّة عليَّ بالسيف والعصا».

فقال له الحسين: «وما تصنع بهما؟».

قال: «أمَا العصا فأتوكأ عليها، وأما السيف فأذبّ به بين يدي ابن رسول الله، فإنه لا خير في الحياة بعده».

فمنعه الحسين عليه السلام عن ذلك، وضمّه إلى صدره وقال: «يا ولدي، أنت أطيب ذرّيتي، وأفضل عترتي، وأنت خليفتي على هؤلاء العيال والأطفال فإنهم غرباء مخذولون قد شملتهم شماتة الأعداء ونوائب الزمان.

سكتهم إذا صرخوا، وآنسهم إذا استوحشوا، وسل خواطرهم بلين الكلام، فإنه ما بقي من رجالهم من يستأنسون به غيرك، ولا أحد عندهم يشتكون إليه حزنهم سواك.

دعهم يشموك وتشُمهم، ويبكوا عليك وتبكي عليهم».

ثم لزم الحسين عليه السلام ولده وقال: «يا زينب، ويا أم كلثوم، ويا رقيّة، ويا فاطمة إسمعن كلامي، واعلمن أن ابني هذا خليفتي عليكم، وهو إمام مفترض الطاعة»(1).

وشهد له الإمام الصادق عليه السلام بأنه «ما من ولد أمير المؤمنين ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه، وفقهه من علي بن الحسين»(2).

* * *

وقال فيه الزهري، الذي كان يعتبر عالم الحجاز والشام: «ما لقيت أحداً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام. والله ما علمت له صديقاً في السرّ، ولا عدواً في العلانية».

فقيل له: كيف ذلك؟.

---

(1) «الدمعة الساكبة» للبهبهاني: ج4، ص351.

(2) حياة الإمام زين العابدين ـ للقرشي ص131.

قال: لأني لم أر أحداً، وإن كان يحبّه، إلاّ وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً، وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه»[1].

* * *

وقال فيه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: «ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين عليه السلام»[2].

* * *

وقال فيه المفسر المعروف، وفقيه المدينة «زيد بن اسلم»: «ما جالست في أهل القبلة مثل علي بن الحسين عليه السلام»[3].

* * *

وقال فيه ابن حجر العسقلاني: «علي بن الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب، زين العابدين ثقة ثبت، عابد، فقيه، فاضل مشهور»[4].

* * *

وقال إبن تيمية: «أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين، وساداتهم علماً وديناً، وله من الخشوع وصدقة السرّ، وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف»[5].

* * *

وقال الجاحظ: «وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فلم أر الخارجي في أمره

---

(١) علل الشرائع ص٨٨.

(٢) حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام ص١.

(٣) تاريخ دمشق: ج١٢/ ص١٩.

(٤) تقريب التهذيب: ج٢، ص٣٥.

(٥) منهاج السنة: ج٢، ص١٢٣.

إلاّ كالشيعي، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أر المعتزلي إلا كالعامي، ولم أر العامي إلا كالخاصي، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله، ويشك في تقديمه[1].

* * *

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: «هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله، وسمته يثبت قربه من الله، وثفناته تسجل له كثرة صلاته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درت له أخلاف التقوى فتفوقها، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، وخالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليله استرشد به في منارة المسافر، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة أنه من ملوك الآخرة[2].

* * *

وقال فيه الإمام الشافعي: «إن علي بن الحسين أفقه أهل المدينة»[3].

* * *

وقال علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي: «مناقب الإمام علي بن الحسين عليه السلام تكثر النجوم عدداً، ويجري واصفها إلى حيث لا مدى، وتلوح في سماء المناقب كالنجوم لمن بها إهتدى، وكيف لا، وهو يفوق العالمين إذا عدا محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين فإنه الإمام البراني، والهيكل

---

(١) عمدة الطالب، ص١٩٣.

(٢) مطالب السؤول: ج٢، ص٤١.

(٣) رسائل الجاحظ ص١٠٢.

النوراني، بدل الابدال، وزاهد الزهاد، وقطب الأقطاب، وعابد العباد، ونور مشكاة الرسالة، ونقطة دائرة الإمامة، وابن الخيرتين، والكريم الطرفين قرار القلب، وقرة العين علي بن الحسين، وما أدراك ما عليّ بن الحسين، الأوّاه الأواب، العامل بالسنّة والكتاب، الناطق بالصواب، ملازم المحراب، المؤثر على نفسه، المرتفع في درجات المعارف، المتفرد بمعارفه الذي فضل الخلائق بتليده وطارفه»[1].

* * *

وقال الأديب المسيحي المعاصر «سليمان كتاني»:

«لقد ذاب علي بن الحسين في الصفة التي نعتته، ومنذ اللحظة تلك ابتلع أفعل التفضيل اسم مولاه، وأصبحت صيغة الإسم الجديد قائمة بذاتها، فلنفتش عنه في كربلاء، وعند عبيد الله بن زياد، أو عند يزيد بن معاوية، أو إذا عزّ بنا التفتيش خلف عتبات صامتة، حيث يسجد كل يوم ألف سجدة، من دون أن نبقي له إضبارة من وقت ينصرف فيها لمعالجة شؤون الناس، وهو القيم على إمامة لا تستقيم ضلوعها إلا اهتماماً بشؤون الناس.

هنالك أيام طويلة موصول بعضها ببعض، لا ينفصل فيها ليل عن نهار، قضاها الإمام في حالة سجود، كأنه الإغماء المتواصل»[2].

---

(١) حياة الإمام زين العابدين، للقرشي نقلاً عن كشف الغمة: ص١٤٤.

(٢) الإمام زين العابدين، عنقود مرصع ص٢٣١.

ختـــام

أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي عَمَلِي. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ ٱلدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ ٱلنَّارِ.

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الراجي شفاعة سيّد الساجدين وزين العابدين

هادي المدرسي

٢٤/ ذ ق/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

---

(١) الصحيفة السجادية ص٩٣ ـ ٩٤.

الفهرس

عائلته

عبادته

أدعيتـــه

استجابة دعواتـه

تراثـه

فضائله

جهاده

عطاؤه

تعامله مع الآخرين

مواعظه

حكمه

رحيلـه